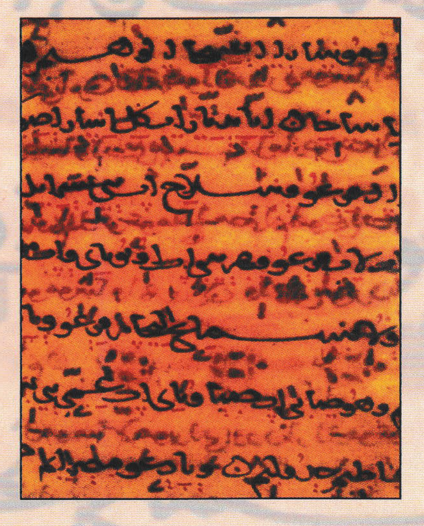
الإنجيل
برواية المسلمين



جمعه وعلّق عليه:

طريف الخالدي

منشورات الجمل

الإنجيل برواية المسلمين

الإنجيل
برواية المسلمين

جمعه وعلّق عليه:

طريف الخالدي

منشورات الجمل

الإنجيل برواية المسلمين، الطبعة الأولى
جمعه وعلّق عليه: طريف الخالدي

تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

توطئة للترجمة العربية

صدر هذا الكتاب أولاً باللغة الإنكليزية عام ٢٠٠١ وها هو الآن يصدر في حلّته الأصلية أي بالعربية التي عنها كانت الترجمة الإنكليزية لأقوال السيد المسيح في بادئ الأمر.

وأغتنم هذه الفرصة للتنويه بالجهود التي بذلها تلميذي سابقاً وزميلي في التدريس حالياً الدكتور سليمان مراد، ومن بينها ترجمة المقدمة من أصلها الإنكليزي. وإليه يعود الفضل كذلك في إضافة بعض أقوال السيد المسيح التي أدرجتها في ملحق خاص يلي النصوص الأصلية مباشرة. وقد أتاحت لي هذه الطبعة العربية فرصة تصحيح بعض الأخطاء الواردة في الطبعة الإنكليزية.

كما تجدر الإشارة إلى أن المقدمة والتعليقات على الأقوال قد كُتبت في الأصل للجمهور الناطق بالإنكليزية. وكانت تهدف في ما تهدف إلى إثراء النقاش الدائر في أوساط المستشرقين وغيرهم حول مواضيع تاريخية ودينية يلفّها الغموض والجدل. رجائي إذاً أن يتسع صدر القارئ الكريم لآراء وتعليقات قد تبدو بديهيّة في بعض الأماكن كما تبدو غريبةً في أماكن أخرى. ختاماً شكري العميق إلى الصديقين

طلال الحسيني وفارس ساسين اللذين نظرا مليّاً في هذا الكتاب بمحبة وثاقب نظر، حاذفين ما عراه من شوائب، وتركاني أتحمّل بمفردي مسؤولية بل وحسرة عدم الأخذ برأيهما.

طريف الخالدي

بيروت في الأول من تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٣

كلمات شكر وامتنان

خلال المسيرة الطويلة لهذا الكتاب، أتاني النصح والمشورة من أصدقاء كثر. فقد جاءت فكرة الكتاب أولاً خلال حديث شيّق مع الصديق سمير الصايغ، الناقد الفني والخطاط المعروف. وله الفضل في مساعدتي على بلورة فكرة تجميع وترجمة أقوال السيد المسيح في الأدب العربي الإسلامي. ومرت السنون ولم أقم خلالها بأكثر من تدوين أقوال وقصص السيد المسيح التي كنت أصادفها أثناء البحث في ثنايا التراث العربي. وكان مصيرها التدوين على أوراق وقصاصات جمعها ملفٌّ سرعان ما اصفرّ لونه مع مرور الزمن. ولأجل الحفاظ على اهتمامي بهذا الموضوع، قمت بإلقاء بعض المحاضرات في بيروت وغيرها من المدن. وهنا لا بدَّ لي من إسداء الشكر للكثيرين ممن شرّفوني بحضور هذه المحاضرات ولما أبدوه من اهتمام وفضول. لكن المشروع ظلّ يراوح مكانه. وسرعان ما اعترضني مشروع كتاب آخر صرفت إليه اهتمامي الكامل. وما إن انتهيت من ذاك الكتاب حتى عاد ذلك الملف الأصفر يطالب بقسطه من الاهتمام.

والفضل الأكبر في إنجاز هذا الكتاب يعود لابني محمد علي. فقد خالف التقليد السائد للعلاقة بين الابن والأب؛ إذ انبرى الابن ليدفع مسيرة أبيه العلمية إلى الأمام وذلك من خلال صرف الساعات الطويلة

لمساعدتي في تحضير الترجمة الإنكليزية. وإذا كان ثمة من قيمة لتلك الترجمة، فالفضل يعود إليه بالدرجة الأولى وإلى حسّه اللغوي المرهف بالإضافة إلى ملاحقته المستمرة وتشجيعه لي لإنهاء الكتاب. أما تلميذي السابق في الجامعة الأميركية في بيروت سليمان مراد فقد نهض للمساعدة في ترتيب أقوال السيد المسيح بعد أن أصبحت متداخلة بعضها مع بعض إلى درجة يئست معها من ترتيبها بالتسلسل الصحيح. فقام سليمان بترقيم الأقوال وترتيبها بدقة فائقة وفي زمن قصير. وفيما بعد سرّني جدّاً أنه قام هو بنفسه بتحقيق ترجمة عيسى بن مريم المستلّة من كتاب «تأريخ مدينة دمشق» للحافظ ابن عساكر تحت عنوان «سيرة السيد المسيح» خصوصاً أن هذا التحقيق صدر في الوقت المناسب لاستخدامه في كتابي هذا.

وقد أنجزت جُلّ العمل في هذا الكتاب في جامعة كمبردج في الفترتين ما بين ١٩٩٢-١٩٩٣ و١٩٩٦-١٩٩٨. وأخصّ بالشكر من بين زملائي في كلية «كنغز» الدكتور كيث هوبكنز الذي قرأ مسوّدة الكتاب وأبدى فيه آراءً مفيدة وقيّمة. كما لا بدَّ لي من إسداء الشكر إلى الصديق الكريم والزميل الدكتور باسم مسلّم الذي كان كعادته يقدم النصح والمشورة على حساب تفرّغه لأبحاثه العلمية.

ظهر هذا الكتاب إلى حيّز الوجود بفضل الصديق العزيز إدوارد سعيد إذ كان هو الذي قبل الكتاب في السلسلة التي يشرف عليها بعنوان «التلاقي» (Convergences) والصادرة عن دار نشر جامعة هارفرد. فله مني الشكر الجزيل والتقدير العميق. كما ولا بدَّ من إسداء الشكر إلى لندسي واترز وخصوصاً إلى ماريا آشر من هذه الدار، لما أبدوه من عون ودقّة في التحقيق خلال تحضير النصّ الإنكليزي. كما أشكر أيضاً مؤسسة ديانا تماري صبّاغ على المنحة

الكريمة التي أتاحت لي فرصة الالتفات الكامل لهذا الكتاب طوال سنة كاملة من الزمن.

وأخيراً ثمة شكر خاص لرجلين كان لهما دور رئيسي في مسيرة هذا الكتاب وصدوره هما باسل عقل وحسيب الصبّاغ. وإني إذ أنوه بهذين الرجلين الوطنيين من فلسطين الحبيبة فإني أعلم أنني أخالف بهذا التنويه رغبتهما في البقاء في الظلّ. ولا ريب أنني قد أعييت صبرهما فيما هما ينتظران صدور هذا الكتاب. ورجائي أن يكون هذا الصبر قد أثمر فائدة ما. فلهما مني وافر الإعجاب والتقدير.

المقدّمة

يحوي التراث الأدبي العربي الإسلامي بضع مئة حديث وقصّة منسوبة إلى عيسى المسيح. والمادّة المجموعة في هذا الكتاب، والذي أسميته «المسيح المسلم»، مأخوذة من هذه الأحاديث والقصص التي تشكّل أكبر مادّة عن عيسى المسيح خارج المصادر المسيحيّة. وارتأيت أن أرمز إلى هذه المادّة ككلّ بعبارة «الإنجيل الإسلامي» لتسهيل الإشارة إليها.

كان هدفي في الأساس عند تجميع هذه المادّة وتقديمها للقارئ إبراز صورة للمسيح غير معروفة بشكل جيّد خارج المدوّنات العربيّة الإسلاميّة. وقد تثير هذه الصورة فضول أولئك الذين يهمّهم فهم كيف أنّ حضارة دينيّة كالإسلام توقّر شخص المسيح وفي الوقت ذاته ترفض فكرة ألوهيّته بشكل قاطع. من هذا المنظار، يشبه المسيح الذي أقدّمه في هذا الكتاب في بعض النواحي المسيح وفقاً للتراث الإنجيلي، كما يختلف عنه في نواحٍ أخرى. كيف ومتى كان ظهور الإنجيل الإسلامي هو موضوع هذه المقدّمة.

الإنجيل الإسلامي غير موجود كنصّ كامل في أيّ من المصادر العربيّة الإسلاميّة، بل هو مبعثر في مدوّنات شتّى من القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد حتّى القرن الثاني عشر للهجرة/ الثامن عشر

للميلاد. وتعتني هذه المصادر بمواضيع مختلفة كالأخلاق والأدب والتصوّف والحكمة وقصص الأنبياء والأولياء. أمّا بخصوص الأحاديث والقصص عن عيسى، فهي تختلف حجماً، بعضها صغير بحجم سطر واحد، وبعضها الآخر طويل يمتد على بضع صفحات، وهي كانت معروفة في معظم العالم الإسلامي، من الصين شرقاً حتّى الأندلس غرباً، وهكذا فبعضها ليس غريباً على المثقّفين المسلمين في يومنا هذا[١].

من الناحيتين الأدبيّة واللغويّة، معظم هذه الأحاديث محبوكة بأسلوب جيّد. من دون شكّ، اعتنى المؤلّفون الذين نقلوا هذه المادّة عناية كبيرة بها، سواء في اختيار الكلمات المناسبة أو في حبك القصص، لتكون بذلك جديرة بشخصيّة وصفت في القرآن والتراث الإسلامي بـ «روح اللّه» و«كلمة اللّه». فأحاديث كـ «طوبى لمن كان بصره في قلبه ولم يكن قلبه في بصره» و«دَع الناس فليكونوا منك في راحة ولتكن نفسك منك في شغل» ممكن جدّاً أن يكون قائلها المسيح الإنجيلي لشبهها بطريقة كلامه هناك.

ما مصدر هذه الأحاديث والقصص؟ الجواب المباشر والسهل هو أنّها جزء من خزّان الحكمة الخصيب لحضارات الشرق الأدنى القديم. وكما سيتمّ إبرازه فيما بعد وبشكل أوفى في التعليقات داخل الكتاب، فإن بعض هذه الأحاديث والقصص تحاكي أخباراً شبيهة موجودة في الأناجيل الصحيحة وكذلك في الأناجيل المنحولة. لكن أصل معظمها على الأرجح يعود إلى ما يمكن وصفه بتراث الحضارة الإغريقيّة، وسأحاول تتبّع أصل أكبر عدد ممكن منها. غير أن إيجاد أصل كل خبر من هذه الأخبار هو من دون شكّ أمر صعب جدّاً، ورجائي أن يجد بعض قُرّاء هذا الكتاب مصادر إضافيّة لعدد من هذه الأخبار،

وبذلك يغنون فهمنا لهذه الأحاديث والقصص.

العدد الأكيد لهذه الأخبار عن عيسى غير معروف. وعلى الرغم من أنّها جذبت اهتمام باحثين غربيّين منذ القرن الثامن عشر على الأقلّ، لكن أوّل من قام بترجمة ونشر مجموعة صغيرة منها عددها سبعة وسبعون خبراً كان المستشرق الإنكليزي دافيد مرغوليوث David Margoliouth في سنة ١٨٩٦، وهو أخذ معظمها من مصدر واحد. بعد ذلك في سنة ١٩١٩، قام المستشرق الأسباني ميغيل أسين وبالاسيوس Miguel Asin y Palacios بجمع ونشر ٢٢٥ خبراً، ترجمها إلى اللغة اللاتينيّة مع تعليقات أيضاً باللاتينيّة. واستخدم أسين خمسةً وخمسين مصدراً إسلاميّاً كلاسيكيّاً. ومجموعة أسين هذه كانت حتّى الآن المصدر الأساسي للإنجيل الإسلامي[٢].

عندما بدأت منذ عدّة سنوات بتجميع هذه الأخبار والقصص عن المسيح، كانت الأهميّة الأساسيّة عندي لثلاثة اعتبارات. أوّلاً، لا مرغوليوث ولا أسين ولا أيّ باحث آخر تفحّص الأخبار الكثيرة عن المسيح في مؤلّفات إسلاميّة حقّقت حديثاً، ككتب التقوى والزهد، ومنها ما هو من القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد. وتحوي هذه الكتب أوّل نماذج الإنجيل الإسلامي المعروفة لدينا حتّى الآن، وهو ما يجعل تتبّع نشوئه وتطوّره أمراً ممكناً أكثر من قبل[٣].

ثانيّاً، لا مرغوليوث ولا أسين ولا أيّ باحث آخر اهتمّ بالجانب الأدبي للإنجيل الإسلامي. ولم يهتمّوا أيضاً بدوره التاريخي ومكانته في تطوّر مفهوم التقوى في الإسلام بشكل عام. فما نجده في هذا الإنجيل هو صور متلاحقة زمنيّاً للمسيح تبرز اهتماماً أدبياً ولاهوتياً به: إنه المسيح أعيد إحياؤه في بيئة حوّلته إلى نبيّ مسلم، لكنّها أبقت على جزء من صورة له موافقة لتلك التي في الأناجيل. ففي هذه البيئة

الجديدة، يلعب المسيح، أو بالأحرى يُستخدم المسيح ليلعب دوراً رائداً في صياغة وتدعيم بعض المفاهيم الإسلاميّة ومنها مثلاً التقوى والمسؤوليّة الدينيّة والعلاقة مع الدولة.

ثالثاً، على الرغم من كثافة الأعمال الحديثة في مجال العلاقات المسيحيّة ـ الإسلاميّة وعن صورة المسيح في القرآن والحديث وفي مؤلّفات إسلاميّة دينيّة أخرى، كان ثمة اهتمام قليل جدّاً بأوجه تأثير هذه الأخبار والقصص على فهم المسلمين للدين المسيحي(٤). ففي هذا الإنجيل بالذات كان المثقف المسلم قبل عصرنا الحاضر على الأقل يلتقي بشخص المسيح، إضافة إلى لقائه به في القرآن وكتب الحديث. لذلك، فإن أي بحث علمي عن مكانة المسيح في التراث الأدبي العام للمسلمين لا يمكنه تجاهل الدور الرائد للإنجيل الإسلامي. فإذا سألنا عن أهميّة هذا الإنجيل في الحوار الحالي بين المسيحيّة والإسلام، تجدر الإشارة إلى دور يمكن أن يلعبه في مصالحة تاريخيّة ولاهوتيّة وفي البحث المستمر لإيجاد دعائم لهذا الحوار في مجال الشهادة الدينية الواحدة. فكمجموعة متكاملة، يمكن أن نعتبر هذا الإنجيل قصّة حب بين الإسلام والمسيح، وعلى هذا الأساس فهو يمثّل شهادة فريدة عن كيفيّة اختيار وتبنّي دين عالمي للشخص المحوري لدين عالمي آخر، واعتباره مشرّعاً أساسيّاً لهويّته الخاصّة.

الكتاب هذا موجّه إلى الباحث المختصّ وإلى القارئ العادي أيضاً. وهو في قسمين. القسم الأوّل هو المقدّمة، وهي تمثل إطاراً تاريخياً وأدبياً عامّاً لهذه القصص والأخبار. والقسم الثاني هو الإنجيل المجموع نفسه. وقد تمّ ترقيم الأخبار وترتيبها في تسلسل تاريخي، يتبع كلاً منها كشّافٌ بمصادره ومعلومات عن مؤلّف المصدر المأخوذ

منه الخبر، وتعليق عليه. أما القُرّاء الذين لا يهمّهم الاطلاع على الإطار التاريخي واللاهوتي لهذه الأخبار فبإمكانهم المضي قدماً إلى القسم الثاني، حيث يجدون الإنجيل الإسلامي مباشرةً ويصلون إلى استنتاجاتهم الخاصّة عن قيمته الأدبيّة واللاهوتيّة.

الخلفية التاريخية

تبلورت صورة المسيح في الإسلام في القرآن، ومنه ظهر الإنجيل الإسلامي. وعلى الرغم من أنّ المسيح في الإنجيل الإسلامي له شخصيّة مختلفة عن المسيح القرآني، يبقى الأخير الأساس الذي بُنيت عليه صور المسيح الإسلامي اللاحقة. وهناك الكثير من الدراسات عن المسيح في القرآن، وقد اعتمدت عليها في هذا القسم من المقدمة. لكن علينا ترسيخ الموضوع في إطاره الإسلامي قبل المضي قدماً في فحص الإنجيل نفسه.

من المتعارف عليه أنّ الإسلام ظهر في زمان ومكان كانت فيهما شخصيّة المسيح معروفة جدّاً. إذ تُظهر لنا النقوشات، والمصادر السريانيّة والأثيوبيّة والبيزنطيّة، والدراسات الحديثة للشعر الجاهلي، ومؤلّفات إسلاميّة قديمة مكتشفة مؤخّراً واقع تعدّد الفِرق والجماعات المسيحيّة في الجزيرة العربيّة قبل الإسلام وفيما حولها من الأمصار. ويُبرِز كلّ ذلك صوراً عديدة وقيّمة للمسيح. ومن الجدير الإشارة إلى أنّه عند ظهور الإسلام، لم تكن ثمة في الشرق الأدنى كنيسة موحّدة تطبّق تعاليم المجامع المسيحيّة بخصوص الاعتقاد المسيحي. بتعبير آخر، ولد الإسلام وسط تشرذم مسيحي، بعضه عدائي جدّاً لبعضه الآخر، وغير منصهر بعد في إطار كنيسة عالميّة واحدة.

وبالإضافة إلى الوجوه المتعدّدة للمسيحيّة، كان ثمة وجود

لمجموعات يهوديّة عربيّة، لكن معتقداتها غير واضحة التفاصيل، ويجب التنبّه في هذه الحالة أيضاً إلى أنّ اليهوديّة في شبه الجزيرة العربيّة كانت مبنيّة على خليط مؤلّف من الكتاب المقدّس والأدبيّات الدينيّة والأساطير. وكانت شبه الجزيرة العربيّة عند ظهور الإسلام تدور في فلك الحضارة الإغريقيّة، وعلى هذا الأساس يجب تصوّرها حاوية لمزيج غنيّ ومتشعّب من التيّارات الدينيّة، حظيت المسيحيّة واليهوديّة دون غيرهما من الأديان باهتمام حصري من قبل الباحثين المعاصرين.

وعلى الرغم من ذلك، فإن منطلق دراسة وتحليل الأخبار والقصص المشمولة في هذا الكتاب هو القرآن، وليس شبه الجزيرة العربيّة قبل الإسلام[٥].

فالقرآن، كنص مؤسس، يدشّن لفكر جديد ولنشر جديد لعبارات واعتقادات دينيّة. وفي ما يخصّ المسيح القرآني، كان همّ المستشرقين الغربيّين تتبّع الخيوط المؤديّة إلى مصادر التأثير على صورته القرآنيّة تلك. وركّز عدد قليل جدّاً من الأبحاث على دراسة بنية أو تحليل الإشارات العديدة لعيسى المسيح في القرآن.

إذا بدأنا بمراجعة دراسات المستشرقين الغربيّين عن صورة المسيح في القرآن، نستشعر ذهنيّة مسيطرة في طريقة التحليل تركّز على الإصرار أنّ أصول تلك الصورة هي من الأناجيل المسيحيّة المنحولة [الأبوكريفا]، أو من أفكار فرق مسيحيّة هرطوقيّة أو يهوديّة ـ مسيحيّة. في بدايات القرن العشرين، ترعرعت هذه الذهنيّة في إطار المحاججة والتي قد نوجزها كما يأتي: كانت للنبيّ محمّد، (ونادراً ما يقال القرآن)، فكرة مشوّشة عن المسيحيّة، ربّما أخذها عن فرق مسيحيّة هرطوقيّة. على هذا الأساس، فالقصص والأخبار عن المسيح التي

رواها النبيّ هي خرافات وأوهام، أو هي مادّة مأخوذة من الأناجيل المنحولة التي على المرء أن يتصوّر أنّها كانت متداولة بسهولة في المناطق شبه المعزولة من العالم البيزنطي. أمّا في تلك الحالات حيث من غير الممكن تتبّع أصل خبر معيّن، فكان الحكم بأنّها نتاج «خيال مشرقي خصب». وأقرّ بعض هؤلاء المستشرقين بأنّ المسيح شغل مكانة مرموقة من بين الأنبياء المذكورين في القرآن. لكن مستشرقين آخرين رفضوا فكرة أن القرآن يُبرز المسيح بصورة خاصّة، مقارنةً بأنبياء آخرين كإبراهيم وموسى ويوسف وداود، الذين لهم أيضاً مكانة مرموقة في القرآن. أمّا على المستوى اللاهوتي، فقد زعم بعض الباحثين أنّ مفهوم الفداء عند المسيحيّة غائب عن المسيح القرآني، وعلى هذا الأساس فمن غير الممكن التوصّل إلى مصالحة كاملة بين الإسلام والمسيحيّة(٦).

لكن عدّة عوامل ساعدت على الأقل في خلق توازن في صياغة هذه التصوّرات والمفاهيم عن المسيح القرآني عند المستشرقين الغربيّين ومن أهمّها الاهتمام العلمي بدراسة الأدب والعادات الشعبيّة [الفولكلور]، وكذلك إعادة التقييم الجذريّة لمكانة ودور الفكر الميثي في بلورة أنماط الاعتقاد الديني. أدّى هذا الأمر إلى تقبّل أكبر «للقصص» القرآنيّة وبشكل عام للأدب الإسلامي في صدر الإسلام. وفي بعض الحالات، اعتُبر أنّ لهذه القصص أهميّة خاصّة، ليس بالضرورة في ذاتها، بل لدورها في حفظ أخبار وتقاليد يهوديّة ومسيحيّة لولاها لربّما ضاعت واندثرت.

ثانياً، أدّى اكتشاف ونشر الكتب المعروفة الآن بـ «مكتبة» نجع حمّادي Nag Hammadi، وهي مجموعة من النصوص الغنوصيّة ومؤلّفات مسيحيّة قديمة أخرى عثر عليها في مصر سنة ١٩٤٥، إلى

تغيير جذري في مفهومنا ومعرفتنا لأشكال وطرق تناقل الكتب الدينيّة المسيحيّة القديمة وكذلك لمعتقدات فرق مسيحيّة كانت حتّى ذلك الوقت شبه مجهولة. بكلام آخر، نحن الآن نعرف أكثر بكثير ممّا كان عليه الأمر قبل نصف قرن مضى عن أشكال المسيحيّة في الشرق الأدنى (أو المسيحيّة الشرقيّة)، وعن الإطار التاريخي المباشر الذي خرج منه مسيح القرآن. وقبل اكتشاف مجموعة نجع حمّادي بقليل، ساعد تحقيق ونشر أعمال مسيحيّة سريانيّة وقبطيّة وأثيوبيّة على إبراز، ولو بدرجة أقل من مجموعة نجع حمّادي، التنوّع المسيحي في أقطار لها تواصل مع شبه الجزيرة العربيّة قبل الإسلام[٧].

ثالثاً، نتيجة للعاملَين السابقَين، تمّ تجميع وترجمة ونشر الأناجيل المنحولة، وأُلحقت بها دراسات تحليليّة أكثر دقّة من قبل. ومن بين الاستنتاجات الجديدة لهذه الأبحاث الحديثة، الإجماع المتزايد على أن هذه الكتب المنحولة الكثيرة العدد ظلّت متداولة في أوساط المسيحيّة الشرقيّة والغربيّة لفترة أطول بكثير من الزمن الذي تمّ فيه إقصاؤها خارج العهد الجديد من قبل المجامع الكنسيّة في القرنين الرابع والخامس للميلاد[٨]. إذاً، لهذه الاستنتاجات الحديثة أهميّة قصوى في فهم صور المسيح والمسيحيّة في القرآن. فإذا كانت هذه الصور مأخوذة ولو جزئيّاً من الكتب المنحولة، فالقرآن إذاً على أقل تقدير يخاطب تراثاً مسيحيّاً حيّاً في ذلك الزمن، لا تراثاً خياليّاً[٩].

أخيراً، أدى دخول التقنيّات العديدة للنقد الأدبي الحديث على الدراسات القرآنيّة إلى تغيير في المقاربة لدراسة القرآن بعيداً عن وصف عوامل التأثير، ونحو فهم أفضل للنصّ من خلال لغته الخاصّة وسياقه[١٠]. وعلى الرغم من غياب الإجماع حول نتيجة هذه الجهود، فإنها تشكّل على الأقلّ انطلاقة جديدة في تحليل صورة المسيح في

القرآن، بعيداً عن عاملي الأصل وطُرق التأثير التي تَبيّن حديثاً أنّها أكثر تعقيداً ممّا كان يُعتقد[١١].

عرض موجز للمسيح القرآني

يستعرض القرآن مجموعة كبيرة من الأنبياء، مذكورين في قصص بأسلوب إنذاري/تحذيري تختلف كثيراً عمّا نجده في الكتاب المقدّس. وهذا الأسلوب القصصي، بسجعه وقصره، أقرب إلى الشعر منه إلى النثر، ويجد فيه بعض المستشرقين وغيرهم أصداءً سن أسلوب الكهان والحنفاء في فترة ما قبل الإسلام[١٢]. لكن الرأي الحديث المجمع عليه بخصوص الأسلوب الأدبي الفريد للأناجيل يبدو لي أنّه ينطبق أيضاً على القرآن[١٣]. فالقرآن يركّز بكثرة على أنّه كتاب فريد من نوعه إن في المضمون أم في الشكل؛ فهو ليس كمثله شيء من الكلام، وتأثيره كالزلزال المدمّر:

«لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية اللّه» (سورة الحشر ٥٩ : ٢١).

وليس ثمة من فارق أساسي في أسلوب القرآن بين مادّة القصص وغيرها من المواد. من الأوّل إلى الآخر، نجد اللغة مصاغة في إطار نحوي يمكن تسميته بـ«المضارع الأزلي». فالماضي والحاضر والمستقبل مجبولان معاً في تواصل مستمرّ. قصص الأنبياء يسبقها بالإجمال عبارة «وإذ» والتي تحمل معنى «تذكّر حين. . . .» أو حتّى معنى «ألا تتذكّر حين. . .». وكثيراً ما تستوقف المرء في القصص القرآني جمل اعتراضيّة تُذكّر بقدرة اللّه حيال الذي يُروى. فاللّه عرف في الماضي ويعرف الآن كيف تكون نهاية القصّة البشريّة، خصوصاً أنّه الخالق والراوي لحوادث التاريخ. والقرآن يشهد على ذلك بقوله:

«فتبارك اللّه أحسن الخالقين» (سورة المؤمنون ٢٣ : ١٤)، «ومن أصدق من اللّه حديثاً» (سورة النساء ٤ : ٨٧). إذاً ما يُروى هو الأفضل والأصدق مقارنةً بما يرويه البشر: إنه الخبر النهائي. ولأنّ المجتمعات الدينيّة السابقة «حرّفت» الوحي المرسل إليها وغيّرت فيه، يعلن القرآن صراحةً أنّه يريد تصحيح الأمور بإعادة رواية الأحداث التاريخية السابقة بين الأنبياء واللّه وتنقيتها.

العلاقة بين الأنبياء في القرآن بيّنة، إن على مستوى الأسلوب القصصي أم بخصوص تجربة النبوّة. وتبرز تلك العلاقة جليّاً في حقيقة كون قصص الأنبياء غير مجموعة في مكان واحد، بل نجدها متفرّقة في القرآن. وهي تكمل بعضها بعضاً في عدّة جوانب. نجد مثلاً أن الكلام المذكور على لسان نبيّ ما أو وحي من اللّه إليه يتكرّر، وفي بعض الحالات حرفيّاً، مع أنبياء آخرين. والشيء نفسه يمكن قوله بخصوص أعمالهم وتجربتهم مع أقوامهم. لذلك، يمكن للمرء أن يتحدّث عن نمطيّة لأنبياء القرآن: عن نموذج للنبوّة يمكن التعرُّف عليه من خلال طريقة إرسال نبيّ معيّن إلى قوم متعجرفين مستهزئين جهلاء، ورفضهم العنيف للرسالة التي يأتيهم بها، انتهاءً بنجاة النبيّ ومعاقبة معظم قومه. وهذه النمطيّة يؤكّدها القرآن نفسه إذ نجده يعلن أن ليس هناك من فارق، ولا يجب أن يكون من فارق أصلاً بين الأنبياء، وأنّ الإيمان الصحيح يجب أن يشمل الاعتراف بجميع الأنبياء:

«إنّ الذين يكفرون باللّه ورسوله ويريدون أن يفرّقوا بين اللّه ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتّخذوا بين ذلك سبيلاً» (سورة النساء ٤ : ١٥٠).

وفي خلاصة الأمر، من الضروري وضع المسيح القرآني في هذا

الإطار النمطي للنبوّة، وهو بالإجمال غير معمول به عند الكثير من المستشرقين[١٤].

وعلى الرغم من أهميّة إيجاد الإطار النبوي الصحيح للمسيح القرآني، يبقى السؤال المطروح بإلحاح: إلى أيّ مدى يخصّ القرآن شخص عيسى المسيح بمديح خاصّ، وإلى أيّ مدى نجده يتساوى في المديح مع كافّة الأنبياء؟ بالإجمال، دار النقاش في هذا الأمر حتّى الآن حول تفسير لقبين قرآنيّين للمسيح. فالقرآن يصفه بـ«كلمة» اللّه و«روح» منه. هل يضع هذان اللقبان المسيح في درجة خاصّة من الوقار على قائمة الأنبياء، أم أنّهما من أجناس البيان؟ وما هو مصدرهما؟[١٥] إن البحث المستفيض عن هذه الأمور يتعدّى هدف كتابنا هذا. لكن بما أنّ المسيح القرآني هو الأساس لكافّة التفرّعات الإسلاميّة اللاحقة لشخصيّته، لربما كان من المفيد أن نتطرق إلى أطراف هذا الموضوع.

للبحث عن جواب لهذا السؤال، حاول بعض الباحثين تحديد عدد المرّات التي يُذكر فيها كل نبي في القرآن كدليل على أهميّته مقارنة بغيره من الأنبياء[١٦]. لكن هذا الأسلوب بنظري ذو فائدة ضئيلة، بالتحديد فيما يتعلّق بالمسيح. مثلاً، ثمة أنبياء كإبراهيم وموسى ويوسف قد يكون لهم ذكر عددي أكبر. لكن عندما يتعلّق الأمر بالتأثير والإيحاء والفعالية والدلالة وبدرجة أهمّ نوعيّة ومضمون السرد القرآني فهذه أمور لا يمكن قياسها عددياً. إذاً لمقاربة هذا الموضوع، سنحصر اهتمامنا بالأنبياء المعروفين بأنبياء بني إسرائيل. وهنا، يمكن للمرء أن يقول بأنّه في حين لن يجد يهودي متديّن معاصر من شيء لاهوتي يعترض عليه في طريقة وصف القرآن لموسى ويوسف وداود، من غير الممكن قول الشيء نفسه عن قارئ مسيحي متديّن للوصف القرآني

للمسيح. من الواضح أنّ هناك شيئاً خاصاً بالمسيح يجعل صورته القرآنيّة مختلفة جذريّاً عن مسيح الأناجيل. ليس الاختلاف أساساً في لهجة السرد القصصي، مع العلم بأن الاختلاف هنا أيضاً جذري، فالأمر نفسه قد يقال أيضاً في حالة الأنبياء الآخرين ولهجة السرد القصصي لأخبارهم في القرآن مقارنة بالكتاب المقدّس. لكن الواضح أنّ المسيح القرآني شخصيّة مثيرة للجدل. إنّه النبيّ الوحيد في القرآن الذي ينحّي بنفسه عمّا يعتقده أتباعه عنه، وفي هذا الخصوص يستخدم القرآن في سورة آل عمران (٣: ٥٥) كلمة «مطهّرك»: فاللّه سيُطهّر المسيح من المعتقدات الفاسدة لأتباعه. وأكثر من ذلك فالمسيح سيلعب بنفسه دوراً في هذا التطهير. نجد مثلاً إجابةً لاستفسار من اللّه كيف ينفي المسيح أيّة مسؤوليّة له في إشاعة معتقد الثالوث الأقدس (سورة المائدة ٥: ١١٦)، واللّه بدوره ينفي حصول الصلب (سورة النساء ٤: ١٥٧). فالمشكلة في موضوع المسيح، بعكس كافّة الأنبياء، تتعلّق لا فقط في إعادة سرد قصّته الصحيحة، بل أيضاً في مجموعة الاعتقادات المسيحية اللاهوتيّة حياله والتي يعالجها القرآن المرة تلو الأخرى. المسيح القرآني، على عكس الأنبياء الآخرين، مجبول في جدليّة لاهوتية.

ثمة أساساً، موضوع صلب المسيح، الذي يصفه القدّيس بولس بأنّه عثار لليهود وحماقة للوثنيّين (الرسالة الأولى إلى أهل قورنتس ١: ٢٣). فهل نَتج النفي القرآني لحصول الصلب عن حالة شبيهة لتلك التي يصفها القدّيس بولس؟ أم أنّ القرآن أخذ ذلك عن فرق مسيحيّة كمذهب الرائيّة Docetic كما يزعم بعض المستشرقين؟ لعل الافتراض الثاني مشوّق أكثر، خصوصاً وأنّ الرائيّة (وهي من الجذر اليوناني dokeo، بمعنى يتراءى أو يبدو) هي المقابل الدقيق للتعبير القرآني:

«ولكن شبّه لهم» (سورة النساء ٤ : ١٥٧)، المستخدمة في القرآن لنفي حصول الصلب. ويقول معظم الباحثين المعاصرين إنه على الرغم من أنّ فكرة التأثّر بمذهب الرائيّة غير مستبعد كليّاً، فإن مسيح القرآن هو بالشكل والمضمون مخالف كليّاً لمسيح الرائيّة. فمسيح القرآن هو إنسان من لحم ودمٍ، على عكس مذهب الرائيّة التي تعتبره مجرّد خيال[١٧]. والقرآن بنفيه لحصول الصلب ينفي أن يكون اليهود قتلوا المسيح، إنّما رفعه اللّه إليه منجياً إيّاه منهم، كما هي الحال في نمطيّة تجربة النبوّة في القرآن. فالرفع وليس الصلب يرمز إلى أهمّ اللحظات في حياة عيسى المسيح وفقاً للقرآن، كما هي الحال في التراث الإسلامي بشكل عام.

ثانياً، ينبذ القرآن معتقد الثالوث الأقدس ويصفه بمذهب عبادة آلهة ثلاثة Tritheism. والآية الأكثر تمثيلاً لهذا هي المصاغة بأسلوب استنطاق للمسيح من قِبل اللّه:

«وإذ قال اللّه يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتّخذوني وأمّي إلهين من دون اللّه قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنّك أنت علاّم الغيوب» (سورة المائدة ٥ : ١١٦).

هذه الآية هي من دون شكّ الأكثر جدلاً. ومن غير المبالغة القول بأنّ الشرك باللّه هو أعظم الذنوب طراً إذ نجد عدّة آيات، منها ما ليس له علاقة بالمسيح بتاتاً، تعيد ذكر إشكاليّة أنّ للّه ولداً أو أنّه اتّخذ صاحبة[١٨]. وتصف إحدى هذه الآيات بلغة من الغضب الشديد ردّة الفعل على تدنيس كهذا للّه:

«تكاد السموات يتفطَّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً أن دعوا للرحمن ولداً» (سورة مريم ١٩ : ٩٠-٩١).

لذلك، يمكن القول بأنّ المسيح وأتباعه يشكّلون أكثر المواضيع اللاهوتيّة إشكاليّةً في القرآن.

ويقدّم القرآن تفسيراً لذلك. فقد كُتب على المسيحيين الفرقة والخلاف حتّى يوم القيامة:

«ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظّاً ممّا ذُكّروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة» (سورة المائدة ٥: ١٤).

فالقرآن إذاً يلخّص عقيدة ذات منحى محدّد هدفها وضع حدّ للنزاع والجدال المستمرّين بين أتباع «أهل الكتاب»، وهؤلاء هم المجتمعات الدينيّة السابقة للإسلام التي لديها كتب الوحي، لكنّهم حسب المعتقد الإسلامي غيّروا في تلك الكتب إمّا عن قصد لما فيه مصلحتهم، أو لجهلهم بتفسيرها تفسيراً صحيحاً، أو لاتّباعهم التقليد الأعمى لعاداتهم السابقة. لذلك، فقصص الأنبياء في القرآن ليست روايات مستقلّة بعضها عن بعض، بل، على العكس من ذلك، هي عظات مترابطة نصيّاً عن السلوك الأخلاقي السليم المناقض جهارةً لسلوك ومعتقدات أتباعهم. فالأتباع الحقيقيون لجميع هؤلاء الأنبياء كانوا وما زالوا «مسلمين».

وفيما يختص بالشكل، يمكن تقسيم المادّة القرآنيّة عن المسيح إلى أربعة أقسام. (١) قصص عن ولادته وطفولته، (٢) عجائبه، (٣) حوارات بينه وبين اللّه، أو بينه وبين بني إسرائيل، و(٤) كلام إلهي يؤكّد أنّه بشر وعبد من عباد اللّه ويعرّف مكانته بين أنبياء اللّه ويهدف للتشديد على ضرورة نبذ الغلو في الإيمان به. ففيما يخص القسمين الأوّلين، ليس هناك ما يدعو للشك أن القصص الواردة فيها تشبه كثيراً قصص الأناجيل المنحولة وتلك التي في الأدبيّات السريانيّة

والقبطيّة والأثيوبيّة[١٩]. فولادته من العذراء ـ والتي في القرآن حدثت تحت جذع النخلة (سورة مريم ١٩ : ٢٣) ـ والكلمات التي يقولها وهو رضيع في المهد هي آيات تشير إلى النعمة الإلهيّة المعطاة له ولوالدته. أمّا عجائبه فهي غير مرويّة بإسهاب، بقدر ما هي مذكورة فقط للتذكير بالقوّة التي جعلها اللّه فيه لشفاء المرضى وإحياء الموتى. فعلى عكس الأناجيل، يميل القرآن إلى التركيز على ولادته المباركة أكثر من آلامه في أيامه الأخيرة. لذلك نجد الإشارة إليه بشكل شبه متواصل بعبارة «ابن مريم»، وكثيراً ما نجده إلى جانب أمه. فهي بجانبه تؤكّد ولادته العجائبيّة. أما «موته» فهو أمر لا يقل عن هذا عجائبيةً إذ يرفعه اللّه إليه، حيث وفقاً للمعتقد الإسلامي لا يزال ينتظر تكملة دوره مع قرب نهاية العالم، وهو الدور المشار إليه بغموض في القرآن (سورة مريم ١٩ : ٣٣ وسورة الزخرف ٤٣ : ٦١)[٢٠]. ويصف القرآن أيضاً المسيح بأنّه آية بحدّ ذاته، أي برهان على قدرة اللّه. وعلى الرغم من أنّ أنبياء آخرين لهم أيضاً هذه الصفة في القرآن وعندهم القدرة على إحداث المعجزات، فإن المسيح وحده يخلق إشكاليّة في القرآن، الهدف منها تثبيت الحقيقة النهائيّة عن شخصه.

أما طريقة كلامه والخطاب الإلهي عنه فتبدو وكأنها تحاكي تجربة النبيّ محمّد، وهي تبدو مدبّرة لتشير إلى أنّه مجرّد عبد من عباد اللّه. والمسيح نفسه لا يستهين بهذه الصفات أو بهذه الحقيقة. لا نجد الخطبة على الجبل ولا الأمثال ولا التعليمات عن الشريعة والروح، وبالتأكيد لا نجد شيئاً عن آلامه في أيامه الأخيرة. على العكس من ذلك، نجده بين تلاميذه الأتقياء المؤمنين به، ونجده متواضعاً جدّاً تجاه والدته، ونجده يحمل رسالة إلهيّة تثبت وحدانيّة اللّه وتؤكد ما سبقها من الرسائل. والعدد الأكبر من الإشارات القرآنيّة إلى المسيح

يأتي في إطار تصريحات إلهيّة تتكلّم عنه وبالنيابة عنه، وهي تصريحات تذكّر المسيح نفسه وتذكّر البشريّة بأنّ اللّه هو الخالق الحقيقي ومقرّر حياة ومصير المسيح والبشريّة جمعاء. هنا إذاً نجد المسيح الصحيح «المطهّر» من «تحريفات» أتباعه، والنبيّ الوفيّ المطيع لخالقه. وهو بذلك يشكل بديلاً حقيقياً عن المسيح المصلوب وعن مسيح القيامة وعن مسيح الفداء.

لكن اللهجة القرآنيّة ليست حادّة على الدوام. في الحقيقة، تتمّ مقاربة موضوع المسيح والمسيحيّين بطرق مختلفة. فهناك لهجة المصالحة، ولهجتا التطمين والدبلوماسيّة، وأيضاً لهجة الوعد والوعيد. وأبواب رحمة اللّه متروكة على الدوام مفتوحة. فمع كلّ شجب لناحية من نواحي «إلحاد» المسيحيّين، يُستثنى من ذلك «قلّة» منهم صحيحو الإيمان، والمشار إليهم في القرآن على أنّهم «الراسخون في العلم» (انظر سورة النساء ٤ : ١٦٢) والأكثر حكمة. فتراث المسيح رقّة قلبه ورأفته وتواضعه، أما السلام عليه فيأتي على لسانه كما يلي:

«والسلام عليّ يوم وُلِدتُ ويوم أموتُ ويوم أُبعثُ حيّاً» (سورة مريم ١٩ : ٣٣).

يدعو القرآن النصارى باستمرار إلى مراجعة كتابهم المقدّس بخصوص النبوءة عن قدوم محمّد، فقد منح اللّه المسيح ميزة الإعلان عن هذا القدوم (سورة الصفّ ٦١ : ٦). لذلك فالعلاقة بين هذين النبيّين علاقة حميمة. والقرآن يصنّف النصارى على أنّهم أقرب الناس للمسلمين، «ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهباناً» (سورة المائدة ٥ : ٨٢) نذروا أنفسهم للّه، «وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع» (سورة المائدة ٥ : ٨٣) لمعرفتهم بأنّه الحقّ[٢١].

وحصيلة الأمر أنّه من الصعب الاستنتاج من هذه الصور المتناقضة

خلاصة واحدة، أو الإتيان بوصفة تلخّص جوهر صورة المسيح في القرآن. وهناك في الإطار العام بعض الاستمراريّة بين القرآن من جهة وعدد من أسفار العهدين القديم والجديد، الأصيلة والمنحولة، من جهة أخرى. إن قراءة دقيقة للقرآن مبنية على الاعتناء بهيكليّته وصياغته قد تشير إلى أنّه أُنزل في محيط مليء بالنقاش والمحاججة، وأنّه كتاب يجاهد ليثبت سيادته في خضمّ تهكّم واستهزاء المشركين وتشدّق المجتمعات الدينيّة المتنازعة. فالإله هو دوماً رحيم، يقول القرآن، لكن الكثير من الضرر قد حصل نتيجة الجهل الديني والغلوّ، وحدث الكثير من الأذى من جانب الدجّالين والمنافقين. «وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً» (سورة الكهف ١٨ : ٥٤)، وهو حكم يؤكّده القرآن من خلال تدخّله لفضّ النقاش الإنساني الذي ليس له نهاية في بعض المواضيع ويترك الباقي للّه، ولتلقين المؤمن درساً في ما يجب قوله للردّ على تعيير وتحدّي الأعداء له. وأتباع المسيح المشار إليهم في القرآن هم مَثَل بارز لميل الإنسان نحو التحريف والمبالغة في الرسالة الواحدة التي أوحاها اللّه إلى أنبيائه أجمعين. مسيح القرآن هو حجّة على أتباعه الضّالّين هدفها إقناع الصادق منهم وإخافة غير التائب. لذا ومن هذا المنظور بالذات فهو لا يشترك بشيء تقريباً مع مسيح الأناجيل، الصحيحة منها والمنحولة. فالصورة القرآنيّة تحمل رسالتها الخاصّة والمصحِّحَة التي هدفها تقليم وتصويب وإعادة ترتيب وحي سابق انتهى إلى تشرذم وتخاصم أتباعه. والمسيح القرآني نجد ما يقابله في المسيحيّة «المستقيمة» orthodox وكذلك في المسيحيّة «غير المستقيمة» un-orthodox والمصادر المنحولة. لكن بعد ذلك يأخذ حياة ودوراً بعيدين عنها، وهو الشيء الذي يحدث عندما ينبثق فكر ديني من فكر آخر.

في دراسته عن *Shepherd of Hermas* وعلاقته بتقاليد قديمة، يستخدم العالم الشهير في علم الكتاب المقدّس مارتن ديبليوس Martin Dibelius مفردات تنطبق أيضاً على المسيح القرآني وتشعّباته الروحانيّة، مع الأخذ بالاعتبار الفارق بينهما. يقول ديبليوس: «ليس هناك من مبرّر لتفسير العلاقة القويّة بين هذا الكتاب والتقليد اليهودي أن نفترض أنّ مؤلّفه ينتمي إلى جماعة يهوديّة ـ مسيحيّة. فالعبارات الساميّة المألوفة المبنيّة على قراءة الكتاب المقدّس وعلى طقوس وعظات يهوديّة أخذها المسيحيّون اعتباراً من القرن الثاني للميلاد كإرث لهم. من هنا لا ينبغي لنا أن نعتبر أن كل وصيّ على هذا الإرث هو في الواقع نسيب للموصي»[٢٢]. وعلى هذا المنوال فإن مسيح القرآن وصيّ على الإرث وليس نسيباً للموصي.

المسيح في الإنجيل الإسلامي

فترة فجر الإسلام، أو الإسلام البدائي كما يُسمّى أحياناً، هي الآن أكثر المواضيع جدلاً في حقل الدراسات الإسلامية. ويدور هذا الجدل أساساً حول الرواية الإسلاميّة التقليديّة لنشوء الإسلام وتطوّر الفكر الإسلامي الديني. من جهة، غيّرت محاولات التحليل النقدي للنصّ القرآني والنتائج المتوصّل إليها الرواية التقليديّة عن تدوين القرآن وانتشاره وتجميعه في مصحف. من جهة أخرى، أظهرت بعض نظريّات وتقنيّات النقد الأدبي التي طُبّقت على الطبقة الأولى من مرويّات التراث الإسلامي وعلم التأريخ الجهد المستخدم من قبل الرواة المسلمين المتأخّرين في إعادة صياغة الأخبار الأصليّة وصهرها، لدرجة يستحيل معها في بعض الحالات معرفة الأصل. إذاً، اجتاحت نظريّتا التحليل النقدي والنقد الأدبي المستخدمتان في دراسات الكتاب

المقدّس حقل الدراسات الإسلاميّة، لكن النتائج في هذا الحقل متفاوتة[٢٣]. وفيما يخصّ مسيح الإنجيل الإسلاميّ فيبدو أنّه بدأ بالظهور في المئة والخمسين سنة الأولى من عمر الإسلام، لذا فهو ينتمي إلى فترة الإسلام «البدائي».

يمكن اعتبار الفترة الأولى من العصر الإسلامي فترة الانفتاح على الآخر. فالفتوحات السريعة والدراماتيكيّة وفقاً لمقاييس العالم القديم وضعت المسلمين في حالة من الاتّصال المباشر مع حضارات متنوّعة جدّاً. فبعد نحو جيلين من وفاة النبيّ محمّد في سنة ٦٣٢ للميلاد، نجد مراكز الجيش الإسلامي ومجموعات مسلمة منتشرة من إسبانيا، التي معظم سكّانها من الغوط الغربيّين المسيحيّين، وصولاً إلى أفغانستان، التي معظم أهلها في ذلك الوقت بوذيّون. كذلك هناك المسيحيّة واليهوديّة وتشعّباتهما في شمال إفريقيا وفي الشرق الأوسط، والسامريّون والصابئة والزردشتيّون في بلاد الشام والعراق وإيران. ونسأل: هل خرج الإسلام من رحم التاريخ كامل التطوّر كالإلهة أثينا التي خرجت بسلاحها الكامل من رأس الإله زيوس؟ الإجابة هي من دون شكّ النفي، فلا نظام الحكم ولا العلوم الشرعيّة والفقهيّة ولا العناصر المشكّلة للمعتقدات الإسلاميّة كانت في فترة الإسلام الأولى مفهومة ومزاولة على الدرجة ذاتها في جميع بلاد الفتوح الشاسعة[٢٤].

وفيما يخصّ القرآن، ليس هناك من داع للشكّ وذلك على الرغم من شكوك بعض المستشرقين بأنّه كان مجموعاً في نصف القرن الأول من عمر الإسلام في نسخة شبيهة إلى حدّ بعيد بالنصّ الذي لدينا الآن[٢٥]. لكن مكانته عند المسلمين لم تكن بالأهميّة نفسها التي احتلّها فيما بعد. لم يكن القرآن الدستور الأساسي أو الوحيد، بل نجد إلى جانبه المادّة التي سمّيت فيما بعد الحديث، وبعضها له صفة

الوحي. إذاً، فالوحي المُنزل على الأنبياء عامّةً وكلام بعض المسلمين الأوائل المشهورين بالتقوى وحِكم أخلاقيّة غير معروفة المصدر وقصص الأنبياء والأولياء، هذه كلها ساهمت وأغنت الإسلام: وتحديداً فيما يخصّ مفاهيم التقوى والعبادة والآداب العامّة. يمكن على هذا الأساس القول بأنّ المسلمين في القرن الإسلامي الأوّل كانوا متقبّلين للتراث الديني اليهودي والمسيحي ولأديان أخرى موجودة في الإمبراطوريّة الإسلاميّة الجديدة[٢٦]. ويجب الانتباه هنا إلى أنّ هذا التقبّل والتأثّر بما هو غير إسلامي لم يكن متراخياً أو غير مشروط. على العكس من ذلك، كان الإسلام «البدائي» قد أرسى عناصر أساسيّة في مجال الفكر الديني، وأساليب في ترتيب وتفسير الواقع، الأمر الذي جعل ذلك التقبل والتواصل ممكنين.

وعلى الرغم من أهميّة الانتباه إلى فترة الانفتاح الإسلامي هذه، يجب أن نتذكّر أيضاً أنّ المسيحيّة الشرقيّة في القرنين السابع والثامن للميلاد كانت، وفقاً لتعبير أحد أشهر الباحثين في مجالها، «غارقة» في جميع أنواع الكتب المنحولة، معظمها منسوب إلى روّاد المسيحيّة الأوائل من أجل إعطائها قيمة وفعاليّة[٢٧]. إذ إن ميادين التواصل بين الإسلام والمسيحيّة في صدر الإسلام لم يحدّدها القرآن فحسب، لكن أسهبت فيها أيضاً العوامل التاريخيّة الاجتماعيّة والروحانيّة وبالطبع أيضاً الصراع العسكري. وما رشح من مجتمع إلى آخر كانت تلك العناصر التي رآها كلّ منهما في تراث الآخر مكمّلة له ومفيدة، وذلك نظراً للعلاقة الروحانيّة الحميمة بينهما. ولم يجد المسلمون الأوائل من سبب بديهي لرفض تقبّل قصّة أو تقليد أو مثل أو موعظة مسيحيّة خصوصاً إذا كانت داخل نطاق الإطار الفكري والأخلاقي الذي أوجده الإسلام لنفسه.

يذكر القرآن باستمرار «التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» ويطلب من اليهود والنصارى التقيّد بما يجدونه فيها. هل كان الكتاب المقدّس معروفاً في فجر الإسلام؟ وبأيّ شكل؟ فإذا بدأ المرء من القرآن، يجد أنّه فيما عدا العلاقة العامّة بينه وبين الكتابين المقدّسيْن لليهوديّة وللمسيحيّة كأجزاء من الوحي، وكذلك العلاقة مع التقليدَين والتراثَين اليهودي والمسيحي، لا نجد إلاّ القليل من العبارات المأخوذة حرفيّاً من العهدين القديم والجديد. ثمة آيتان تبرزان بشكل لافت: الوصيّة بشأن العين بالعين... والسنّ بالسنّ (سورة المائدة ٥: ٤٥)، وقول المسيح بخصوص الأغنياء لا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخيّاط (سورة الأعراف ٧: ٤٠). ويشير هذا إلى أنّ مادّة الكتاب المقدّس التي أخذ منها القرآن بعض مادّته، معيداً صياغتها ضمن إطاره الخاص، كانت متشعّبة المصادر، وأنّه على الرغم من أنّ القرآن يشهد بمكانة التوراة والإنجيل، خصوصاً تأنيبه لليهود والنصارى وحثّهم على النظر فيهما للتأكّد من صحّة نبوّة محمّد، من غير الواضح ما يقصده القرآن عندما يشير إليهما. في الوقت ذاته يشير القرآن إلى التحريف الوارد في هذه الكتب ويُعطي مثلاً على ذلك التحريف (سورة النساء ٤: ٤٦)، ويدين أولئك الذين يزوّرون كتب الوحي (سورة البقرة ٢: ٧٩)[٢٨]. إذاً من المرجّح أن يكون الدافع الأساسي للتعاليم القرآنيّة بخصوص الوحي، أي دعوة أهل الكتاب للاعتراف وقبول القرآن كخاتم للوحي، يطغى على جميع الاعتبارات الأخرى. بكلام آخر، القرآن هو القاعدة النهائيّة التي على أساسها تقيّم كلّ كتب الوحي السابقة. وفي وقت تجلّياتها السابقة، يجب أن تشهد كتب الوحي الأولى هذه على نزول القرآن. وإذا لم تشهد على نزوله، فالحكم عليها أنها محرّفة.

لكن إذا وضعنا جانباً الإشكال الخاص عن نظرة القرآن لذاته وعلاقته بكتب الوحي السابقة، نطرح سؤالاً آخر: هل هناك من دليل على أنّ كتب الوحي السابقة كانت متوفّرة وباللغة العربيّة في فترة فجر الإسلام؟ البحث عن الجواب هنا أيضاً يبدأ من القرآن. ففي مقطع غريب لما له من إيحاءات عن علاقة ما بين النبيّ محمّد ومصدر غير معرّف (على الأغلب شخص يهودي أو مسيحي)، يدحض القرآن تهمة أن يكون محمّد يُلقَّن ما يقوله:

«ولقد نعلم أنّهم يقولون إنّما يعلّمه بشر لسان الذي يُلحِدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين» (سورة النحل ١٦ : ١٠٣).

فالموضوع هنا ليس «وجود» ذلك الشخص، بل اللغة التي استخدمها للتكلّم مع محمّد. والتراث الإسلامي حفظ العديد من الأخبار، ليست بالضرورة ملفقة، عن أفراد من مكّة لهم معرفة بالكتب المقدّسة لليهوديّة والمسيحيّة. وحسب الاعتقاد الإسلامي، كان لبعض هؤلاء الأفراد علاقة قريبة مع النبيّ محمّد حتّى أنّهم أثّروا بتجربته وروحانيّته. لكن ما ينفيه التراث الإسلامي قطعاً هو أنّه لم يكن لهؤلاء الأشخاص أي دور في إلهام أو إملاء الوحي على محمّد. كما لا يمكن الاستنتاج من هذه المعرفة بالتراثين اليهودي والمسيحيّ في مكّة ما إذا كان أيٌّ من أجزاء الكتاب المقدّس مترجماً إلى العربية أم لا. فالألفاظ والعبارات القرآنيّة التي لها ما يشابهها في الكتاب المقدس لا تدل هي الأخرى على وجود أو عدم وجود الكتاب المقدس باللغة العربية في تلك الفترة. والأرجح أن القرآن صاغ بعض ما كان متداولاً من تراث الكتاب المقدس، وأن هذا الكتاب لم يكن مترجماً إلى العربية لا جزئياً ولا بشكل كامل.

وليس ثمة من دليل على أنّ هذا الأمر قد تغيّر في القرنين الأوّلين

من العصر الإسلامي. فالأبحاث الحديثة تؤرّخ ظهور أوّل ترجمة للكتاب المقدّس إلى اللغة العربية، جزئيّة كانت أم كاملة، إلى حوالى منتصف القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد. إذاً بأيّ شكل عَرف المسلمون الكتاب المقدّس في القرنين الأوّلين؟ الأبحاث في هذا المجال متردّدة، خصوصاً كون التراث العربي الإسلامي من تلك الفترة تظهر فيه كلّ سنة تقريباً كتب ومؤلّفات مهمّة عديدة، إما يُعثر عليها صدفةً أو تحقّق من مخطوطات. فكثير من المؤلّفات العربيّة الإسلاميّة من قبل القرن التاسع للميلاد، وبالتحديد كتب التقوى والزهد، تشير إلى «التوراة» أو «الحكمة» عادةً بعبارة: «جاء في التوراة» أو «جاء في الحكمة»، وتتبعها العظة. وقد جهد المستشرقون الأوائل لتحديد أصل هذه العظات، وكانت النتيجة أنّ القليل منها يمكن تتبّع أصله حقّاً إلى الكتاب المقدّس. لكن الأمر تغيّر بعض الشيء مع مستشرقين معاصرين تمكّنوا من اقتراح مجموعة مصادر أخرى، لكن تحديد مصدر كلّ خبر بدقّة يبقى صعباً[٢٩].

وهذا الجهد العلمي المستمر له علاقة مباشرة بالإنجيل الإسلامي، كون كتب التقوى والزهد تلك والتي تشير ببعض الغموض إلى «التوراة» و«الحكمة» هي نفسها التي تنقل أخباراً وقصصاً منسوبة إلى أنبياء، أهمّها تلك المنسوبة إلى المسيح. وفي تعليقي على كلّ خبر في هذا الكتاب، قمت حيث أمكن بالإشارة إلى مصادر ممكنة أو أخبار مشابهة له. وقبل التحوّل إلى معالجة الإنجيل الإسلامي، من الضروري تقديم الإطار الذي يظهر فيه المسيح الإسلامي، والمؤلّفين الذين رسموا لنا صوره الأولى.

الإطار المبكّر

كما رأينا في الفقرات السابقة، بُنيت مفاهيم التقوى في العصر الإسلامي الأوّل على مصادر شتّى وذلك من أجل تفصيل التعاليم الأخلاقيّة الموجودة في القرآن. وهناك عوامل تاريخيّة حتّمت هذا الانفتاح على تراث الغير. هذه العوامل لها علاقة جوهريّة بالمنحى الذي نحاه التاريخ الإسلامي، بصرف النظر عن كون الإسلام مكمّلاً لليهوديّة والمسيحيّة. بدايةً هناك النصر السريع والدراماتيكي للفتوحات الإسلاميّة. ولكن هناك أيضاً الفتن الداخليّة التي قسمت المسلمين في صراع إقليمي وقبلي فيما بينهم، وفي بعض الأمصار بلغ الصراع حدود الصراع الطبقي. ومع الفتوحات، جاءت الغنائم العظيمة بسرعة وكثرة وبدرجة لم يحلم بها حتّى الفاتحون المسلمون أنفسهم، ومن بينهم من كان ينحدر من بيئة فقيرة في الجزيرة العربيّة. لذلك عَجز نظام الخلافة الأوّل (الخلفاء الراشدون) في نهاية المطاف، على الرغم من قدرته في البدء في السيطرة على الأمور بعد وفاة النبيّ محمّد، عن اللحاق بالتوسّع الكبير وإيجاد الوسائل الاقتصاديّة والإداريّة للسيطرة على الامبراطوريّة الشاسعة الحديثة العهد، والتي ضاهت تلك التي أنشأها الإسكندر المقدوني والرومان. وحدثت تغييرات كبيرة جداً، أهمّها انتقال عاصمة الإسلام من الجزيرة العربيّة (المدينة) إلى العراق (الكوفة) وبلاد الشام (دمشق). ونشأت أزمة عميقة بخصوص دور وصفة الحاكم والحكم. وكان من الضروري إيجاد مركزيّة ووحدة حكوميّة لإبقاء الإمبراطوريّة متماسكة. فتمّ استبدال نظام الخليفة الاستشاري بنظام حكم الأسرة المالكة المطلق المبني إلى حدّ كبير على النموذجين البيزنطي والفارسي[٣٠]. فظهرت الدولة القامعة بجيشها الخاص ونظامها الضرائبي وبيروقراطيّتها، وفيما يخصّنا هنا

مباشرةً، فقهائها الذين عمدوا إلى الدفاع عنها. فمنطق وشكل التقوى الإسلاميّة في تلك الفترة تأثّر جوهريّاً بهذه التغييرات العميقة والسريعة، فكانت النتيجة ظهور إطارات متنوّعة من الخيارات الأخلاقيّة.

أوّل نتاج العلوم الإسلاميّة هو الحديث. والعبارة بحدّ ذاتها لها دلالات كثيرة: فهي يمكن أن تعني خبراً، أو رواية أو قصّة، أو حديثاً منقولاً عن أحدهم، أو خطبة. ويمكن أن تكون إمّا مكتوبة أم شفهيّة. وبالإجمال، تُنوقِلتْ كلّ منها كوحدة مستقلّة بذاتها ومصحوبة على الأغلب بإسناد. والأحاديث الأولى كانت قصيرة الشكل، بين سطرين وثلاثة أسطر طولاً، ونادراً ما نجدها أطول من ذلك. أمّا من ناحية الفحوى، فيمكن تشبيه مادّة الأحاديث الأولى بكرةٍ من الخيوط المتعددة الألوان. بعضها يختصّ بالأمثال الأخلاقيّة، وبعضها بالفقه والتشريع، وبعضها مجرّد قصص عن أحداث ما، وبعضها عن أحوال القيامة وعن صفات الجنّة والنار. كذلك هناك منها ما يتعلّق بتعريف أصول العبادة، وأخرى مأخوذة من الكتب المقدّسة القديمة، وهكذا استمرّ نموّ مادّة الحديث كمّاً ونوعاً في القرنين الإسلاميّين الأوّلين، ولربّما كانت تخضع لقانون العرض والطلب. فالمجتمع الإسلامي الأوّل كان بحاجة ماسّة إلى إرشادات بخصوص ميادين كثيرة من الأمور، الخاص منها والعامّ، فكان دور مادّة الحديث تقديم الأجوبة. وبما أن علم الحديث هو البناء الأوّل في العلوم الإسلاميّة، فهو الآن موضع الكثير من الجدل في أوساط الباحثين الغربيّين المعاصرين. ويجب الانتباه إلى أنّ مادّة الحديث هذه أصبحت سريعاً المخزن الذي يحوي مختلف أنماط الحياة الروحية والتعبّد في صدر الإسلام، وكذلك الإطار الذي من خلاله تبلورت أمور الفقه والمذاهب والعقائد.

من هم «مؤلّفو» كتب الأحاديث الأولى؟ ما نعرفه هو أنّ رواة هذه الأحاديث الأولى سمّوا «علماء» و«فقهاء». وهم علماء دين حظوا باحترام كبير إما لصفاتهم العلمية الذاتية أو كأعضاء في حلقات معيّنة ترى نفسها معنيّة بالحفاظ على تراث علمي محدّد له علاقة بمنطقة أو مدينة أم بمذهب ديني أو سياسي. عمّن نقلوا هذه الأحاديث والسنن؟ نقلوها عن النبيّ محمّد وعن بعض الصحابة وعن مشاهير الأتقياء في فترة صدر الإسلام الملقّبين عادةً بـ «تابعي الصحابة»، وأيضاً عن الكتب المقدّسة السابقة والتراثين الدينيّين لليهوديّة والمسيحيّة.

بشكل عام، تنقسم الأنماط الأولى للفكر الروحي في الإسلام إلى قسمين أساسيّين متناقضين. الأوّل يمكن وصفه بمزاج الأمل القَلِق، وهو بالدرجة الأولى مشغول بمأساة الأحداث التي حوله: نصر سريع للفتوحات تبعها فتنة مذلّة بين المسلمين. وهذا المشهد غنيّ بالدروس الأخلاقيّة، أي بكلام آخر هو دعوة لمراجعة الضمير وفحص التاريخ. ورافقت هذا المزاج هالة الزهد، عبر الابتعاد عن بحبوحة الطبقة الغنيّة من المسلمين محمّلةً إيّاها مسؤوليّة الانحطاط الأخلاقي للمجتمع الإسلامي ومقارنة ذلك بالحياة البسيطة والمقتصدة للنبيّ محمّد وصحابته. النمط الآخر للفكر الروحي مزاج يقرّ بالواقع، ويعترف بضرورة وجود سلطة مركزيّة قويّة هي وحدها القادرة على توحيد المسلمين وفرض نظام واحد للإيمان والعبادة وإبعاد مخاض الفتنة الأهليّة. النمط الأوّل إذاً يمكن وصفه باللامبالي بالسياسة وينبذ العنف السياسي، وهو يعطي أهميّة أكبر لتحصين النفس وشحنها بالأخلاق الحميدة، بينما النمط الثاني همّه مساندة الدولة من منظور أنّ وجودها أفضل بكثير من عدمه. وأتباع النمط الأوّل جلّهم من القصّاص والقُرّاء والزهّاد، بينما أكثر أتباع النمط الثاني الفقهاء والعلماء. ويجب عدم

أخذ هذا التقسيم بشكل حرفي كون جميع هؤلاء مارسوا الوعظ والقصص. لكن ما هو جليّ لنا هو المقارنة السياسية بين العلماء المؤيّدين لفكرة الدولة من جهة وبين العلماء المعارضين للدولة في شكلها القمعي أو أولئك اللامبالين بالسياسة من جهة الأخرى. فالأحاديث التي روتها كلّ مجموعة جاءت لتدعم مواقفها وقناعاتها بخصوص أمور كوحدة الأمّة، واستقامة الحاكم، وحريّة الإرادة، وقضاء الله، والمعاصي، وأمور سياسيّة ـ دينيّة مشابهة شغلت أفق الإسلام والمسلمين في القرنين الأوّلَين(٣١).

أبواب الحديث التي تخصّنا هنا بشكل مباشر هما اثنان يمكن تسميتهما أحاديث حول «أحوال القيامة» وأحاديث «توراتيّة». ويظهر المسيح بشكل لافت في كليهما. فيما يخصّ الباب الأوّل، أي أحاديث «أحوال القيامة»، أصبح المسيح بسرعة شخصيّة مركزيّة في الرواية الإسلاميّة لنهاية العالم. فدوره في ذلك الوقت، أي عند نزوله ثانيةً وهو أمر يرد من دون تفاصيل في الأناجيل، قد شغل مخيّلة الكنائس الشرقيّة، ومن هناك لربما رشح إلى الأحاديث الإسلاميّة(٣٢). ويجب التأكيد أيضاً على أنّ المسيح القرآني، كما مثلاً في سورة الزخرف ٤٣ : ٦١ المذكورة آنفاً، لا يقلّ أهمّيّةً في المساعدة على ترسيخ صورته كـ «علم للساعة». وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه بشكل عام، شغلت شخصيّتان مركزيّتان المفهوم الإسلامي لنهاية العالم: المهدي والمسيح. والتراث الإسلامي أعطى لكلّ منهما دوراً يلعبه، وصولاً إلى فناء العالم. ولدى تجميع وتنقيح كتب الحديث في مؤلّفات مقسّمة بشكل دقيق إلى أجزاء وأبواب، كـ صحيح البخاري وصحيح مسلم في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، استمرّ مسيح «نهاية العالم» على حساب مسيح الأحاديث «التوراتيّة» (التي منها خرج

الإنجيل الإسلامي). في تلك الفترة، أصبح علم الحديث علماً متخصّصاً ومركّزاً على أحاديث النبيّ محمّد، وتمّ إبعاد الأحاديث الأخرى، التي استمرّت طبعاً لكن في أدبيّات وعلوم أخرى.

منذ ذلك الوقت فصاعداً، ذهب كلّ من هذين المسيحين في اتّجاه مختلف. هناك مسيح «نهاية العالم» يتربّع معزّزاً في كتب الحديث الصحيحة، وبذلك يُصبح هامشيّاً فيما يتعلّق بأمور العبادة والتقوى الإسلاميّة. وهناك مسيح آخر مزدهر في كتب الزهد والتقوى وفي ضرب من الكتابات الدينيّة يدعى «قصص الأنبياء». ويلعب هذا المسيح الثاني دوراً مركزيّاً ليس فقط كمعلّم للأخلاق ولكن أيضاً كطرف فاعل في النقاش الإسلامي الداخلي[٣٣]. إذاً هذا المسيح الآخر هو مسيح التقوى والعبادة الذي استمرّت أخباره وقصصه في الظهور في الأدبيّات العربيّة الإسلاميّة حتّى العصر ما قبل الحديث، أي حتّى القرن الثامن عشر؛ وأخباره وقصصه هي التي نسمّيها هنا الإنجيل الإسلامي.

الجدير ذكره أنّ المسيح لا يظهر وحده في أدبيّات الزهد والتقوى. إذ نجد معه أنبياء آخرين تُنسب إليهم أيضاً أخبار وقصص، أهمّهم موسى وداود وسليمان وأيّوب ولقمان ويوحنّا (يحيى) المعمدان. بالإضافة إلى ذلك، نجد أيضاً في كتب الزهد والتقوى المبكرة أحاديث منسوبة إلى النبيّ محمّد عن هذه المواضيع، وأخرى منسوبة إلى جماعة من الصحابة ومشاهير «الأولياء» من صدر الإسلام. وهذا الكمّ من الأخبار يشبه كتب عيون الأخبار في الأدب، وبالعادة هو مقسّم إلى أبواب، كفضل العبادة، والحزن والبكاء، وأمور الدنيا والآخرة، والخشية والخوف من الله، والتواضع، وفضائل الصمت والصدق، وذكر الموت، وفضائل الفقر، والتوبة، إلى آخره. ويمكن

اعتبار هذه الأبواب بشكل أو بآخر خلاصة للمواضيع التي شغلت أوساط الزهّاد المسلمين الأوائل.

في «قصص الأنبياء»، أُعطي كلّ نبيّ فصلاً بذاته، كما ازداد عددهم. ومن بين هؤلاء، فإن قصص وأخبار آدم ونوح وإبراهيم والخضر ويونس وأشعيا وعزرا هي الأكثر بروزاً[٣٤]. ومن المرجّح أنّ أدبيّات الزهد والتقوى سبقت في الزمن أدبيّات «قصص الأنبياء»، لكن مع تطوّرهما، تبادلاً فيما بينهما في بعض الأثناء الأخبار والقصص نفسها. وليس ثمة من داعٍ يمنع من تحديد تاريخ بداية كلّ من هذين النوعين في أواخر القرن الأوّل أو أوائل القرن الثاني للهجرة (أي أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن للميلاد). ويجدر الانتباه هنا إلى أنّ الرواة اللاحقين لهذه الأخبار والقصص نقّحوا فيها وأعادوا صياغتها طلباً للجماليّة الأدبيّة. وفيما يخصّ المسيح مقارنةً بالأنبياء الآخرين، يظهر مجدّداً هنا أنّ أخباره وقصصه هي أيضاً مميّزة في الإنجيل الإسلامي، كما هي الحال في تمايزه عن الأنبياء الآخرين في القرآن. ولتوضيح هذا الأمر، سنعمد إلى فحص الشكل الأدبي العام وفترة نشوء الأخبار المنسوبة إلى أنبياء آخرين.

الصورة التي نلاحظها بدايةً في المصادر الأولى التي تدوّن أخبار هؤلاء الأنبياء أنّ كلاً منهم يمثّل حالة أخلاقيّة محدودة. داود مثلاً يمثّل التوبة، وأيّوب الفرج بعد الشدّة، ونوح الامتنان، وآدم الندم على المعصية، ولقمان الحكمة القديمة، ولربّما الحكمة الفارسيّة، وإلى ما هناك[٣٥]. وتعتمد هذه الأخبار والقصص على القرآن من أجل التفاصيل والإسهاب. ففي حالات عديدة، نجد اللّه يتكلّم إلى هؤلاء الأنبياء محذّراً أو مناصراً أو منبّهاً. فالجوّ العام واللغة والطقوس والمزاج، وإلى ما هنالك من أمور، كلّها إسلاميّة. ومن حين إلى

حين، يتمّ الاعتماد على علم الجغرافيا المعاصر لفترة تلك المصادر الأولى من أجل تحديد بعض الأماكن المذكورة في إحدى القصص. والعديد من هذه القصص مطعّمة بأحاديث، بعضها منسوب إلى النبيّ محمّد وأخرى منسوبة إلى مشاهير من أهل التقوى في صدر الإسلام. إذاً ما نحن بصدده ليس قصصاً وأخباراً للأنبياء متروكة لتلعب دوراً بحدّ ذاتها، بل إنّها مليئة بالتعليقات والإضافات والشروحات اللغويّة، وملحقة بأرقام وأعمار وتواريخ، ومدعّمة بإشارات متواصلة إلى القرآن، ومصاغة بشكل يهدف إلى إبراز التنبّؤ بقدوم محمّد. وفي بعض الحالات، يُلاحظ كيف يتمّ تنقيح هذه القصص لتصبح متجانسة مع مقاييس رواية الحديث الصارمة وإعطائها أسانيد حسنة[٣٦].

وخلال نموّ وتوسّع قصص الأنبياء هذه، تبدو وكأنها قد اصطبغت بأجواء فكرية أخرى غير التأثير القادم من الحديث النبوي. ففي مجموعة قصص الأنبياء للكسائي مثلاً (عاش بين القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد)، يظهر عليها جليّاً النَفَس الأدبي[٣٧]. فالواضح أنّ هذه القصص والأخبار تكسب مع الوقت مزيداً من التنقيح والأهميّة الأدبيّة، وفي بعض الحالات تُصبح مشابهة لأدبيّات الحكمة؛ وهذا الشيء واضح مثلاً في حالة لقمان. وتظهر بوضح أيضاً مساهمة أنواع أخرى من الأدب، كأدبيّات «الأوائل» مثلاً التي تذكر أوّل من عمل أو قال شيئاً بخصوص موضوع ما. ويلاحظ كذلك في بعض هذه القصص ظهور أبيات من الشعر على لسان الأنبياء أو معاصريهم لزيادة قيمتها الأدبيّة. وبُعِث معظم الأنبياء حين بلغوا سنّ الأربعين، فكأنّ هذه النمطيّة تصبح إجماعاً يؤكّد نبوّة محمّد كونه هو أيضاً بُعِث في سنّ الأربعين. وبعض الصفات لنبيّ ما تتكرّر في حالة نبيّ آخر، والهدف من ذلك هو تثبيت «علامات» محدّدة للنبوّة يعجز عن معرفتها

فقط الجاهل أو المعاند. ويلعب الشيطان الدور الأساسي كغاوٍ وغشّاش ومشعوذ لإعطاء بُعد دراماتيكيّ لكلّ قصّة. والشهادة التي تتكرّر هي: «لا إله إلاّ اللّه، إبراهيم (أو صالح أو هود أو أي نبيّ آخر) رسول اللّه». وهذا يساعد في خلق إجماع بخصوص تطابق أمور العبادة يكون خاضعاً للتعريف القرآني لمنطق النبوّة وتتابعها.

الكتاب الأكثر شهرةً عن قصص الأنبياء هو الذي ألّفه الثعلبي (ت. القرن الخامس للهجرة/ القرن الحادي عشر للميلاد). ويخلط الثعلبي الأدب والتصوّف بطريقة تُعطي هذه القصص نقاوة في الصياغة وتُظهر نظاماً أخلاقياً محدّداً يتعلّق بالتصوّف. والقصص منظّمة على شكل مجالس ذِكر. ويدخل المزاج الصوفي في كلّ من هذه القصص، فنراها تركّز على دناءة حياة الدنيا، ولانهائيّة رحمة اللّه، ووجود الدنيا بسبب النبيّ محمّد، إضافة إلى ذكر العديد من أسماء أهل التصوّف الذين يروون هذه القصص، وأخبار الزهد التي هي ميزة جميع الأنبياء. ويتبع هذه القصص في مجموعة الثعلبي تعليقات مسهبة، أكثر ممّا هي الحال في كتب قصص الأنبياء الأخرى، منسوبة إلى أشخاص يُعتبرون آباء مذهب التصوّف. فأسلوب التنقيح واضح، كما هو الأمر في جعل القصص متجانسة مع معتقد إسلامي محدّد. وفي واقع الأمر، تظهر هذه القصص كمواعظ صوفيّة أكثر منها كأخبار عن الأنبياء. فمع الثعلبي، يصل هذا الضرب من الأدب الديني إلى قمّة مستواه من التطوّر، لا يتعدّاه بعد ذلك إلاّ بقليل في فترة ما قبل العصر الحديث[٣٨].

النشوء والتطوّر

وفي خضم هذا الأدب ككل يمتاز المسيح لا في عدد أحاديثه فحسب بل وفي نوعيّتها. فقد رأينا أعلاه أن قصص وأحاديث الأنبياء

الآخرين مقيّدة في الغالب ضمن أنماط ضيقة ومحدودة في مجال الأخلاق. فشموليّة مواضيع أخبار المسيح ونموّها المتزايد عبر السنين لا يوازيهما في التراث الإسلامي أخبار أيّ نبيّ آخر، طبعاً إلاّ أخبار النبيّ محمّد. ولتفسير هذا الأمر، سنركّز على عاملين تاريخيّين.

أوّلاً، يهدف القرآن كما ذكرنا آنفاً إلى تصويب العقيدة الدينيّة المتعلّقة بشخص المسيح، ولا يذكر إلاّ القليل عن نبوّته وتعاليمه وآلامه. لذلك ظهر الإنجيل الإسلامي على الأرجح ليسدّ الفراغ ويفصّل المادّة القرآنيّة عن حياة المسيح. من هذا المنظار، يمكن مقارنة الإنجيل الإسلامي بالأناجيل المنحولة في التراث المسيحي الديني التي على الأرجح ظهرت للغرض نفسه؛ أي لزيادة التفصيل في مادّة أناجيل العهد الجديد[٣٩].

ثانياً، يجب أن نتصوّر أنّ السياق العام الذي أنتج الإنجيل الإسلامي لم يأتِ من خلال ظهور مفاجئ بل من خلال انبثاق؛ أي من رشحٍ من تراث ديني إلى تراث ديني آخر عبر مصادر مكتوبة وأخرى غير مكتوبة. فالوجود المسيحي الكثيف في قلب العالم الإسلامي في القرون الإسلاميّة الثلاثة الأولى، أي في بلاد الشام والعراق ومصر، خلق أرضيّة لتواصل حميم للمسلمين مع مجتمعات مسيحيّة حيّة مشبّعة بصور ومعتقدات غنيّة ومتشعّبة عن المسيح. ومن دون شكّ، لعب النمو البطيء والمتطارِد في عدد المسيحيّين المعتنقين للدين الإسلامي دوراً مهمّاً في نقل هذه الصور، كما يلاحظ من أسماء بعض الأشخاص من أصل مسيحي المذكورين في عدد من أسانيد أخبار وقصص المسيح. ويجب الانتباه إلى أنّ اهتمام القرآن بشخص المسيح بقي عاملاً أساسيّاً في الترغيب على تجميع وتناقل أخباره في إطار إسلامي.

وفي السنوات القليلة الماضية، تم تحقيق وطبع عدد من الكتب الإسلاميّة عن التقوى والزهد من القرنين الثاني والثالث للهجرة (الثامن والتاسع للميلاد)، الأمر الذي قرّبنا أكثر من أيّ وقت مضى إلى فترة انبعاث المسيح الإسلامي. وفي حين اعتمد المستشرقون أمثال مرغوليوث وأسين مثلاً في تجميعهم لمادّة المسيح على مصادر إسلاميّة متأخّرة حيث الأسانيد قليلة أو غير موجودة أساساً، تُبْقي هذه المجموعة الجديدة من كتب التقوى والزهد على الأسانيد كاملةً وهو ما يمكّننا من رسم صورة أوضح وأشمل عن أماكن وكيفيّة تناقل أخبار المسيح. وقد قمت في بحث آخر بتحليل الأسانيد الأولى المتعلّقة بهذه الأخبار، ويمكن للقارئ المهتم مراجعتها هناك[٤٠]. وسأذكر هنا بعض الملاحظات العامّة عن الرواة الأوائل للإنجيل الإسلاميّ وانتمائهم الجغرافي.

عند فحص تراجم رواة الأخبار الأولى عن المسيح نجد أنّ حياتهم العمليّة بالإجمال هي من فترة نصف القرن الإسلامي الأوّل إلى نصف القرن الثاني (تقريباً بين ٦٧٥ و٧٧٥ للميلاد). ووفقاً للتقليد الإسلامي الشائع في علم الطبقات، يكون تصنيفهم إمّا «التابعين» أو «تابعي التابعين». وفي معظم الحالات، يروي هؤلاء الرواة الأخبار والقصص عن المسيح على مسؤوليّتهم الشخصيّة ومن دون إسنادها إلى أحد صحابة النبيّ محمّد، الذين يمرّ عبرهم عادةً الحديث النبوي. إن رواية هذه الأخبار من دون إسناد قد تشير إلى طابعها القديم. بمعنى آخر، تمّ تناقل أخبار المسيح في أوساط المسلمين بحريّة ومن دون تطبيق المقاييس المتشدّدة التي كان يُتوقّع من الحديث النبوي الالتزام بها.

وتشير كلّ الاحتمالات إلى أن مكان ظهور الإنجيل الإسلامي هو العراق، وبالتحديد مدينة الكوفة. فمعظم الرواة المؤسّسين لأخبار

وقصص المسيح في التراث الإسلامي هم من أهل الكوفة، على الرغم من وجود قلّة من الرواة المميّزين من البصرة ومكّة والمدينة وسوريا ومصر. وتحديد الكوفة كمركز لنشوء الإنجيل الإسلامي ليس بمفاجئ على الباحث في تاريخ صدر الإسلام حيث إنّ دورها كمسرح أساسي في نشوء وتطوّر عدد كبير من العلوم الإسلاميّة معروف جيّداً، فقد تبوأ علماؤها مركز الصدارة في تطوير العلوم الدينيّة كالحديث والتفسير والكلام والفقه وكذلك العلوم «العلمانيّة» كالنحو والتأريخ والأنساب والأدب. وكانت الكوفة أيضاً الموطن الرئيسي الذي انطلقت منه المدرستان اللتان أنتجتا فيما بعد المذهبين السنّي والشيعي(٤١).

وتضفي كتب التراجم على معظم هؤلاء الكوفيين صفة الزهّاد والعبّاد وتعرّف الكثير منهم بأنهم وعّاظ أو قُراء، وهم ينتمون إلى فئة «العامّة» مقارنةً «بعلماء الدولة». وتنسب إليهم أيضاً خطب أخلاقيّة قصيرة، كما روى بعضهم على مسؤوليّته الشخصيّة أحاديث قدسيّة حيث المتكلّم هو اللّه، مما قد يدلّ على رفعة مكانتهم بين العلماء. كان هؤلاء الوعّاظ والزهّاد أوعية متنقّلة للعلم، رحلوا من مكان إلى آخهر مؤنّبين الحكّام المحلّيين حيث حلّوا، أو معتزلين الحياة السياسيّة ومعلنين صدمتهم ورفضهم لحياة البذخ والتدهور الأخلاقي للطبقة الحاكمة. وكان جوهر تعاليمهم يتمحور حول التقوى الذاتيّة، ومن هذا المنظار صبّوا جام غضبهم على الطبقة الجديدة من علماء الدين المسلمين الذين، من أجل زيادة نفوذهم، هادنوا الحكّام ووضعوا علمهم بتصرّفهم ولأهداف سياسيّة جائرة. لذلك نجد في المجموعة الأولى من أخبار الإنجيل الإسلامي الكثير من النقد للعلماء الذين يستخدمون الدين للتضليل أو الذين يقولون ما لا يفعلون. ورفض معظم هؤلاء الوعّاظ والزهّاد المسلمين خدمة الدولة حتّى في أمور

كالقضاء والفقه، كما كان الأمر مع زهّاد الصحراء المسيحيّين في مصر في القرنين الرابع والخامس للميلاد الذين كانوا دائماً على خلاف مع الكنيسة الرسميّة ورفضوا العمل كأساقفة ومطارنة. لذلك وجد هؤلاء الوعّاظ والزهّاد المسلمون في أخبار الأناجيل عن المسيح وصراعه المتكرّر مع الفريسيّين مادّة خصبة بنوا عليها الكثير من أمثلتهم الأخلاقية. ولم يكن هناك من نبيّ أكثر من المسيح يجسّد الصراع بين النص والروح، وبين الإنسان المخلوق لخدمة نهار السبت ونهار السبت الموجود لخدمة الإنسان، وبين ممالك هذه الدنيا وملكوت السماء.

لكن لا يمكن وصف المجموعة المتأخّرة من أخبار وقصص المسيح في الإنجيل الإسلامي بالدقة والتفصيل نفسيهما. فمن الملاحظ أن هذه الأخبار والقصص واكبت الحالة الروحانيّة والفكريّة للمجتمعات الإسلاميّة. لذلك من غير الممكن تعميم ملاحظات عن غرض ودوافع الروّاة المتأخّرين. لكني سأطرح بعض الأفكار في التعليقات الملحقة بهذه الأخبار.

أخبار وقصص المسيح الأولى: الطابع والدلالة

تنتمي القصص والأخبار الأولى عن المسيح، وعددها تقريباً ٨٥ خبراً، إلى كتابين أساسيّين في الزهد والتقوى من فترة صدر الإسلام، وهما كتاب الزهد والرقائق لعبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/ ٧٩٧) وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥). بشكل عام، يمكن تقسيم هذه الأخبار إلى أربع مجموعات:

١ ـ أحاديث تركّز على نهاية العالم ويوم القيامة.

٢ ـ أحاديث أصلها من الأناجيل أو شبيهة بقصص في الأناجيل.

٣ ـ أحاديث وقصص عن الزهد.

٤ ـ أحاديث تعكس مواضيع وأفكاراً تدخل في صلب الخلاف بين المسلمين.

١ ـ يمكن وصف المجموعة الأولى بأنّها تُبرِز وتزيد من دور المسيح في نهاية العالم، وهو ما يشير إليه القرآن بشكل عام. تشدّد بعض هذه الأخبار على أنّ المسيح ليس بأعلم من أيّ بشر آخر عن وقت قيام الساعة. فذكر الساعة وميقاتها يثير الرعب فيه ويحمله على تكثيف الصلاة: «كان عيسى بن مريم إذا ذكر الساعة صاح ويقول: لا ينبغي لابن مريم أن تُذكر عنده الساعة، فيسكت» (انظر رقم ٦). وفي يوم القيامة، سيكون المسيح الشخص الذي يلتقي حوله المؤمنون، تحديداً «الفرّارون بدينهم يُجمعون إلى عيسى عليه السلام يوم القيامة» (انظر رقم ٥٥). بمعنى آخر هو عرّاب كلّ الذين رفضوا الدنيا وما فيها خوفاً من الفساد الأخلاقي. ودوره في نهاية العالم موثّق في أحاديث نبويّة[٤٢]: وخصوصاً في باب صفة الدجال وقتله.

٢ ـ تشمل المجموعة الثانية أحاديث وقصصاً أصلها من الأناجيل، إمّا موسّعة أو معدّلة بطريقة تعطيها طابعاً إسلامياً. هذه الأحاديث والأخبار من أصل إنجيلي لربما كانت متوفّرة أساساً كجزء من مجموعة من أقوال المسيح، ربّما في إطار كتاب يتضمن فصولاً من الإنجيل لغرض القداس، أو كانت معروفة كجزء من مادّة الأناجيل في أوساط حلقات الزهد والتقوى الإسلامية. وتحوي هذه المجموعة أقوالاً مثل «أنتم ملح الأرض...» (إنجيل متّى ٥: ١٣؛ انظر أيضاً رقم ٧)، «انظروا إلى طيور السماء...» (إنجيل متّى ٦: ٢٦؛ انظر أيضاً رقم ١٥)، «إذا صمت فادهن رأسك...» (إنجيل متّى ٦: ١٧؛ انظر أيضاً رقم ٤)، «إذا تصدّقت فلا تعلم شمالك ما تفعل

يمينك. . .» (إنجيل متّى ٦: ٣؛ انظر أيضاً رقم ٢٩)، «اكنزوا لأنفسكم كنوزاً في السماء. . . فحيث يكون كنزك يكون قلبك» (إنجيل متّى ٦: ٢٠-٢١؛ انظر أيضاً رقم ٣٣)، «طوبى للبطن الذي حملك وللثديين اللذين رضعتهما» (إنجيل لوقا ١١: ٢٧؛ انظر أيضاً رقم ٥٩)، «تتلمذوا لي فإنّي وديع متواضع القلب. . .» (إنجيل متّى ١١: ٢٩؛ انظر أيضاً رقم ٤٥). الفكرة التي يكوّنها المرء من هذه المجموعة التي أصلها من الأناجيل أنّ معظمها يأتي من إنجيل متّى، بالتحديد من الموعظة على الجبل[٤٣].

وفيما بعد تمّت أسلمة هذا الأساس الإنجيلي بطرق عديدة. فمثلاً يجيب المسيح في إنجيل متّى المرأة التي باركته بقوله: «بل طوبى لمن يسمع كلمة اللّه ويحفظها» (إنجيل لوقا ١١: ٢٨). لكن إجابة مسيح الإنجيل الإسلامي هي أكثر تحديداً وبنكهة إسلاميّة واضحة: «طوبى لمن قرأ القرآن ثمّ عمل بما فيه»[٤٤]. وكذلك الأمر بخصوص إضفاء المصداقية على بعض الأخبار عبر إضافة تعليقات عليها شبيهة بأسلوب كلام المسيح كما في: «بحقّ أقول لكم ـ وكان عيسى كثيراً ما يقول: بحقّ أقول لكم» (انظر رقم ٥١)[٤٥]. لكن لنتفحّص الحديث التالي: «قيل لعيسى بن مريم عليه السلام: يا رسول اللّه، لو اتّخذت حماراً تركبه لحاجتك؟ قال: أنا أكرم على اللّه من أن يجعل لي شيئاً يشغلني به» (انظر رقم ٣٠)[٤٦]. من الصعب تحديد ما إذا كان لهذا الحديث، واضعين جانباً تركيزه على الزهد، صلة بدخول المسيح إلى القدس وبالموقف الإسلامي الرافض لكامل رواية أسبوع آلامه، والتي لا يوجد لها أثر في الإنجيل الإسلامي.

٣ ـ المجموعة الثالثة هي الأكبر بين هذه المجموعات الأربع، وتحتوي على أقوال وقصص يمكن وصفها بأنّها تشكّل أطر شخصيّة

المسيح كعرّاب للزهّاد المسلمين. وتركّز هذه المجموعة على الرفض الكامل والمطلق لهذه الدنيا. فالتعاطف والتماثل مع الفقراء هما في صلب رسالته. ويصبح الفقر والتواضع والصمت والصبر الأركان الأخلاقية الأربعة المكوِّنة لتلك الرسالة. فالعالم هو حطام، وكلّ ما ينتمي إليه يجب نبذه. وعلى المؤمن إبقاء الآخرة في باله وأمام عينيه كأنّه في هذه الدنيا عابر سبيل أو غريب أو ضيف. أمّا من جهة الأسلوب الأدبي، فيلاحظ غياب الأمثال عن هذه الأقوال والقصص، فالأمثال كما نعلم هي أهم خصائص أخبار المسيح وأسلوبه الخطابي في الأناجيل. على العكس من ذلك، نجد أخباراً يلتقي فيها المسيح أشخاصاً أو حالات معيّنة، وتُبرِز هذه الأخبار، كلّ منها كوحدة بذاتها، الفحوى من القصّة بدلاً من طرحها على شكل المثل. أمّا فيما يتعلّق بأصلها وطريقة نشرها، فإننا نجد بعض أقوال هذه المجموعة منسوبة أيضاً إلى النبيّ محمّد والإمام علي بن أبي طالب وأشخاص مرموقين من فترة صدر الإسلام[٤٧].

٤ ـ تجدر الإشارة إلى علاقة خفيّة بين بعض هذه الأخبار والقصص وبين الخلافات العقائدية في صفوف المسلمين أنفسهم. فالمسيح الإسلامي لم يكن مجرّد نموذج بعيد المنال للأخلاق، بل كان شخصيّة أعطت دعمها في بعض الحالات لفِرَق إسلاميّة وضدّ فِرَق أخرى بخصوص مواضيع تتعلّق بالخلاف الإسلامي الداخلي. لذلك نرى المسيح يقف موقفاً من أمور ساخنة وشائكة ومنها مثلاً دور العلماء في المجتمع وعلاقتهم بالدولة، والجدل بخصوص الاستطاعة والقدر، وموضوع الإيمان والمعصية، ومصير صاحب المعصية أكان مؤمناً عادياً أم حاكماً. فمواضيع الخلاف هذه فرّقت المسلمين إلى عدّة مذاهب وكانت من بين الأسباب التي فجّرت الحروب والفتن فيما

بينهم والتي هيمنت حتى منتصف القرن الثاني للهجرة. فهل بالإمكان على هذا الأساس وبحذر شديد محاولة رسم الشخصيّة الخلافيّة للمسيح الإسلامي في هذه الفترة الأولى؟

قد قمت باستعراض الدلائل المتعلّقة بالآراء المذكورة آنفاً في عمل آخر، لكن من الضروري ذكر البعض منها هنا[٤٨]. لم يكن الإنجيل الإسلامي كوحدة كاملة، في حوزة أو تحت سيطرة فريق أو مذهب إسلامي معيّن. وعلى الأرجح، استخدم الرواة المسلمون الأوائل لأقوال وقصص المسيح، الذين رووها عادة على مسؤوليّتهم الشخصيّة، شيئاً من الحذق عندما عزوا بعض الآراء إلى المسيح. ومن الصعب في كثير من الحالات تحديد عقيدة أو غرض الراوي المسلم. لم يكن المسيح في بيئته الإسلاميّة مجرد شخصية تُعزى إليها بشكل عشوائي ومن دون هدف بعض مقتطفات تتعلّق بالحكمة أو بأمور الخلاف بين المسلمين، بل تمّ اختياره على العكس من ذلك تماماً لأنّه يمثّل منحىً محدّداً في التقوى وفيما يتعلّق بالمواضيع التي أثيرت بين المسلمين، وذلك لأنّه كان معروفاً في الأدبيّات العامّة كوحدة أخلاقيّة، وكشخصيّة لها أطر معروفة ومحدّدة جدّاً. لذلك يمكننا وصف منحى المسيح الإسلامي الأوّل بأنّه كان منحى يتماشى مع عدد من العقائد الإسلاميّة.

أوّلاً، يتوافق هذا المنحى مع عقيدة الإرجاء، وهو مذهب فريق من المسلمين امتنعوا عن الانزلاق في الفتن ورفضوا وصف أيّ مسلم بالكفر بسبب اختلافه في أمور العقيدة والإيمان عن أفكارهم، إلاّ إذا كان الأمر يتعلّق بوحدانيّة اللّه. ولم تكن المرجئة، وهو الاسم الذي أطلق على هذه الفرقة، فرقة متجانسة لكنهم التقوا في الغالب حول فكرة عدم الخروج على الدولة، من دون الخوض في موضوع أخلاقية

الحاكم[٤٩]. بشكل عام، يمكن وصف المرجئة أساساً كفريق مهادن، مستعدّ أن يسالم الأسرة الحاكمة وحتّى أن يخدمها. ويدعم هذا المنحى عدد من الأقوال في الإنجيل الإسلامي، مثل: «قال عيسى بن مريم للحواريين: كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فدعوا لهم الدنيا» (انظر رقم ٨). و«فأمّا الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنّهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم» (الملحق، ابن أبي الدنيا). أمّا فيما يخصّ إرجاء الحكم على صاحب الكبيرة إلى اللّه، وهو في صلب مذهب الإرجاء والذي أعطاه اسمه، فهو مذكور في أقدم قول وصلنا عن المسيح: «رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق، فقال له عيسى: سرقت؟ فقال: كلاّ والذي لا إله إلاّ هو. فقال عيسى: آمنت باللّه وكذّبت عيني» (انظر رقم ١). وهذا التأكيد الظاهر لأولويّة الإيمان مقارنةً بإدانة المعصية، حتّى تلك المرتكبة بشكل فاضح، موثّق في أحاديث أخرى مثل: «ألا ترون ربّكم كيف أشرق شمسه على أعدائه وقسم رزقه عليهم لا يحرمهم بمعصيتهم إيّاه ويدعوهم إلى التوبة لا ينجيهم ويدخلهم الجنّة»[٥٠]. وربّما ساهم الزهد أيضاً في تهيئة هؤلاء الرواة المسلمين لرفض ما يمتّ بصلة إلى هذه الدنيا وترك حساب معاصي البشر للّه، وبذلك تقبّلوا نوعاً من الفصل في العمل بحيث يكون للملوك الحكم بينما يكتفي أهل التقوى بالحكمة. ويمكن القول إنّها إعادة صياغة إسلاميّة لوصيّة المسيح «أعطِ ما لقيصر لقيصر»، والتي فهمها هؤلاء الرواة الزهّاد على أنها تعني ضرورة فصل الخاصّ عن العام فيما يتعلّق بالحقوق والمسؤوليّات.

ثانياً، وتناغماً مع هذا الوصف للمجال الأخلاقي، تُبرز مجموعة من هذه الأخبار الأولى، كما رأينا سابقاً، مقداراً كبيراً من الغضب تجاه علماء الدين الذين ابتعدوا عن دورهم وذهبوا إلى حدّ وضع

خدماتهم وعلمهم بتصرّف الدولة والحكّام، وبذلك أعرضوا عن واجبهم تجاه مجتمعاتهم طلباً للمنفعة الذاتيّة. يمكن سرد بعض هذه الأخبار هنا كنماذج: «لا تأكلوا بكتاب اللّه» (انظر رقم ١٦)، «قيل لعيسى بن مريم صلوات اللّه عليه: يا روح اللّه وكلمته، من أشدّ الناس فتنة؟ قال: زلّة العالم، إذا زلّ العالم زلّ بزلّته عالم كثير» (انظر رقم ١٧)[٥١]. فالمعرفة تتطلّب مسؤوليّة عظيمة، خصوصاً فيما يتعلّق بعلوم الدين، أقلّها التفرّغ الكامل. ويجب التشديد على أنّ هذه المفاهيم عن عالم الدين المثالي هي من أقدم المفاهيم في التراث الإسلامي عامّةً. فمثلاً نجد في خبر كالتالي، «قال عيسى بن مريم للحواريين: لا تأخذوا ممّن تُعلِّمون من الأجر إلاّ مثل الذي أعطيتموني» (انظر رقم ٧)، أنّ العلوم الدينيّة يجب نشرها من دون أجر، وهو مفهوم أثار جدلاً حاداً وطويلاً بين العلماء المسلمين.

ثالثاً، لربما أدخلت الأقوال التي تبدو وكأنّها تعالج مواضيع تتعلّق بالخلافات الداخلية بين المسلمين داخل خطب أو أخبار مناسِبة بحدّ ذاتها لتُسْتَخدم كمواعظ. وكان موضوع القدر من المواضيع البارزة في هذا الجدل السياسي ـ الكلامي. فالفريق المتبنّي لفكرة حريّة الإرادة البشريّة، وهم القدريّة، صُنِّف من قبل بعض أعضاء الأسرة الإسلاميّة الحاكمة الأولى، أي الأمويّين الذين حكموا بين ٦٦١ و٧٥٠ للميلاد، كتيّار منافس خطير يهدف إلى تحميل الحكّام مسؤوليّة أخطائهم السياسيّة. ونجد المسيح يلقي بثقله وراء الفريق المعارض للقدريّة، ولصالح فكرة المحاسبة الذاتيّة وليس العامّة أو السياسيّة. ولعل أكثر الأقوال المنسوبة إلى المسيح وضوحاً بهذا الخصوص: «فجمع عيسى عليه السلام بعد ذلك الحواريّين فقال لهم: يا معشر الحواريّين، إنّ القدر سرّ اللّه فلا تسألوا عن سر اللّه»[٥٢]. أمّا فيما يتعلّق بمسألة

المعاصي المرتبطة مباشرة بموضوع القدر، فإننا نجد المسيح الإسلامي واضحاً في تأكيده على أنّ رحمة اللّه ليس لها حدود، وأنّ العلاج، على الرغم من أنّ المعاصي كريهة ومستحقّة للتوبيخ الشديد، ليس في الثورة والعصيان بل في التقوى الذاتيّة. وعلى المرء أن يتجنّب تنصيب نفسه كحكم للأخلاق، كما يقول المسيح: «لا تنظروا في ذنوب الناس كأنّكم أرباب وانظروا فيها كأنّكم عبيد» (انظر رقم ٣)[٥٣]. ويمكننا هنا تلمّس نقض مبطّن للخوارج الذين خاضت بعض فرقهم حروباً امتدّت أكثر من مئة عام مع الدولة الإسلاميّة تحت شعار إصلاح الفساد الأخلاقي والديني للحكام. وإذا أردنا على سبيل المثال تقسيم الشرخ الحاصل في صدر الإسلام إلى فرقتين: الأولى آثرت التشديد على شرعيّة ومناقبيّة الحكّام كأهمّ الأسس التي تبنى عليها النظم السياسيّة والأخلاقيّة، والثانية وضعت وحدة الأمّة الإسلاميّة فوق كلّ اعتبار آخر، تأتي أقوال المسيح الأولى لتدعم الفريق الثاني.

أخبار وقصص المسيح المتأخّرة

مع مرور الزمن ازداد حجم هذه المجموعة الأولى من أخبار وقصص المسيح التي تفحّصناها في الفقرات السابقة، وتناقلها العلماء جيلاً بعد جيل. وبعضها نقّح أو طوّل أو شذّب. وفي القرون التالية دخلت عليها وأثّرت فيها مزاجات مختلفة، كما سنرى لاحقاً. لكن صياغة هذه الأخبار والقصص بقيت على درجة كبيرة من المهارة الأدبيّة. ويصبح هذا الأمر أكثر وضوحاً حين يدخل المزاج الأدبي على الإنجيل الإسلامي ويؤثّر فيه. المجموعة الأقدم والأكبر التي نجدها في أحد كتب المختارات الأدبيّة هي في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة (ت. ٢٧٦/ ٨٨٩). ومن عجيب الأمر أنّ ابن قتيبة ينقل بعض الأخبار

مترجمة حرفيّاً من الأناجيل وبعضها الآخر من المصادر السابقة للإنجيل الإسلامي لكنّه لا يعلّق على تواجدهما جنباً إلى جنب في كتابه[٥٤]. يبقى البعد الزهدوي لأخبار المسيح في المجموعة الجديدة، لكن نجد للمرّة الأولى في كتاب ابن قتيبة، وهو من أوائل وأهمّ المؤلّفات في الأدب، أقوالاً مثل: «قال المسيح عليه السلام: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمّروها» (انظر رقم ٩٩)، و«قال المسيح صلّى اللّه عليه: كن وسطاً وامشِ جانباً» (انظر رقم ١٠١)[٥٥]. فأخبار كهذه تبدو أنّها تأخذ الإنجيل الإسلامي بعيداً بعض الشيء عن الزهد وتضعه في خانة علم الأخلاق والأدب. وتزامن هذا التغيّر في نَفَس الإنجيل الإسلامي في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد مع نضج نمط من أدبيّات الحكمة الإسلاميّة يمكن تسميته بالأقوال والحكم المأثورة، والذي بدأ بالظهور في القرن السابق مع مفكّرين مثل ابن المقفّع (ت. حوالى ١٣٩/ ٧٥٦)، وذلك بإضافة أخبار وقصص عن الفلاسفة والحكماء الإغريقيّين إلى ترجماته الشهيرة من الحكمة الفارسيّة. وتمّ أسلمة معظم هذا الأخبار والقصص مثلما هو الأمر بالنسبة إلى قصص وأخبار المسيح وجعلها متوافقة مع التقوى والأخلاق الإسلاميّة[٥٦]. أصبح المسيح، إضافة إلى دوره كعرّاب للزهّاد المسلمين، نموذجاً للسيرة الحسنة والأخلاق كما في الحديث التالي: «مرّ المسيح بقوم شتموه، فقال خيراً. ومرّ بآخرين شتموه، فقال خيراً. فقال رجل من الحواريّين: كلّما زادوك زدت خيراً، كأنّك تغريهم بنفسك؟ فقال: كلّ إنسان يُعطي ممّا عنده» (انظر رقم ١٠٠)[٥٧].

تأثّر الإنجيل الإسلامي في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد أيضاً بما يمكن وصفه بالمزاج الشيعي. ويضم هذا الكتاب عدداً من

مصنفات الشيعة، وهي تُبرز بعض الملامح الخاصّة في صورة المسيح. ولفهم هذا المزاج الشيعي يجب أوّلاً تذكّر مدينة الكوفة، التي هي مركز ولادة الإنجيل الإسلامي على أغلب الظنّ، والتي لها أيضاً دور محوري في نشوء الفكر الشيعي. وفي عدد من التيّارات الشيعيّة الأولى، استخدمت المقارنة بالمسيح كبراهين لحجج كلاميّة. مثلاً استخدمت بعض فرق الشيعة من القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد فكرة أنّ المسيح لم يمت بل رفعه اللّه إليه لإثبات أنّ بعض أئمّتهم ليسوا موتى بل أحياء لا يمكن رؤيتهم. ودافعت فِرَق أخرى عن إمكانيّة تحقيق الإمام الطفل لدرجة الكمال في العلم عبر مقارنة ذلك بالمسيح القرآني الذي يتكلّم في المهد. وقد أنتج مقتل سبط النبيّ محمّد الإمام الحسين في الفكر الشيعي المتأخّر ـ وهي نقطة محوريّة في الإحساس الشيعي ـ عدداً من الأخبار التي تقارن الحسين بالمسيح في أمور، كولادتهما العذريّة، والشبه في نسبهما الروحاني الذي ورثه كلّ منهما عن طريق أمّه. وكفكر مشحون بتأمّلات عن نشوء الكون، أعطى الفكر الشيعي أهميّة لعدّة مراتب من الدرجات الإشراقية والنسب الرفيع. واتُّهمت بعض الفِرَق الشيعيّة، كالإسماعيّليّة مثلاً، باعتناق أفكار مسيحيّة كالثالوث الأقدس[٥٨] لكن بالإجمال لا تختلف قصص وأخبار المسيح الشيعيّة عن تلك السنيّة في الجوهر، إنّما للمادة الشيعيّة ملامح خاصّة بها سنبيّنها في تعليقاتنا على الأحاديث والقصص.

وإذ عكس الإنجيل الإسلامي تأثير هذه المزاجات المتنوّعة، بدأ بإظهار الميل المتزايد إلى السرد القصصي. فنجد المسيح يؤدّي مهام نبوّته عبر لقاءات وحوارات مع بشر وحيوانات كما ومع الطبيعة. في بعض الحالات، تُبنى على عبرة أو مثل من الأناجيل الصحيحة قصّة

دراماتيكيّة، فتصبح حكاية طويلة عن المسيح[٥٩]. وكثيراً ما نمرّ على أخبار غير معروفة المصدر، لكن أصلها على الأرجح من خزّان الأدبيّات المسيحيّة من الشرق الأدنى، وهي تُبرز المسيح كسيّد للطبيعة ومحادث للحيوانات والمعالم الطبيعية كالجبال والحجارة والجماجم. ويستخرج المسيح منها أجوبة قويّة ومؤثّرة وكأنّه يكشف أسرار مخلوقات اللّه. فهو مترجم وشاهد على الحكمة الإلهيّة والرحمة المتمثّلة في الطبيعة: «مرّ عيسى عليه السلام على بقرة قد اعترض ولدها في بطنها، فقالت: يا كلمة اللّه، ادعُ اللّه أن يخلّصني. فقال: يا خالق النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس، خلّصها. فألقت ما في بطنها» (انظر رقم ١٠٣). وفي قصص أخرى نجده يصف علاجات ناجعة لأمراض مستعصية: «مرّ عيسى عليه السلام بمدينة وفيها رجل وامرأة يتصايحان فقال: ما شأنكما؟ قال: يا نبيّ اللّه، هذه امرأتي وليس بها بأس صالحة ولكنّي أحبّ فراقها. قال: فأخبرني على كلّ حال ما شأنها؟ قال: هي خلقة الوجه من غير كبر. قال [لها]: يا امرأة، أتحبّين أن يعود ماء وجهك طريّاً؟ قالت: نعم. قال لها: إذا أكلت فإيّاك أن تشبعي لأنّ الطعام إذا تكاثر على الصدر فزاد في القدر ذهب ماء الوجه. ففَعلت ذلك فعاد وجهها طريّاً» (انظر رقم ١٥٢)[٦٠]. لكن مع تحوّله نحو الطبيعة، يظهر نموذج المسيح المهتمّ بالشأن العام والمسؤوليّة العامّة ليوازن تلك الصورة عن الزهد والعزلة المعروفة عنه سابقاً: «عيسى بن مريم لقي رجلاً فقال: ما تصنع؟ قال: أتعبّد. قال: من يعود عليك؟ قال: أخي. قال: أخوك أعبد منك» (انظر رقم ٩١)[٦١].

في البدء نجد المسيح كوليّ زاهد، ثمّ يظهر كسيّد للطبيعة وصاحب معجزات وشافٍ للأمراض ونموذج اجتماعي وأخلاقي.

فالمادّة عنه تكبر باستمرار، وبذلك تكتسب صوراً ومزاجات متتالية. وبعد زمن ابن قتيبة بقليل يظهر المزاج الصوفي الذي ورث من بين أشياء كثيرة تراث الزهد الإسلامي من القرنين الأوّلين. ويعامل هذا المزاج الجديد المسيح كشخصيّة ذات علاقة روحانيّة مركزيّة به[٦٢]. وإذا شبّهنا الأديان بالأشجار، نجد أن الجذع الصوفي في شجرة دينٍ ما هو الأكثر تشابكاً مع مثيله في شجرة دين أخرى. وكثيراً ما يصعب علينا تحديد الانتماء الديني لنص صوفي معيّن إذا غرفنا هذا النص من التراث الديني للأديان السماوية الكبرى الثلاثة: هل هو نص يهودي أم مسيحي أم إسلامي؟ لذلك من الصعب تفرقة مسيح المذهب الصوفي عن مسيح الأناجيل، ولعل الأمر يعود إلى ازدياد معرفة العلماء المسلمين بالأناجيل[٦٣]. لذا فإننا نجد المسيح الإنجيلي قد انقلب بسهولة ويسر إلى واعظ صوفي كما نرى في الخبرين التاليين: «وعظ عيسى عليه السلام بني إسرائيل فبكوا وأقبلوا يمزّقون الثياب فقال: ما ذنب الثياب؟ أقبلوا على القلوب فعاتبوها» (انظر رقم ١٦٩)، و«قال المسيح عليه السلام: كلّ قتيل يُقتصّ له يوم القيامة إلاّ قتيل الدنيا، فإنّه يُقتصّ منه لها» (انظر رقم ١٦٨)[٦٤]. وعلى الرغم من التحذير الذي أطلقه بعض الباحثين المسيحيين الغربيين حول ضرورة الحذر من إعطاء أهمّيّة كبرى لِلَقَبَي المسيح القرآنيّين أي «كلمة اللّه» و«روح منه»، إلا أننا نجدهما في الإطار الصوفي الركائز التي بنى المتصوّفة عليها صورته. وابتدع العالم الصوفي العظيم ابن العربي (ت. ٦٢٨/ ١٢٤٠) لقباً جديداً للمسيح وهو «خاتَم الأولياء»، تشبيهاً بالنبيّ محمّد الذي هو «خاتَم الأنبياء»[٦٥].

وتكتسب أقوال المسيح إطلالة جديدة في مصادر صوفيّة أساسيّة مثل قوت القلوب لأبي طالب المكّي (ت. ٣٨٦/٩٩٦)، وحلية

الأولياء لأبي نعيم الإصبهاني (ت. ١٠٣٩/٤٣٠). ومع الغزالي (ت. ١١١١/٥٠٥)، الذي يحوي كتابه الموسوعي إحياء علوم الدين أكبر عدد من الأخبار والقصص عن المسيح في أيّ مصدر عربي إسلامي، تبلغ مكانة المسيح درجة عالية من الشفافية كنبيّ القلب بامتياز. ففي أجزاء كتابه المتعلّقة بالأخلاق، يقول الغزالي إنّه من المستحيل على البشر الوصول إلى فهم كامل لأسرار القلب وطبيعته الداخليّة. لذلك هناك حاجة ماسّة إلى العبر والأمثال وصولاً إلى الكشف عن هذه الأسرار. ولعبت أقوال المسيح عن القلب دوراً أساسيّاً في هذا المجال. وبطبيعة الحال، لم يكن المسيح الشخصيّة الوحيدة المهمّة عند أهل التصوّف. فبالإساس هناك النبيّ محمّد، المؤسس الأول للروحانيّة الصوفيّة. ثمّ هناك الإمام عليّ، الذي يصفه الغزالي بأنه المفسّر الأعمق لمغزى كلام النبيّ محمّد[٦٦]. وهناك الأولياء كالجنيد وسهل التستري وإبراهيم بن أدهم وآخرين. على الرغم من ذلك، نجد في أقوال المسيح عند الغزالي العمق والخيال والنظم البارع. ويستشهد بها الغزالي دوماً في المكان المناسب لخلق ربط داخلي متين بين الحجج الأخلاقية الرئيسية وبين الأحاديث التي لا يحصرها عدد تقريباً.

ولتبيان حدود هذه الصورة للمسيح الإسلامي ينبغي مراجعة الأجزاء المتعلّقة بالروح في كتاب الغزالي. فالروح عند الغزالي لها هيكليّة أفلاطونيّة لكن عملها أرسطوطاليسي. والبعدان الأفلاطوني ـ الأرسطوطاليسي هما مجرّد الأطر المكوّنة للروح. لكن النيّة من جهة والعلم الإلهي من جهة أخرى هما العالم الذي تسبح فيه الروح. ومن الأمور الهامّة أيضاً صراع الروح الدائم مع الشيطان. ويشبّه الغزالي في مقطع في إحياء علوم الدين الروح بالهدف المخروق

بالسهام من كلّ حدب وصوب، وفي مقطع آخر بالقلعة المحاصرة من الشيطان. وأعظم فتن الروح ليس فقط الرذيلة، بل أيضاً اللهو والهوى. ووسوسة الشيطان لا تهدأ أبداً، حتّى عند أتقى الناس وأطهرهم؛ وتأخذ هذه الوسوسة أشكالاً خفيّة شتى مثل الاستهزاء، وغضّ النظر لمرّة واحدة، وخداع الخيار السهل، وتأجّج الغضب. والعلاج هو فقط في قلب يتوجه إلى الله بلا انقطاع، ويتجنب على الدوام إغراء العجلة والخفّة.

كان المسيح، لأسباب كالتي ذكرناها سابقاً، النبيّ الأكثر ملاءمةً من غيره من الأنبياء للعب دور النموذج للأخلاق. ويبدو أن صراع المسيح مع الشيطان قد لعب دوراً بارزاً في الأناجيل وكان عاملاً مكوّناً للتجربة الروحانيّة المسيحيّة الأولى، ورشح من هناك كمزاج إلى التصوّف الإسلامي[٦٧]. ويجد الغزالي من المناسب ليس فقط نقل عدد كبير من قصص وأقوال المسيح، بل أيضاً التعليق عليها، مثل: «روي أنّ عيسى عليه السلام توسّد يوماً حجراً فمرّ به إبليس فقال: يا عيسى، رغبت في الدنيا! فأخذه عيسى صلّى الله عليه وسلّم فرمى به من تحت رأسه وقال: هذا لك مع الدنيا» (انظر أيضاً رقم ١١٩). ثمّ يضيف الغزالي هذا التعليق: «وعلى الحقيقة من يملك حجراً يتوسّد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدّة للشيطان عليه، فإن القائم بالليل مثلاً للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسّده فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسّده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ببال ولا تتحرّك رغبته إلى النوم. هذا في حجر. فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزّهات الطيّبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى؟»[٦٨].

الخلاصة

كان هدفي من هذه المقدّمة وضع إطار ثقافي وتاريخي عام للإنجيل الإسلامي. لكن يبقى عدد قليل من النقاط الواجب إيضاحها.

النقطة الأولى تتعلّق بالعناصر الإسلاميّة في هذا الإنجيل. يُعَرَّف المسيح باستمرار كنبيّ مسلم، ويجب التنبّه دائماً إلى هذه الحقيقة كونه شخصيّة مجبولة في بيئة إسلاميّة. وربّما للتأكيد على هذا الأمر نجده مثلاً يتلو آيات من القرآن ويفسّرها، ويصلّي صلاة المسلمين، ويحجّ إلى مكّة. وتشدّد بعض الأخبار ليس فقط على طبيعته البشريّة بل أيضاً على عجزه وضعفه. لكن تبقى بضع قصص لا تتوافق إجمالاً مع بعض الحساسيّات الإسلاميّة، كقصّة المسيح والخنزير مثلاً: «مرّ بعيسى بن مريم عليه السلام خنزير فقال: مرّ بسلام. فقيل له: يا روح اللّه، لهذا الخنزير تقول؟ قال: أكره أن أعوّد لساني الشرّ» (انظر رقم ١٢٨). ونجد أيضاً خبراً يكرّر مناجاته الأخيرة قبل صلبه (انظر رقم ٦٩)، وآخر يؤكّد فيه صحّة صلبه (انظر رقم ٢٨٢). ويبدو كأنّ المسيح الإسلامي، على الرغم من أنّه نتاج الخيال الإسلامي العام، يُبقي على مسافة معيّنة بينه وبين العقيدة الخالصة لصانعيه المسلمين. وتشدّد الأحاديث النبوية على العلاقة المميّزة والخاصّة بين النبيّ والمسيح، أهمّها أنّه ليس هناك من نبيّ بينهما[٦٩]. وتروي إحدى الروايات في السيرة النبوية كيف أنّه عندما دخل النبي مكّة فاتحاً وأمر بكسر الأصنام والصور رأى أيقونة للمسيح وأمّه داخل الكعبة، فغطّاها بعباءته (أو بيده) وأمر بمحو كافّة الصور الأخرى إلاّ صورة المسيح وأمّه، وهو ما تصفه المصادر الإسلاميّة بأنه تأكيد على مكانة المسيح الخاصّة[٧٠].

أمّا النقطة الثانية فتتعلّق بصلة الإنجيل الإسلامي بعلم الأديان

المقارن فالمسيح الإسلامي هو صورة مركّبة، مصفّاة ومتناقلة في بيئة معيّنة. وحتّى إذا قلنا إنّه نتاج مصطنع، فهو يبقى حالة نادرة تساعدنا على فهم طبيعة سعي تراث ديني معيّن إلى استعارة ركائز تراث ديني آخر لتفصيل أسس التقوى والإيمان لديه. وهذا الأمر، بالنسبة إلى باحث في تاريخ الأديان والأفكار، مثال مثير للفضول وجدير بالبحث. وإذا وضعنا جانباً أهمّيته في إبراز أشكال التواصل بين الإسلام والمسيحيّة في الإطار التاريخي، فهو قادر على إعطائنا اليوم بعض الدروس عن تواصل الحضارات الدينيّة وإغناء بعضها بعضاً والتعايش فيما بينها.

يقودنا موضوع التعايش إلى النقطة الأخيرة. يبدو أنّ هذا النوع من التواصل يكشف حقيقة دينيّة وروحانيّة أعمق، بالتحديد حاجة المسيحيّة والإسلام إلى التخاطب والتكامل. وقد يقال إنّ المسيح الإسلامي في الإنجيل الإسلامي ليس إلاّ شخصية مصطنعة. كما قد نصل في يوم من الأيام إلى معرفة شاملة للأوساط التي صنعته والسبب من وراء ذلك وهذا ما حاولناه في هذه المقدمة. لكنّه يبقى مع ذلك شخصيّة دينيّة شامخة بحدّ ذاته، ويرتقي بسهولة وبشكل طبيعي فوق بيئتين دينيّتين: الأولى التي أنشأته والأخرى التي تبنّته. وفي خضم التوتّر بين المسيحيّة والإسلام في العصر الراهن في بعض مناطق الشرق الأوسط والعالم، من الواجب والمستحب أن نستعيد إلى الذهن فترة طويلة من الزمن وتراثاً أدبياً عريقاً شهد انفتاح المسيحيّة والإسلام بعضهما على بعض، واعتماد كلّ منهما على شهادة الآخر.

ولعل الإنجيل الإسلامي المجموع هنا له بعض مزية التأثير والتجديد. فهنا نجد المسيح مجرداً من ألوهيّته. لكنه من جهة أخرى مرصّع بصفات تجعله يسمو فوق ميدان التاريخ، وحتّى فوق الأديان.

يُصبح المسيح في بيئته الإسلاميّة هدفاً للحب الفائق والوقار الشديد والود الحميم. ويبدو عليه جليّاً ختم النبوّة القرآنيّة. لكن مع نموّه داخل التراث الإسلامي يتحوّل عن كونه مصدراً للاختلاف العقائدي ليصبح صوتاً أخلاقياً حيوياً يفرض نفسه على كل من يسعى نحو العمل الأخلاقي الإنساني والشهادة العقائدية الإنسانية.

هوامش المقدمة

(١) بخصوص صور المسيح في الأدبيّات العربيّة والإسلاميّة الكلاسيكيّة والمعاصرة، انظر: .

David Pinault, «Images of Christ in Arabic Literature», *Welt des Islams* 27, (1987), pp. 103-125; Anton Wessels, *Images of Jesus: How Jesus is Perceived and Portrayed in Non-European Cultures* (London: SCM Press, 1990), pp. 34-56; Maurice Borrmans, *Jésus et les Musulmans d'aujourd'hui* (Paris: Desclée, 1996); C. E. Padwick, «The Nabi 'Isa and the Skull», *The Muslim World 20* (1930), pp. 56-62; James Robson, «Stories of Jesus and Mary», *The Muslim World* 40 (1950), pp. 236-243.

أمّا بخصوص أهميّة المسيح عند بعض المجتمعات الإسلاميّة في العصر الحديث، فانظر:

K. M. O'Connor, «The Islamic Jesus: Messiahhood and Human Divinity in African American Muslim Exegesis», *Jaurnal of the American Academy of Religion* 66 (Fall 1998), pp. 493-532.

شكري لهذا المصدر الأخير يعود إلى الزميل الدكترو باتّسون G. L. Pattison من كليّة King's College في جامعة كامبردج.

(٢) بخصوص اقتباسات من الإنجيل الإسلامي في القرن الثامن عشر، انظر:

Jeremiah Jones, *New and Full Method of Settling the Canonical Authority of the New Testament* (Oxford: J. Clark, 1798).

والمصدر أعلاه مأخوذ من:

Donald Wismer, *The Islamic Jesus: An Annotated Bibliography of*

Sources in English and French (New York: Garland, 1977), pp. 141-142 (no, 379).

وبخصوص معلومات عامّة عن مصادر أخرى لمجموعات هامّة من الإنجيل الإسلامي، انظر:

Wismer, *The Islamic Jesus*, p. 163 (no. 441: Margoliouth), p. 35 (no. 79: Asin y Palacios), p. 205 (no. 550: Robson), pp. 112-113 (no. 301: Hayek).

ومجموعة الحايك Hayek لها أهميّة خاصّة. أمّا مجموعة القسّ حنّا منصور، «أقوال السيّد المسيح عند الكتّاب المسلمين الأقدمين»، المسرّة (١٩٧٦)، فهي تضيف عدداً قليلاً من الأخبار إلى مجموعة أسين. وتُرجم حديثاً قرابة ٩٦ خبراً عن المسيح من ١٢ مصدراً شيعياً، منها ما هو عن الأدب والأخلاق والحديث، إلى اللغة الإنكليزية لكن مع مقدّمة مختصرة ومن دون تعليقات، ومعظمها مأخوذ من كتاب بحار الأنوار للمجلسي. انظر:

Mahdi Muntazir Qa'im and Muhammad Legenhausen. «Jesus Christ Speaks through Shi'i Traditions», *Al-Tawhid* 13 (1996), No. 3, pp. 21-40, and «Jesus Christ in the Mirror of Shi'i Narrations», *Al-Tawhid* 13 (1996), No. 4, pp. 45-56.

وعلّق الأبّ لويس شيخو في سنة ١٩١٠ على كثرة الأخبار عن المسيح في الأدبيّات العربيّة والإسلاميّة بقوله: «يمكن للمرء أن يكتب مجلّداً كاملاً عن أقوال وأفعال المسيح كما رواها مؤلّفون مسلمون». انظر:

Cheikho, «Quelques légendes islamiques apocryphes», *Mélanges de la Faculté Orientale, Université Saint-Joseph* 4 (1910), pp. 33-56.

(٣) كأمثلة عن هذه المؤلّفات انظر كتب همّام بن منبّه، عبد الله بن المبارك، أحمد بن حنبل، هنّاد بن السريّ، وابن أبي الدنيا.

(٤) الفهارس الأساسيّة للدراسات الأجنبيّة عن هذا الموضوع هي:

Wismer, *The Islamic Jesus;* and Robert Caspar, «Bibliographie du dialogue islamo-chrétien», *Islamochristiana* (1975), pp. 125-181, and 2 (1976), pp. 187-249.

ويوجد أيضاً كشّاف مفيد بالمصادر العربيّة فقط للأب سمير خليل في:

Islamochristiana 8 (1982), pp. 10-12.

ومجلّة *Islamochristiana* هي مجلّة رائدة في مجال الحوار المسيحي

الإسلامي. وتتعلّق بعض المواد في كتاب ويزمر Wismer بقصص المسيح: انظر مثلاً الإضافات في كتابه تحت رقمي ٧٩ و٤٤١. لكن ليس هناك من دراسة لهذه الأقاويل والقصص كمجموعة بحدّ ذاتها.
انظر أيضاً:

E. Rudolph, *Dialogues islamo-chrétiens 1950-1993* (Lausanne: Université de Lausanne, 1993).

(٥) الدراسات عن المسيحيّة في الجزيرة العربيّة قبل الإسلام عديدة. وبداية أيّة دراسة حديثة عن هذا الموضوع يجب أن تكون في كتب عرفان شهيد:

Irfan Shahid, *Rome and the Arabs* (Washington, D.C.: Dumbarton Oaks, 1984); *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century* (Washington, D.C.: Dumbarton Oaks, 1984); *Byzantium and the Arabs in the Fifth Century* (Washington, D.C.: Dumbarton Oaks, 1989); and *Byzantium and the Arabs in the Sixth Century* (Washington, D.C.: Dumbarton Oaks, 1995).

وسيتبع هذه المجموعة جزء عن القرن السابع للميلاد. أمّا تحديداً بخصوص المسيح في إطار الجزيرة العربيّة قبل الإسلام أيضاً، فانظر:

F. V. Winnet, «References to Jesus in Pre-Islamic Arabic Inscriptions», *The Muslim World* 31 (1941), pp. 341-353; G. Ryckmans, «La Mention de Jésus dans les inscriptions arabes préislamiques», *Analecta Bollandiana* 67 (1949), pp. 62-73; and Enno Littmann, «Jesus in a Pre-Islamic Arabic Inscription», *The Muslim World* 40 (1950), pp. 16-17.

أمّا في الشعر العربي الجاهلي، فالقصيدة الأكثر شهرة بإشارتها إلى المسيح هي للشاعر أميّة بن أبي الصلت: انظر ديوان أميّة بن أبي الصلت، تحقيق عبد الحفيظ السطلي (دمشق: ١٩٧٤٤)، ٤٨٤-٤٨٧. لكن هناك شكّاً في صحّة نسبتها إلى الشاعر أميّة وذلك بسبب كون أوّل مصدر يذكرها يعود إلى القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد. وعن أوائل آراء المسلمين في الدين اليهودي، انظر المعالجة الموجزة عند:

Camilla Adang, *Muslim Writers on Judaism and the Hebrew Bible* (Leiden: Brill, 1996) chapter 1.

ويحتوي هذا المصدر على كشّاف هامّ بالدراسات في هذا المضمار.

(٦) يمكن مراجعة هذه الآراء في:

W. St. Clair Tisdall, *The Original Sources of te Qur'an* (London: SPCK, 1905); E. Sell and D.S. Margoliouth, «Christ in Mohammedan Literature», in James Hastings (ed.), *Dictionary of Christ and the Gospels* (Edinburgh: Oliphant, 1912); D. Sidersky, *Les Origines de Légendes musulmanes dans le Coran et dans les vies des prophètes* (Paris: Geuthner, 1933); Thomas O'Shaughnessy, *The Koranic Concept of the Word of God* (Rome: Pontificio Istituto Biblico, 1940); Abraham Katsh, *Judaism in Islam: Biblical and Talmudic Backrounds of the Koran and Its Commentaries* (New York: Bloch, 1954); W. M. Watt, «The Christianity Criticized in the Qur'an» *The Muslim World 57* (1967), pp. 197-201; Olaf Schumann, *Der Christus der Muslime* (Gutersloh: Mohn, 1975); Kenneth Cragg, *Jesus and the Muslim* (London: Allen and Unwin, 1985); Jaroslav Pelikan, *Jesus through the Centuries* (New York: Harper Perennial Library, 1987), pp. 16-17.

(٧) بخصوص مجموعة نجع حمّادي، انظر:

James M. Robinson, *The Nag Hammadi Library,* 3rd rev. edition (Leiden: Brill, 1988).

بخصوص المصادر السريانيّة والقبطيّة والأثيوبيّة، انظر:

E. A. Wallis Budge, *Legends of Our Lady Mary the Perpetual Virgin and Her Mother Hanna* (London: Oxford University Press, 1933); and Budge, *The Wit and Wisdom of the Christian Fathers of Egypt: The Syrian Version of the Apophthegmata Patrum of 'Anan Isho' of Beth 'Abeh* (London: Oxford University Press, 1934).

انظر أيضاً:

Bentley Layton, *The Gnostic Scriptures* (New York: Doubleday, 1987); Benedicta Ward, *The Sayings of the Desert Fathers* (Oxford: Mowbray and Cistercian Publications, 1984); and Majella Franzmann, *Jesus in the Nag Hammadi Writings* (Edinburgh: T. and T. Clark, 1996).

(٨) أهمّ مجموعة لهذه الأناجيل المنحولة هي مجموعة هنّكي (Hennecke):
E. Hennecke, *New Testament Apocrypha* (London: Lutterworth, 1963-1964).
وتحوي هذه المجموعة، إضافةً إلى نصوص الأناجيل، مقدّمات وتعليقات هامّة جدّاً لعدد من علماء الفروع المختلفة لدراسات الكتاب المقدّس والأناجيل المنحولة. انظر أيضاً:
W. Schneemelcher, *New Testament Apocrypha,* English edition and translation by R. McL. Wilson (Cambridge: J. Clark, 1991-1992).

(٩) انظر مثلاً:
Claus Schedl, *Muhammad und Jesus* (Vienna: Herder, 1978), pp. 565-566.

(١٠) يمرّ في بال المرء مؤلّفات كالتي لتوشيهيكو إيزوتسو Toshihiko Izutsu، محمّد أركون (Mohammed Arkoun)، وأنجليكا نويفرت.

(١١) بخصوص دراسة معمقة لهذا الموضوع وعلاقته بنشوء الفقه الإسلامي، انظر:
Norman Calder, *Studies in Early Muslim Jurisprudence* (Oxford: Clarendon Press, 1993), Chapter 8.

(١٢) إذا وضعنا موضوع الكهانة جانباً، كان من المعروف جدّاً للمؤلّفين المسلمين الكلاسيكيّين أنّ قصائد الشاعرين النابغة الذبياني وأميّة بن أبي الصلت مثلاً كانت الأقرب إلى لغة القرآن. انظر أيضاً أبو زيد القرشي (ت. أوائل القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد)، جمهرة أشعار العرب (بيروت: دار بيروت، ١٩٨٤)، ١٠-٢٥.

(١٣) توجد معالجة بارعة لهذا الموضوع عند:
Frank Kermode, *The Genesis of Secrecy* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1979), p. 162 (note 20).

(١٤) هذا على الرغم من المحاولة الجادّة في معالجة المسيح القرآني في دراستين حديثتين نسبياً:
Geoffrey Parrinder, *Jesus in the Qur'an* (London: Faber, 1965); and Kenneth Cragg, *Jesus and the Muslim* (London: Allen and Unwin, 1985).
لكن لا نجد في أي منهما إطار النبوّة العام للمسيح القرآني. ويعطي فضل الرحمن بعض الاقتراحات المفيدة، انظر:

Fazlur Rahman, *Major Themes of the Qur'an* (Minneapolis: Bibliatheca Islamica, 1980).

انظر أيضاً:

Helmut Gatje, *The Qur'an and Its Exegesis* (London: Routledge and Kegan Paul, 1976), pp. 99-135.

(١٥) إحدى المحاولات لمعالجة هذا الموضوع هي:

O'Shaughnessy, *The Koranic Concept of the Word of God.*

لكن للأسف، مقاربة أوشونّسي O'Shaughnessy ممهورة بموقف عدائي نحو الإسلام. انظر أيضاً:

A. M. Charfi, «Christianity in the Qur'an Commentary of Tabari», *Islamochristiana* 6 (1980), pp. 105-148; and Schumann, *Der Christus der Muslime*, pp. 25-47.

وبخصوص محاججات مسيحيّة - إسلاميّة عن هذا الموضوع، انظر:

D. J. Sahas, *John of Damascus on Islam* (Leiden: Brill, 1972), pp. 113ff.

(١٦) انظر مثلاً: Parrinder, *Jesus in the Qur'an*, pp. 22ff.; and G. Anawati, «'Isa», *Encyclopaedia of Islam 2.*

(١٧) بخصوص معالجة إسلاميّة من الفترة الكلاسيكيّة لموضوع الصلب وقضيّة «شبّه لهم»، انظر الطبري، تفسير، ٦: ١٢-١٣. وبخصوص آراء إسلاميّة أقدم من ذلك ومذكورة في المحاججات، انظر:

Sahas, John of Damasucs, pp. 78ff.

انظر أيضاً الدراسة الحديثة لمحمود أيّوب الذي يناقش تفاسير هذه العبارة القرآنيّة في كتب التفاسير من الفترة الكلاسيكية والحديثة:

Mahmoud Ayyoub, «Towards an Islamic Christology, 2: The Death of Jesus-Reality or Illusion?» *The Muslim World* 70 (1980), pp. 91-121.

(١٨) انظر كذلك سورة الأنعام ٦: ١٠١، سورة يونس ١٠: ٦٨، سورة الإسراء ١٧: ١١١، سورة الكهف ١٨: ٤، سورة مريم ١٩: ٨٨، سورة الأنبياء ٢١: ٢٦، سورة الزمر ٣٩: ٤، وسورة الجنّ ٧٢: ٣. لكن أكثرها شهرة هي سورة الإخلاص ١١٢. وهذه الأمور مذكورة أيضاً في النقوش من القرن الإسلامي الأوّل التي تذكر المسيح داخل قبّة الصخرة في القدس، انظر:

Max van Berchem, *Matériaux pour un Corpus inscriptionum Arabicarum* 12 Cairo, 1927), pp. 228-257.

(١٩) تحديداً أناجيل منحولة كالإنجيل المنسوب إلى يعقوب (Protevangelium of James)، والإنجيل المنسوب إلى متّى (The Gospel of Pseudo-Matthew)، الإنجيل المنسوب إلى توما (The Gospel of Thomas)، وأناجيل أخرى مذكورة في:

Budge, *Legends of Our Lady Mary*; and Hennecke, *New Testament Apocrypha.*

(٢٠) انظر المعالجة المهمّة لموضوع وفاة المسيح عند الطبري، تفسير، ٣: ٢٠٢-٢٠٥.

(٢١) انظر:

Jane Dammen McAuliffe, *Quranic Christians: An Analysis of Classical and Modern Exegesis* (Cambridge: Cambridge University Press, 1991).

(٢٢) انظر:

Hennecke, *New Testament Apocrypha,* vol. 2, p. 642.

انظر أيضاً دراسة محمّد أركون التي تحاول أيضاً تصحيح هذا المنحى:

Mohammed Arkoun, «The Notion of Revelation: From Ahl al-Kitab to the Societies of the Book», *Welt des Islams* 28 (1988), pp. 62-89.

بخصوص دراسات مماثلة، انظر:

Heikki Raisanen, «The Portrait of Jesus in the Qur'an: Reflections of a Biblical Scholar», *The Muslim World* 70 (1980), pp. 122-133; and Marilyn Waldman, «New Approaches to Biblical Materials in the Qur'an», *The Muslim World* 75 (1985), pp. 1-16.

(٢٣) أهمّ دراسة عن هذا الموضوع في الفترة الكلاسيكيّة هي في كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي (ت. ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، يصحبها مقدّمة ممتازة لمحقّق الكتاب يوسف العشّ (دمشق: ١٩٤٩)، لكن للأسف هذه المقدّمة مهملة.

أمّا بخصوص النقاش الحالي عن فترة صدر الإسلام، انظر:

John Wansbrough, *Qur'anic Studies* (London: Oxford University Press, 1977); Patricia Crone and Michael Cook, *Hagarism: The*

Making of the Islamic World (Cambridge: Cambridge University Press, 1977); Harald Motzki, «*The Musannaf of* 'Abd al-Razzaq al-San'ani as a Source of Authentic *Ahadith* of the First Century A.H.», *Journal of Near Eastern Studies* 50 (1991), pp. 1-21; Albrecht Noth, *The Early Arabic Historical Tradition: A Source-Critical Study,* trans. Michael Bonner (Princeton: Darwin Press, 1994); Gregor Schoeler, «Writing and Publishing: On the Use and Function of Writing in the First Centuries of Islam», *Arabica* 44 (1997), pp. 423-435; Michael Cook, «The Opponents of the Writing of Tardition in Early Islam», *Arabica* 44 (1997), pp. 437-530; Wael B. Hallaq, *A. History of Islamic Legal Theories* (Cambridge: Cambridge University Press, 1997), chapter 1.

تحوي معظم هذه الدراسات كشّافات بالأبحاث الحديثة في نواحٍ مختلفة من العلوم الإسلاميّة، وهي مفيدة لتصوّر ما يمكن معرفته أو عدم معرفته عن فترة صدر الإسلام.

(٢٤) نجد مثلاً ذكراً غريباً عن غياب المعرفة بأمور الشرع في خبر يعود إلى سنة ٧٢٠ للميلاد حيث تمّ إرسال فقهاء إلى شمال إفريقيا لفرض الحظر على شرب الخمر: انظر العذاري، البيان المُغرب (ليدن: ١٩٤٨)، ١ : ٤٨. لكن بعض الباحثين في تاريخ صدر الإسلام يضخّمون حالة «بدائيّة» وضبابيّة القوانين الشرعيّة والإداريّة. ومن أجل تصحيح هذا التضخيم، يجب على المرء مراجعة دراسات حديثة ومهمّة مثل:

Geoffrey Khan. «The Pre-Islamic Background of Muslim Legal Formularies», *Aram 6* (1994), pp. 193-224.

(٢٥) انظر الوصف الموجز عند:

Gerd-R. Puin, «Observations on Early Qur'an Manuscripts in San'a», in Stefan Wild (ed.), *The Qur'an as Text* (Leiden: Brill, 1996), pp. 107-111.

لكن يبدو أنّ بوين Puin سيطرح قريباً نظريّة جديدة عن ظهور النصّ القرآني.

(٢٦) بخصوص الحديث القدسي، انظر:

William A. Graham, *Divine Word and Prophetic Word in Early Islam* (The Hague: Mouton, 1977).

وبخصوص رواية المسلمين لأخبار يهوديّة ومسيحيّة في فترة صدر الإسلام، انظر:

M. J. Kister, «*Hadduthu 'an Bani Isra'il wa la haraja:* A Study of an Early Tradition», in Kister, *Studies in Jahiliyya and Early Islam* (London: Variorum Reprints, 1980).

وينقض كستر Kister بعض آراء مستشرقين مثل:

W.M. Watt, «The Early Development of the Muslim Attitude to the Bible», *Transactions of the Glasgow University Oriental Society* 16 (1957), pp. 50-62; and J. Sadan, «Some Literary Problems concerning Judaism and Jewry in Medieval Arabic Sources», in M. Sharon (ed.), *Studies in Honour of Professor David Ayalon* (Leiden: Brill, 1986), pp. 353-298.

وبخصوص أوائل المحاجحات بين المسلمين والمسيحيّين عن المسيح، انظر:

Robert Hoyland, *Seeing Islam as Others Saw It: A Survey and Evaluation of Christian, Jewish, and Zoroastrian Writings on Early Islam* (Princeton: Darwin Press, 1997), pp. 160-167.

(٢٧) انظر:

Cheikho, «Quelques légendes islamiques apocryphes».

(٢٨) التهمة ذاتها عن تحريف كتب الوحي الإلهي استخدمها أيضاً المسيحيّون ضدّ اليهود. انظر:

Jaroslav Pelikan, *Jesus through the Centuries*, p. 26.

(٢٩) أهمّ الأمثلة عن تطوّر هذه الأبحاث هي:

Ignaz Goldziher, «Über Bibelecitate in Muhammedanischen Schriften», *Zeitschrift für die Alttestamentlische Wissenschaft* 13 (1893), pp. 315-321; Cheikho, «Quelques légendes islamiques apocryphes»; A. S. Tritton, «The Bible Text of Theodore Abu Qurra», *Journal of Theological Studies* 24 (1933), pp. 52-54; Alfred Guillaume, «The Version of the Gospels Used in Madina circa 700 A.D.», *Al-Andalus* 15 (1950), pp. 289-296; R. G. Khoury, «Quelques réflexions sur les citations de la Bible dans les premières

generations islamiques du premier et du deuxième siècle de l'Hégire», *Bulletin d'Etudes Orientales* 29 (1977), pp. 269-278.

وحديثاً الدراستان الهامّتان:

Sidney H. Griffith, «The Gospel in Arabic: An Enquiry into Its Appearance in the First Abbasid Century», *Oriens Christianus* 69 (1985), pp. 126-167; and Griffith, «The Monks of Palestine and the Growth of Christian Literature in Arabic», *The Muslim World* 78 (1988), pp. 1-28.

انظر أيضاً:

Camilla Adang, *Muslim Writers*, chapters 1 and 4; and Sadan, «Some Literary Problems concerning Judaism and Jewry».

(٣٠) انظر مثلاً:

Aziz al-Azmeh, *Muslim Kingship* (London: Tauris, 1997), chapter 4.

(٣١) انظر:

Tarif Khalidi, «The Role of Jesus in Intra-Muslim Polemics of the First Two Islamic Centuries», in S. K. Samir and J. S. Nielsen (ed.), *Christian Arabic Apologetics during the Abbasid Period, 750-1258* (Leiden: Brill, 1994), pp. 146-156, and notes 24-25; Khalil 'Athamina, «Al-Qasas: Its Emergence, Religious Origin and Its Socio-Political Impact on Early Muslim Society», *Studia Islamica* 76 (1992), pp. 53-74; David Thomas, «The Miracles of Jesus in Early Islamic Polemics», *Journal of Semitic Studies* 39 (1994), pp. 221-243.

بخصوص علماء الدين والزهّاد، انظر الدراسة المفيدة عند:

M. G. S. Hodgson, *The Venture of Islam* (Chicago: University of Chicago Press, 1974), vol. 1, pp. 359-409.

خصوصاً الإشارة إلى المسيح والمتصوّفة في صفحة ٣٩٨.

(٣٢) انظر:

Arthur Jeffrey, «The Descent of Jesus in Muhammadan Eschatology», in S. E. Johnson (ed.), *The Joy of Study: Papers on*

New Testament and Related Subjects Presented to Honor Frederick Clifton Grant (New York: Macmillan, 1951), pp. 107-126; W. Madelung, «Mahdi», *Encyclopaedia of Islam* 2; Al-Azmeh, *Muslim Kingship,* pp. 201-202; Fritz Meier, «Eine Auferstehung Mohammeds bei Suyuti», *Bausteine II, Beiruter Texte und Studien 53b* (Istanbul: 1992), pp. 797-835.

(٣٣) انظر مثلاً:

Khalidi, «The Role of Jesus in Intra-Muslim Polemics»; and T. Nagel, «Kisas al-Anbiya'», *Encyclopaedia of Islam* 2.

(٣٤) توجد مقدّمة جيّدة لأدبيّات قصص الأنبياء عند:

W.M. Thackston, *The Tales of the Prophets of al-Kisa'i* (Boston: Twayne, 1978).

(٣٥) تعالج الأدبيّات الصوفيّة حالات النبوّة هذه بعمق. انظر مثلاً مناقشة آراء ابن العربي (ت. ٦٣٨/ ١٢٤٠) عند:

Caesar E. Farah, «The Prose Literature of Sufism», in M. J. L. Young et al. (eds), *Religion, Learning and Science in the 'Abbasid Period* (Cambridge Cambridge University Press, 1990), pp. 72-74.

(٣٦) بخصوص بعض الأمثلة عن كيفيّة تنقيح هذه القصص، انظر مثلاً:

R. G. Khoury, *Les Légendes prophétiques dans l'Islam* (Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1978).

صفحة ٢٧: التعريف بالإطار الجغرافي.

صفحة ٢٣٨: التبشير بالنبيّ محمد.

صفحة ٢٤٠: عبارات قرآنيّة في صلوات بعض الأنبياء.

صفحة ٢٤٨: أخبار عن النبيّ أشعيا شبيهة بأخبار عن النبيّ محمّد.

(٣٧) عن الكسائي انظر:

Thackston, *The Tales of the Prophets of al-Kisa'i.*

(٣٨) أبو إسحاق أحمد الثعلبي، كتاب قصص الأنبياء (القاهرة: ١٣٠٦هـ). وأسلوب الثعلبي لا يعتمد كما يعتقد ثاكستون Thackston «مباشرةً على تفاسير القرآن وإخراج قصص الأنبياء شبه الأسطورية منها وترتيبها وفقاً لتسلسل الأنبياء»: انظر:

Thackston, *The Tales of the Prophets of al-Kisa'i,* p. xvi.

بل على العكس من ذلك، فكرة المجالس، وهي أساس العنوان الآخر لكتاب الثعلبي (عرائس المجالس)، تعني مجالس الذكر عند أهل التصوّف، وصياغة الكتاب وأسلوبه شبيهان جدّاً بكتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيّان التوحيدي، الذي يمزج التصوّف بالأدب.

(٣٩) انظر

Hennecke, *New Testament Apocrypha*, vol, I, pp. 62ff.

(٤٠) انظر:

Khalidi, «The Role of Jesus in Intra-Muslim Polemics».

(٤١) عن الكوفة ومعالمها، انظر:

H. Djait, *Al-Kufa: Naissance de la ville islamique* (Paris: Maisonneuve, 1986); and Tarif Khalidi, *Arabic Historical Thought in the Classical Period* (Cambridge: Cambridge University Press, 1994), p. 50 (note 56).

(٤٢) نجد اعتباراً من القرن التاسع للميلاد مؤلّفين مسيحيين مثل أسطفان الرملي Stephen of Ramla الذي يقول إن تعاليم محمّد سلبت عن المسيح قدراته الإلهيّة. انظر:

Hoyland, *Seeing Islam as Others Saw It*, p. 230.

وبخصوص المسيح والساعة، انظر ابن المبارك، كتاب الزهد، ٧٧؛ ابن حنبل، كتاب الزهد، ٩٧. لكن مع تقدّم الزمن، ظهر الخلاف بين السنّة والشيعة حول ما إذا كان المهدي أعلى درجةً من المسيح (وهو رأي أهل الشيعة)، أم المسيح أعلى درجةً من المهدي (وهو رأي أهل السنّة). في ذكرى مولد الإمام المهدي في صيف سنة ١٩٩٧، ظهرت في الضاحية الجنوبيّة من بيروت يافطات تهنّئ المؤمنين «الذين ينتظرون الخلاص بظهور المهدي والنبي عيسى بن مريم».

(٤٣) بشكل عام، إنجيل متّى هو أكثر الأناجيل ذكراً في الأدبيّات العربيّة والإسلاميّة. ويمكن مراجعة كشّاف أسين:

M. Asin y Palacios, «Logia et agrapha domini Jesu apud moslemicos scriptores, asceticos praesetim, usitat», *Patrologia Orientalis* 13 (1919), pp. 335-431, and 19 (1926), pp. 531-624.

وعلى الأرجح، مع ازدياد المعرفة بالأناجيل في أوساط بعض المفكّرين المسلمين بعد القرن التاسع للميلاد، أُخذ المقطع الموجود في إنجيل متّى

٢٣ : ٣٤ الذي يتكلّم فيه المسيح عن إرسال أنبياء كبرهان دامغ على قدوم محمّد ومعاناته وهجرته من مكّة إلى المدينة. يقول المقطع في متّى: «هاأنذا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فبعضهم تقتلون وتصلبون وبعضهم في مجامعكم تجلدون ومن مدينة إلى مدينة تطاردون». لكن بارّندر (Parrinder, *Jesus in the Qur'an*, p. 95) يجادل بقوله أنّ إنجيل يوحنّا كان أكثر الأناجيل شبهاً بمادّة القرآن. انظر أيضاً:

Claus Schedl, «Dir 114 Suren des Koran und die 114 Logien Jesu im Thomas-Evangelium», *Der Islam* 64 (1987), pp. 261-264.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإنجيل الإسلامي لم يلعب أيّ دور في المحاججة بين الإسلام والمسيحيّة في الفترة الكلاسيكيّة. ومن الغريب أنّ المفكّرين المسيحيّين الذين كان لهم دور في هذه المحاججة وكان في مقدورهم الإشارة إلى مادّة هذا الإنجيل كدليل على أنّ المسلمين بدورهم «تلاعبوا وحرّفوا» أقوال المسيح الأصليّة لم يشيروا إليها بتاتاً.

(٤٤) انظر ابن حنبل، كتاب الزهد، ٩٧ (رقم ٣١٩)؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٥٢ (رقم ١٦٠). وقارن برقم ٥٩ في هذا المجلّد.

(٤٥) انظر رقم ٥١.

(٤٦) انظر رقم ٣٠.

(٤٧) ستتمّ الإشارة إلى ذلك في التعليقات على الأخبار في هذا المجلّد.

(٤٨) انظر:

Khalidi, «The Role of Jesus in Intra-Muslim Polemics».

(٤٩) عن المرجئة، انظر دراسة خليل عثامنة:

Khalil 'Athamina, «The Early Murji'a: Some Notes», *Journal of Semitic Studies* 35 (1990), pp, 109-130.

ويقترح عثامنة أنّ المرجئة كان لها جناح مهادن وجناح آخر مشاكس، لكن من الصعب الاقتناع بتفسيره لأهداف الجناح المشاكس.

(٥٠) عن هذه الأخبار وأمثلة أخرى، انظر:

Khalidi, «The Role of Jesus in Intra-Muslim Polemics», p. 152 (note 12).

(٥١) انظر:

Khalidi, «The Role of Jesus in Intra-Muslim Polemics», p. 152-153 (note 13).

(٥٢) انظر:

Khalidi, «The Role of Jesus in Intra-Muslim Polemics», p. 154 (note 17).

(٥٣) انظر:

Khalidi, «The Role of Jesus in Intra-Muslim Polemics», p. 154 (note 18).

(٥٤) معظم هذه الأخبار هي من دون أسانيد، وهو ما يجعل معرفة مصدرها أمراً صعباً. أوّل من قام بدراستها من المستشرقين هو:

G. Lecomte. «Les Citations de l'Ancien et du Nouveau Testament dans l'oeuvre d'Ibn Qutayba», *Arabica* 5 (1958), pp. 34-46.

أنظر أيضاً

André Ferré, «L'Historien al-Ya'qubi et les évangiles», *Islamochristiana* 3 (1977), pp. 65-83; A. Ferré, «La Vie de Jésus d'après les Annales de Tabari», *Islamochristiana* 5 (1979), pp. 7-29.

(٥٥) هناك دراسات عن هذه الأقوال، انظر مثلاً بخصوص القنطرة

Joachim Jeremias, *Unknown Sayings of Jesus*, (London: SPCK, 1964), pp. 111-118; Harald Sahlin, «Die Welt ist eine Brücke», *Zeitschrift für die Neutestamentliche Wissenschaft* 47 (1956), pp. 286-287.

يربط جيريماس Jeremias القول بالخبر الذي عند الغزالي: «كن عابر سبيل» ويردّ أصله إلى الإنجيل المنحول المنسوب إلى توما. أمّا سالن (Sahlin) فلا يبدو أنّه يعلم بأنّ الخبر موجود عند ابن قتيبة ويردّ أصله إلى كتاب (Disciplina clericalis) لـ (Petrus Alfonsi) المكتوب في سنة ١١٠٦ للميلاد.

(٥٦) عن ابن المقفّع، أنظر محمّد كرد علي (محقّق)، رسائل البلغاء (القاهرة: ١٩٤٦)، ١١٢-١١٦، ١٤٦-١٧٢. بخصوص الأقوال المأثورة، انظر

Dimitri Gutas, *Greek Wisdom Literature in Arabic Translation: A Study of the Graeco-Arabic Gnomologia* (New Haven, Conn.: American Oriental Society, 1975).

انظر أيضاً الدراسة المفيدة لكن الأقل دقّة

I. Alon, *Socrates in Medieval Arabic Literature* (Leiden: Brill, 1991).

(٥٧) انظر رقم ١٠٠ وأيضاً رقم ٨٠.

(٥٨) بخصوص أهميّة الكوفة بالنسبة إلى المذهب الشيعي، انظر

E. Kohlberg, *Belief and Law in Imami Shi'ism* (London: Variorum Reprints, 1991), pp. xvi, 57-58, 65.

وبخصوص المقارنة بين رفع المسيح ولامرئيّة الأئمّة، انظر النوبختي، فرق الشيعة (استنبول: ١٩٣١)، ٦٨. وبخصوص المسيح كطفل والأئمّة كأطفال، انظر النوبختي، ٧٦. عن مقارنات أخرى، انظر ابن بابويه، علل الشرائع، ١: ١٩٦، ٢١٦؛ والشيخ المفيد، الاختصاص (طهران: ١٣٧٩هـ.)، ٥٦. وعن معتقدات الإسماعيليّة، انظر النوبختي، ٦٣، والهامش رقم ٦٣. انظر أيضاً

M. Momen, *An Introduction to Shi'i Islam* (New Haven, Conn.: Yale University Press, 1986), pp. 42-43, 52, 57; David Pinault, *The Shi'ites; Ritual and Popular Piety in a Muslim Community* (London: Tauris, 1992), p. 55. Kohlberg, pp. xvi, 59.

وبخصوص مجموعة من أقوال وأخبار المسيح في الأدبيّات الشيعيّة، انظر

Mahdi Muntazir Qa'im and Muhammad Legenhausen, «Jesus Christ Speaks through Shi'i Traditions», *Al-Tawhid* 13 (1996), No. 3, pp. 21-40 and No. 4, pp. 45-56.

(٥٩) انظر مثلاً رقم ١٠٠ مقارنةً بإنجيل متّى ١٢: ٣٥.

(٦٠) انظر رقم ١٥٢.

(٦١) انظر رقم ٩١.

(٦٢) عن هذا الموضوع يجب مراجعة دراستين:

Louis Massignon, «L'Homme parfait en Islam et son originalité éschatologique», *Eranos-Jahrbuch* 15 (1947), pp. 287-314; Hodgson, *The Venture of Islam*, vol. 1, pp. 398-402.

وبخصوص علاقة مفترضة بين لبس الصوف وأصل التصوّف والتمثّل بالمسيح، انظر أيضاً

Massignon, in Wismer, *The Islamic Jesus*, no. 448.

لكن تبقى دراسة المستشرقة أنّا-ماري شيمّل هي الأهمّ عن المسيح في الإطار الصوفي مع عدد كبير من الأقوال والأخبار من مصادر صوفيّة:
Annemarie Schimmel, *Jesus und Maria in der islamischen Mystik* (Munich: Kösel, 1996).

(٦٣) إحدى أقدم الترجمات وأكثرها دقّة بشكل لافت لمقاطع من العهدين القديم والجديد موجودة عند أبي حاتم الرازي (ت. حوالى ٩٣٣ للميلاد)، أعلام النبوّة (طهران: ١٩٧٧). انظر أيضاً مقدمّة سليمان مراد لكتاب سيرة السيّد المسيح، و
Suleiman Mourad, «A Twelfth-Century Muslim Biography of Jesus», *Islam and Christian-Muslim Relations* 7 (1996), pp. 39-45.

(٦٤) انظر رقمي ١٦٩ و١٦٨.

(٦٥) انظر
A. d'Souza, «Jesus in Ibn 'Arabi's *Fusus al-Hikam*», *Islamochristiana* 8 (1982), pp. 185-200.

وأيضاً
Y. Marquet, «Les Ihwan al-Safa et le christianisme», *Islamochristiana* 8 (1982) pp. 129-158.

(٦٦) يرى زميلي الدكتور باسم مسلّم Basim Musallam أنّ المسيح يحتلّ مكانة خاصّة في التراث الإسلامي ككلّ ليست بعيدة عن تلك التي للإمام عليّ في التراث الإسلامي السنّي. فكلّ منهما ذو شخصيّة روحانيّة شامخة، لكن كليهما، كما يرى مسلّم، بحاجة أيضاً «للإنقاذ» من «غلو» أتباعهما. انظر أيضاً الحديث المنسوب إلى النبيّ محمّد عند البلاذري، أنساب الأشراف، ٢: ١٢١.

(٦٧) وفقاً لبيتر براون Peter Brown، ساهمت فكرة الصراع مع الشيطان في خلق مزاج العبادة في المسيحيّة الأولى. انظر
Peter Brown, *The World of Late Antiquity* (London: Thames and Hudson, 1978), pp. 53-56.

(٦٨) يبدو أنّ الغزالي خصّ أقوال المسيح من بين أقوال الأنبياء بتعليقات خاصّة.

(٦٩) انظر مثلاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ٥٤-٦٢ (أرقام ٤٣-٥٠).

(٧٠) انظر الأزرقي، أخبار مكّة، ١١١.

الإنـجيل
بـرواية المسلميـن

كلمة حول الهوامش والتعليقات

عمدتُ في الغالب إلى إدراج أقدم الصيغ لما يلي من الأقوال والقصص غير أني أضفت إليها إشارات إلى مصادر لاحقة زمناً وذلك ضمن تسلسلها الزمني على وجه العموم. كما أنني أضفت إلى هذه الهوامش إشارات إلى مجموعات ثلاث من هذه الأقوال هي:

(1) Miguel Asin y Palacios, «Logia et agrapha domini Jesu apud moslemicos scriptores, asceticos praesertim, usitata» *Patrologia Orientalis,* 13 (1919), 335-431, 19 (1926), 531-626.

(٢) الأب حنّا منصور «أقوال السيد المسيح عن الكتّاب المسلمين الأقدمين» المسرّة (١٩٧٦) ٤٥-٥١، ١١٥-١٢٢، ٢٣١-٢٣٩، ٣٥٦-٣٦٤؛ (١٩٧٧) ١٠٧-١١٣؛ (١٩٧٨) ٤٥-٥٣، ١١٩-١٢٣، ٢٢١-٢٢٥، ٣٤٣-٣٤٦، ٤٢٧-٤٣٢، ٥٢٥-٥٢٨، ٦٠٨-٦١١.

(3) James Robson, *Christ in Islam* (London: Allen and Unwin, 1929).

وقد حاولت ألاّ أطيل الهوامش والتعليقات إذ كان هدفي هو إبراز هذه الأقوال في سياقها الإسلامي العام، لكنني حاولت أيضاً الإشارة إلى ما قد يشبهها من حِكَم وأقوال في الأناجيل والأناجيل المنحولة (Apocrypha) وفي أدبيات حضارات الشرق الأدنى وغيرها من الحضارات. وحيث لم أجد من داعٍ يدعو إلى هامش أو تعليق أبقيت

عليها كما هي. وإذا عثر القارئ الكريم على مصدر ما لبعض هذه الأقوال فرجائي أن يؤدي ذلك إلى زيادة اهتمامه بهذه الأقوال.

أما الهوامش التي سطّرها المستشرق أسين في مجموعته فهي باللغة اللاتينية وتبقى لذلك محدودة الانتشار. وهذا أمر يؤسف له إذ إن بعضها عظيم الفائدة وقد أشرت إليها في بعض الأماكن.

وثمة أقوال خمسة لم أعثر على أصلها العربي وأشرت إليها في أماكنها.

همّام بن منبّه

١ رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق، فقال له عيسى: سرقت؟ فقال: كلاّ والذي لا إله إلاّ هو. فقال عيسى: آمنت باللّه وكذّبت عيني.

همّام بن منبّه (ت. ٧٤٨/١٣١)، صحيفة همّام بن منبّه، ٣٤ (رقم ٤١) [أسين، ٥٧٩ (رقم ١٨٤)؛ منصور، رقم ٢٠٨؛ ربسون، ٥٩]. انظر أيضاً البخاري، صحيح، ٣: ١٢٧١ (الأنبياء: رقم ٣٢٦٠)؛ مسلم، صحيح، ٧: ٩٧؛ الطرطوشي، سراج الملوك، ٤٣٤؛ ابن الصلاح، فتاوى ومسائل ابن الصلاح، ١: ١٨١-١٨٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٤: ٧٠٢.

همّام بن منبّه هو شقيق وهب بن منبّه، الأخباري شبه الأسطوري المشهور بنقل قصص وأحداث عصور ما قبل الإسلام. وصحيفة همّام المأخوذ منها هذا الخبر هي، حسب زعم محقّقها، أقدم مجموعة للحديث وصلتنا من القرن الإسلامي الأوّل. فإذا تمّ الأخذ برأيه، يكون المسلمون قد تداولوا قصص المسيح عيسى بن مريم منذ القرن الأوّل للهجرة (السابع للميلاد).

الخبر يركّز على أولويّة الإيمان المبطل للمعاصي، بما فيها تلك المقترفة بشكل فاضح. ومن الممكن الاستنتاج أنّ الخبر ينشد تجنّب

الحكم على الآخرين، ربّما من أجل المصلحة العامّة؛ أي إعطاء المخطئ فرصة حسن الظنّ. وممكن أنّ للخبر أيضاً أبعاداً سياسيّة، بمعنى أنّه يجب ترك الولاة لقضاء اللّه حتّى ولو كانوا مخطئين بما لا يقبل الشكّ.

عبد اللّه بن المبارك

٢ قال عيسى بن مريم صلّى اللّه عليه: طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٤٠-٤١ (رقم ١٢٤). انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب الصمت وآداب اللسان، ١٨٩-١٩٠ (رقم ١٥)؛ ابن حنبل، كتاب الزهد، ٢٢٩ (رقم ٨٥٠: منسوب إلى عبد اللّه بن عمر)؛ القشيري، الرسالة، ٦٨ (منسوب إلى النبيّ محمّد)؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٥١ (رقم ١٥٨)؛ الزبيدي، إتحاف السادة المتّقين، ٧: ٤٥٦ (الترتيب مختلف) [أسين، ٥٩٧ (رقم ٢١٧)؛ منصور، رقم ٢٥٤؛ ربسون، ٦١].

عبد اللّه بن المبارك هو من مشاهير علماء الحديث، بالتحديد في مرويّات الزهد. حول حياته وأعماله، خصوصاً كتابه الزهد والرقائق والمشاكل المتعلّقة بالمخطوطة المأخوذة منها هذه الأحاديث عن المسيح، انظر مقدّمة المحقّق (المصادر).

الخبر يحاكي خطبة المسيح على الجبل (إنجيل متّى، ٥: ١-٧: ٢٧؛ إنجيل لوقا، ٦: ١٧-٣٨). عبارة «طوبى» المستخدمة في هذا الخبر تؤكّد أسلوب المسيح في الخطابة، وهي تتردّد في أخبار أخرى.

٣ بلغني أنّ عيسى بن مريم صلّى اللّه عليه قال لقومه: لا تكثروا الكلام بغير ذكر اللّه تعالى فتقسو قلوبكم فإنّ القلب القاسي بعيد من اللّه ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب

الناس كأنّكم أرباب وانظروا فيها كأنّكم عبيد، إنّما الناس رجلان مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاد واحمدوا اللّه على العافية.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٤٤ (١٣٥). انظر أيضاً أبو رفاعة، كتاب بدء الخلق، ١٩٦؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٣: ١٤٣ [أسين. ٥٤١ (رقم ١١٢)، منصور رقم ١٠؛ ربسون، ٥١-٥٢]؛ السمرقندي، تنبيه الغافلين، ١٣٩ [أسين، ٥٥٨ (رقم ١٤٢)؛ منصور، رقم ٤٢؛ ربسون، ٥٥-٥٦]؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ٦: ٥٨؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٦٢ (رقم ١٧٨ وما بعده).

تتلاقى في هذا الخبر بضع وصايا. «لا تكثروا الكلام»، تعني هنا تحديداً «لا تجادلوا»، وهي في المضمون قرآنيّة. «القاسية قلوبهم» أصبحوا كذلك من كثرة المجادلة، التي تولّد العناد وتؤدّي حتماً إلى الكفر. وعبارة «ولكن لا تعلمون» هي أيضاً عبارة قرآنيّة. الوصيّة الأخرى، المتعلّقة بالأرباب والعبيد، تحذّر من المبالغة بالأمور الأخلاقيّة، ومن المحتمل أنّها تشير إلى فِرَق إسلاميّة متزمّتة، كالخوارج مثلاً، الذين تبنّوا سياسة متشدّدة حيال أصحاب المعاصي وحكموا بأنهم كفّار.

٤ قال عيسى بن مريم: إذا كان صوم يوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلاّ يرى الناس أنّه صائم، فإذا أعطى بيمينه فليخفِ من شماله، وإذا صلّى فليرخِ ستر بابه، فإنّ اللّه تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٤٨-٤٩ (رقم ١٥٠). انظر أيضاً المحاسبي، الرعاية لحقوق اللّه، ١٠٠؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٢٨٧ [أسين، ٣٨٩ (رقم ٥٥)؛ منصور، رقم ١٣٧؛ ربسون، ٤٦]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٧٥ (رقم ٢٠١).

الخبر مأخوذ من الأناجيل، والنقد فيها موجّه إلى الفريسيّين (إنجيل متّى، ٦: ١٦-١٨ و٦: ٢-٦). ولكن نرى هنا أنّ الخبر يخاطب جميع المنافقين، وهذا يدلّ على أساليب تحويل أخبار من الأناجيل وتقديمها في سياق إسلامي. العبارة الأخيرة «فإنّ اللّه تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق» لا تمتّ بصلة إلى ما سبقها من الخبر، وممكن أنّها أدخلت من خلال أسلوب التحويل إلى السياق الإسلامي.

٥ لقي جبرائيل عيسى بن مريم فقال: السلام عليك يا روح اللّه، قال: وعليك السلام يا روح اللّه. قال: يا جبرائيل، متى الساعة؟ قال: فانتفض جبرائيل في أجنحته ثمّ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة، أو قال: لا يجليها لوقتها إلاّ هو.

عبد اللّه بن المبارك (ت ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٧٧ (رقم ٢٢٨). انظر أيضاً سورة الأعراف ٧: ١٧٨؛ [أسين، ٥٨٥ (رقم ١٩٨)؛ منصور، رقم ٢٤٤؛ ربسون، ٩٢].

الخبر مستوحى من سورة الأعراف ٧: ١٨٧، حيث المسؤول عن الساعة هو النبيّ محمّد. عبارتا «ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة» و«لا يجليها لوقتها إلاّ هو» مأخوذتان حرفياً من النصّ القرآني. الخبر أيضاً يؤكّد أنّ المسيح، على الرغم من أنّه نبيّ مميّز، ليست له أيّة قوّة أو علم فوق طاقة البشر، وأنّه مجرّد بشر. وهناك أحاديث تحاكي هذا الخبر، منها شخص يسأل النبيّ محمّداً عن الساعة فيجيبه النبيّ: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل».

٦ كان عيسى بن مريم إذا ذكر الساعة صاح ويقول: لا ينبغي لابن مريم أن تُذكر عنده الساعة، فيسكت.

عبد الله بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٧٧-٧٨ (رقم ٢٢٩). انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٢١ (رقم ١٠٠).

هذا الخبر موصول بالخبر السابق، ويركّز على المغزى ذاته. ويركّز كذلك على عجز المسيح حيال أمور الساعة، فهو ليس فقط لا يعرف متى قيام الساعة، بل هو أيضاً عرضة لأهوالها كأيّ بشر آخر.

٧ قال عيسى بن مريم للحواريين: لا تأخذوا ممّن تعلّمون من الأجر إلاّ مثل الذي أعطيتموني، ويا ملح الأرض، لا تفسدوا فإنّ كلّ شيء إذا فسد يداوى بالملح وإنّ الملح إذا فسد فليس له دواء، واعلموا أنّ فيكم خصلتين من الجهل، الضحك من غير عجب والصبحة من غير سهر.

عبد الله بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٩٦ (رقم ٢٨٣). انظر أيضاً ابن حنبل، الزهد، ١٤٧ (رقم ٤٩١)؛ السمرقندي، تنبيه الغافلين، ٧٠ (الترتيب مختلف) [أسين، ٥٥٣ (رقم ١٣٢)؛ منصور، رقم ٣٢؛ ربسون، ٥٤-٥٥]؛ ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم، ١: ١٨٥؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٩٠ (رقم ٢٣١).

فكرة أنّ المعلّم الحقيقي لا يجب له أن يأخذ أجراً هي بقدم الفيلسوف سقراط، وهي موجودة أيضاً في التراث اليهودي القديم والأناجيل، وفي الحكمة الإسلاميّة. وعبارة «وما أسألكم عليه من أجر» مكرّرة خمس مرّات في سورة الشعراء (٢٦). أمّا عبارة «يا ملح الأرض» فهي من الأناجيل (إنجيل متّى، ٥: ١٣؛ انظر أيضاً إنجيل لوقا، ١٤: ٣٤-٣٥)، ولكنّها هنا مفسّرة. وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض أحاديث المسيح الموجودة في هذا الكتاب هي مجرّد شرح أو تفسير لأحاديث مقتضبة من الأناجيل. والعبارة الأخيرة «اعلموا أنّ فيكم خصلتين من الجهل، الضحك من غير عجب والصبحة من غير سهر»

هنا أيضاً لا تمتّ بصلة إلى ما سبقها من الخبر، وهي تنتمي إلى باب الأدب والحشمة؛ ومن الممكن أنّ ابن المبارك جمع هنا ثلاثة أخبار متفرّقة في خبر واحد. أمّا ذكر السهر، فقد يكون القصد تشجيع المؤمن على قيام الليل مصلّياً. بخصوص كره نوم الصبح، انظر المِشْنا:
J. H. Hertz, *Sayings of the Fathers* (London: East and West Library, 1952), p. 45 (no. 14).

٨ قال عيسى بن مريم للحواريين: كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فدعوا لهم الدنيا.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٩٦ (رقم ٢٨٤). انظر أيضاً ابن حنبل، الزهد، ١٤٤ (رقم ٤٧٥)؛ السمرقندي، تنبيه الغافلين، ١٩٠ (الخبر أطول) [أسين، ٥٦٣ (رقم ١٤٧)؛ منصور، رقم ٤٨؛ ربسون، ٩٠]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٣٥ (رقم ١٢٣).

حديث مهمّ وممعن في القدم، ربّما مستوحى من «أعطِ ما لقيصر لقيصر» (إنجيل متّى، ٢٢: ٢١)، وهو يشير إلى الخلاف المزمن في الإسلام بين الملوك والأمراء من جهة والعلماء من جهة أخرى. والخبر يشير إلى ضرورة إيجاد فصل بين عمل الملوك وعمل العلماء. ترك الدنيا للملوك يعني بالأساس ضرورة الركون إلى عدم المبالاة بما يخصّ أمور الدنيا، ولكن السياق التاريخي العام يشير إلى الخلاف العميق بين العلماء والولاة في العصر الإسلامي الأوّل. مثال على ذلك الحسن البصري (ت. ١١٠/٧٢٨) وأخباره مع الحجّاج بن يوسف (ت. ٩٥/ ٧١٤). وهناك بضعة أحاديث منسوبة إلى المسيح مرويّة عن الحسن البصري، وستتمّ الإشارة إلى ذلك في المكان المناسب. عن الحسن البصري، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*.

٩ عيسى بن مريم كان يقول: يا ابن آدم، إذا عملت الحسنة

فاله عنها فإنّها عند من لا يضيّعها، ثمّ تلا هذه الآية: **إنّا لا نضيّع أجر من أَحسن عملاً** (سورة الكهف ١٨: ٣٠)، وإذا عملت سيّئة فاجعلها نصب عينيك. وقال ابن الورّاق: عند عينيك.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ١٠١ (رقم ٣٠١). انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٦٨ (رقم ١٩٠).

هذا الخبر قريب من بعض الوصايا المذكورة في الأناجيل، تحديداً تلك المتعلّقة بضرورة كتمان هويّة فاعل الخير. أمّا بخصوص ترديد المسيح لآية من القرآن، فهذا غير مستغرب في نطاق إسلامي. فالقرآن هو الكتاب والمسيح وجميع الأنبياء هم مسلمون. تعليق ابن الورّاق هو متأخّر، كما هي الحال في الملاحظتين في الخبرين التاليين. عن ابن الورّاق (ت. ٣٧٨/٩٨٨)، انظر ص ٢١ من مقدّمة محقّق كتاب الزهد والرقائق.

١٠ عيسى بن مريم قال: يا معشر الحواريين، تحبّبوا إلى اللّه ببغضكم أهل المعاصي وتقرّبوا إليه بما يباعدكم منهم والتمسوا رضاه بسخطهم ـ قال [مالك]: لا أدري بأيّتهنّ بدأ. قالوا: يا روح اللّه، فمن نجالس؟ قال: جالسوا من يذكّركم باللّه رؤيته، ومن يزيد في علمكم منطقه، ومن يرغّب في الآخرة عمله.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ١٢١ (رقم ٣٥٥). انظر أيضاً الجاحظ، البيان والتبيين، ١: ٣٩٩ و٣: ١٧٥؛ ابن أبي الدنيا، كتاب الأولياء (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٤: ١٧ (رقم ٢٥: جزء من الخبر فقط، ومنسوب إلى النبيّ محمّد)؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٣: ١٤٣ (الجزء الأخير فقط) (منصور، رقم ٧)؛ ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم، ١:

١٢٦؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٢: ١٥٧ [أسين، ٣٥٨ (رقم ١٥)؛ منصور، رقم ١٠٠؛ ربسون، ٤٣-٤٤]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٧٩ (رقم ٢٠٨ وما بعده).

نادراً ما يظهر مسيح الأناجيل، الذي يعاشر أصحاب المعاصي، في تلك الصورة في المدوّنات الإسلاميّة التي تبرزه جليّاً كزاهد. انظر كعكس ذلك رقم ٨١.

مالك هو مالك بن مغول (ت. ١٥٩/ ٧٧٥-٧٧٦)، محدّث عاش في الكوفة ونقل بضعة أحاديث منسوبة إلى المسيح. يظهر جزء من هذا الخبر كحديث منسوب إلى النبيّ محمّد (انظر ابن أبي الدنيا). ويوجد في أدبيّات الحكمة العربيّة أخبار مشابهة منسوبة إلى لقمان الحكيم الذي عاش في عصر ما قبل الإسلام وأعطى اسمه لسورة لقمان (٣١). وهو معروف بوصاياه لابنه، منها اثنتان تشبهان هذا الخبر: انظر المبشّر بن فاتك، مختار الحكم، ٢٧١ و٢٧٥.

١١ كان عيسى بن مريم صلّى اللّه عليه يقول لأصحابه: اتّخذوا المساجد مساكن والبيوت منازل وكلوا من بقل البريّة وانجوا من الدنيا بسلام. قال شريك: فذكرت ذلك لسليمان فزادني: واشربوا من الماء القراح.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/ ٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ١٩٨ (رقم ٥٦٣). انظر أيضاً ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٣: ١٤٣ [أسين، ٥٤١ (رقم ١١١)؛ منصور، رقم ٩؛ ربسون، ٧٣]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٣٨ (رقم ١٢٨).

يبرز هذا الخبر صورة المسيح كزاهد سيّاح لا يملك شيئاً، يسيح من مكان إلى مكان ويعيش ممّا تنبته الأرض. وستزداد هذه الصورة وضوحاً وتنقيحاً في أخبار لاحقة، لتصبح الصورة الغالبة لشخصيّة

المسيح وأسلوب عيشه في المدوّنات الإسلاميّة. فكرة أن يكون المؤمن سيّاحاً في هذه الدنيا هي أيضاً مأخوذة من الأناجيل، لكن الفرار من الدنيا «بسلام» ـ أو ربّما «بإيمان سليم» ـ هي ميزة بارزة للمسيح المسلم. عبارة «واشربوا من السماء القراح» يجب قراءتها على الأرجح بمعنى «كونوا أنقياء». أمّا ذكر «المساجد» فتشير إلى كونها أماكن العبادة المثلى في النطاق الإسلامي.

شريك (ت. ١٧٧/ ٧٩٤) هو قاضٍ ومحدّث مشهور. وسليمان هو ابن المغيرة (ت. ١٦٥/ ٧٨١-٧٨٢) من محدّثي أهل البصرة.

١٢ عن عيسى بن مريم أنّه قال: يوشك أن يفضي بالصابر البلاء إلى الرخاء، وبالفاجر الرخاء إلى البلاء.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/ ٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٢٢٢ (رقم ٦٢٧). انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٩٨ (رقم ٢٤١).

الصبر هو ميزة من مزايا الزهد، وليس ذلك في الإسلام فقط. وفحوى الخبر ينتمي إلى نمط من الحكمة في الشرق الأدنى القديم واسع الانتشار ومن غير الممكن تحديد مصدره بدقّة في تراث أو حضارة معيّنة. ومن الممكن أيضاً ملاحظة عنصر رواقيّ (Stoic) في هذا الخبر. وتلاحظ الحنكة والمهارة في تقاطع عبارات النصّ.

١٣ قال عيسى بن مريم: أربع لا تجتمع في أحد من الناس إلاّ يعجب ـ أو إلاّ يعجبه ـ الصمت، وهو أوّل العبادة، والتواضع للّه، والزهادة في الدنيا، وقلّة الشيء.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/ ٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٢٢٢ (رقم ٦٢٩). انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، الصمت، ٥٧٣-٥٧٤ (رقم ٦٤٧)؛ السمرقندي، تنبيه الغافلين، ٧٧ (اختلاف بسيط) [أسين، ٥٥٤ (رقم ١٣٥)؛ منصور، رقم ٣٥؛ ربسون، ٥٥]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٤٢ (رقم ١٣٩).

تعداد الميزات في هذا الشكل هو أسلوب معروف في الكتابات الأدبيّة: أسلوب تعليمي مساعد للحفظ. هذا الخبر أيضاً منسوب إلى النبيّ محمّد.

١٤ عيسى بن مريم صلّى اللّه عليه مرّ بخربة فقال: يا خربة الخربين ـ أو قال: يا خربة خربت ـ أين أهلك؟ فأجابه منها شيء فقال: يا روح اللّه، بادوا فاجتهد ـ أو قال: فإنّ أمر اللّه جدّ فجدّ.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٢٢٥ (رقم ٦٤٠). انظر أيضاً ابن حنبل، الزهد، ٢٨٢ (رقم ١٠٥٧: منسوب إلى عبد اللّه بن عمر)؛ الدينوري، كتاب المجالسة، ٣: ١٦٠-١٦١ (رقم ٧٩٧)؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٨٣ (رقم ٢١٥).

هناك عدّة أخبار في الإنجيل الإسلامي نجد فيها المسيح يخاطب الخراب، وهو يتصرّف بذلك كمستنطق للطبيعة. وهذا أيضاً من المزايا الخاصّة بالمسيح المسلم. ويُذكّر الخبر أيضاً بصور المدن المدمّرة في القرآن، وكذلك في الحديث. صلة هذا الخبر بالزهد واضحة جدّاً، لكن من الممكن أنّه يهدف أيضاً إلى نسج تناغم بين المسيح والنبيّ محمّد، خصوصاً في ضوء الأحاديث المنسوبة إلى النبيّ محمّد والتي يذكر فيها أنّ المسيح هو أقرب وأعزّ الأنبياء إليه: انظر ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ٥٤-٥٥ (رقم ٤٣).

١٥ قال عيسى بن مريم: اعملوا للّه ولا تعملوا لبطونكم. انظروا إلى هذا الطير تغدو وتروح، لا تحصد ولا تحرث واللّه يرزقها. فإن قلتم نحن أعظم بطوناً من هذا الطير، فانظروا إلى هذه الأباقر من الوحش والحمر، فإنّها تغدو وتروح، لا تحرث

ولا تحصد والله يرزقها. اتّقوا فضول الدنيا فإنّ فضول الدنيا عند الله رجز.

عبد الله بن المبارك (ت. ١٨١/ ٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٢٩١ (رقم ٨٤٨). انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب القناعة (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ١: ٧١ (رقم ١٧٣)؛ السمرقندي، تنبيه الغافلين، ١٦٨ (مختلف) [أسين، ٥٦٣ (رقم ١٤٦)؛ منصور، رقم ٤٧؛ ربسون، ٧٢-٧٣]؛ أبو حيّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ٢: ١٢٧؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤: ٢٦٠ (اختلاف بسيط) [منصور، رقم ١٦٣]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٦٦ (رقم ١٨٧).

جوهر هذا الخبر مأخوذ من الأناجيل (انظر إنجيل متّى ٦: ٢٦)، والعبرة مشروحة بإسهاب (قارن برقم ٧) ومدعومة بعبارتي: الافتتاحيّة «اعملوا للّه»، والخاتمة «اتّقوا فضول الدنيا». والجزء المتعلّق بالطير موجود أيضاً كحديث منسوب إلى النبيّ محمّد: انظر ابن حنبل، كتاب الزهد، ٣٦ (رقم ٩٧).

١٦ أقبل عيسى بن مريم على أصحابه ليلة رُفع فقال لهم: لا تأكلوا بكتاب الله، فإنّكم إن لم تفعلوا أقعدكم الله على منابر، الحجر منها خير من الدنيا وما فيها. قال عبد الجبّار: وهي المقاعد التي ذكر الله في القرآن: في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر (سورة القمر ٥٤: ٥٥)، ورُفع.

عبد الله بن المبارك (ت. ١٨١/ ٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٥٠٧ (رقم ١٤٤٧).

قارن برقم ٧. المقاعد المشار إليها هي بالتأكيد في الجنّة. أمّا عبد الجبّار فهو عبد الجبّار بن عبيد بن سلمان (ت. ١١٢/ ٧٣٠) من رواة الحديث، ويُقال إن أصله نصراني.

١٧ قِيل لعيسى بن مريم صلوات اللّه عليه: يا روح اللّه وكلمته، من أشدّ الناس فتنة؟ قال: زلّة العالم، إذا زلّ العالم زلّ بزلّته عالم كثير.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق، ٥٢٠ (رقم ١٤٧٤). انظر أيضاً العامري، السعادة والإسعاد، ١٦٩ (مختلف)؛ أبو طالب المكّي، قوت القلوب، ١: ١٧٤ (رقم ٢٥: جزء من الخبر، ومنسوب إلى النبيّ محمّد)؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٣: ١٤٣ (الجزء الأخير فقط) [أسين، ٥٤٥ (رقم ١٢٢)؛ منصور، رقم ٢٤؛ ربسون، ٥٢]؛ الماوردي، أدب الدنيا والدين، ٣٠؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٩٠ (رقم ٢٣٢: اختلاف بسيط).

عبارة «يا روح اللّه وكلمته» هي اللقب القرآني للمسيح، وستتكرّر في أخبار أخرى لاحقة. والكلام عن العلماء له دلالات سياسيّة ولاهوتيّة: فهم لهم مسؤوليات اجتماعيّة أساسيّة. في أوائل القرن العبّاسي، وهي الفترة التي ظهر فيها هذا الخبر، برز العلماء كطبقة مستقلّة في المجتمع. والخلفاء العبّاسيّون، من خلال جهدهم في تدعيم ركائز الأسرة الحاكمة، تودّدوا وتقرّبوا بشكل فعّال من العلماء. لكن ردّة فعل العلماء كانت متنوّعة ومتباعدة، خصوصاً فيما يتّصل بالدولة الجديدة وشرعيّتها. الخبر يشدّد على ضرورة توخّي الحذر، وقد نقرأه كنقد لاذع لأولئك العلماء الذين تدافعوا طوعاً لخدمة الدولة العبّاسيّة الفتيّة، عبر وضع معرفتهم بأمور الدين ومركزهم الاجتماعي المرموق بتصرّفها.

في أدبيّات الحكمة العربيّة، منسوب خبر مماثل لهذا إلى الحكيم هرمز (Hermes) الذي يُعتقد أنّه المعرّف في القرآن بالنبيّ إدريس: انظر مبشّر بن فاتك، مختار الحكم، ٢٥؛ انظر أيضاً المِشْنا:

Hertz, *Sayings of the Fathers*, p. 60 (no. 16).

١٨ يحيى بن زكريّا لقي عيسى بن مريم صلّى اللّه عليهما

فقال: أخبرني بما يُقرّب من رضا اللّه وما يُبعد من سخط اللّه؟ فقال: لا تغضب. قال: الغضب، ما يبدأه وما يعيده؟ قال: التعزّز والحمية والكبرياء والعظمة. قال: فغير ذلك أسألك عنه؟ قال: سل عمّا بدا لك. قال: الزنا ما يبدأه وما يعيده؟ قال: النظر، فيقع في القلب ما يُكثر الخطو إلى اللهو والغنى فتكثر الغفلة والخطيئة، ولا تدم النظر إلى ما ليس لك، فإنّه لن يعسك ما لم ترَ ولن يرسك ما لم تسمع.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق (الملحق)، ١٢ (رقم ٤٤). انظر أيضاً الطرطوشي، سراج الملوك، ٢٥٢؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ١٦٨ (الخبر أقصر) [أسين، ٣٣٦ (رقم ٣١)؛ منصور، رقم ١١٦: ربسون، ٤٥].

نجد عدّة أخبار عن المسيح ويحيى معاً في الإنجيل الإسلامي: انظر أرقام ٣٩، ٥٣، ٥٤، ١٢٤، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٨٧. وديباجة السؤال والجواب شائعة في المدوّنات الأدبيّة. لكن بالإجمال، نمط الحكيمين اللذين يتبادلان النصح موجود في قصص الفلاسفة الإغريق؛ إحدى روايات المسيح ويحيى تذكّر بقصّة من تلك القصص: انظر رقم ١٢٤. في التراث الإسلامي، كما في التراث المسيحي، المسيح ويحيى هما ابنا خالتين. وفي القرآن، «الغفلة» هي المقدّمة المؤدّية إلى «المعصية».

١٩ قحط المطر زمن عيسى بن مريم فمرّت سحابة فنظر عيسى بن مريم فإذا فيها ملك يسوقها فناداه فقال: إلى أين؟ فقال: إلى أرض فلان. فانطلق عيسى حتّى أتاه، فإذا هو يصلح بالمسحاة سواقيها فقال: أردته أكثر منه ـ يعني المطر؟ قال: لا. قال: فأقلّ منه؟ قال: لا. قال: فما تصنع في زرعك العام؟

قال: وأيّ زرع! إنّه يأكله اليرقان وكذا. قال: فما صنعت عام أوّل؟ قال: جعلته ثلاثة أثلاث، ثلثاً للأرض والبقر والعيال، وثلثاً للفقراء والمساكين وابن السبيل، وثلثاً لأجلي. فقال عيسى: ما أدري أيّ هذه الثلاثة أعظم أجراً.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق (الملحق)، ٣٢ (رقم ١٢٦). انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب إصلاح المال (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٩٦ (رقم ٣٢٢: اختلاف بسيط) وانظر صحيح مسلم ٨: ٢٢٢٠.

هذا الخبر هو أوّل قصّة مطوّلة للقاء بين المسيح ومزارع. طريقة توزيع المزارع لمحصوله تتجاوز بكثير متطلّبات الزكاة في الشرع الإسلامي، ومن دون شكّ، تستأهل مكافأة من الملائكة ورضا المسيح. في الشكل، ممكن أنّ الخبر تمّ التداول به أساساً كمثل. وعلى عكس ما نجد عامّة في الأناجيل، نرى هنا المسيح يعلّق على الخبر بدلاً من أن يكون قائله؛ والتعليق يهدف إلى استخراج العبرة منه. هذا الأسلوب يتكرّر بعض الشيء في الإنجيل الإسلامي. هناك قصّة عن راع مصري مسيحي تشابه في بعض جوانبها هذا الخبر: انظر:
Benedicta Ward (trans.), *The Sayings of the Desert Fathers* (Lonon: Mowbray, 1948), p. 60.

٢٠ قال الحواريون لعيسى بن مريم: أخبرنا من المُخلص للّه؟ قال: الذي يعمل العمل للّه لا يحبّ أن يحمده الناس عليه. قالوا: فمن الناصح للّه؟ قال: الذي يبدأ بحقّ اللّه قبل حقّ الناس (النصّ مقطوع) حقّ اللّه على حقّ الناس، وإذا حضر أمران، أمر الدنيا وأمر الآخرة، بدأ بأمر الآخرة ثمّ تفرّغ لأمر الدنيا.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق (الملحق)، ٣٤ (رقم ١٣٤). انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٧١ (رقم ١٩٥).

هنا أيضاً، ديباجة السؤال والجواب تدين بأسلوبها إلى الأدب.

٢١ بينما المسيح [مرّة] في رهط من الحواريين بين نهر جارٍ وحيّة منتنة، أقبل طائر حسن اللون يتلوّن كأنّما هو الذهب فوقع قريباً فانتفض فسلخ عنه مسكه فإذا هو أقبح شيء (النصّ مقطوع) [فخلع مسلاخه فخرج أقرع أحمر كأقبح ما يكون، فأتى بركة فتلوّث في حمأتها فخرج أسود قبيحاً، فاستقبل جرية الماء فاغتسل، ثمّ عاد إلى مسلاخه فلبسه، فعاد إليه حسنه وجماله] حتّى رجع إلى مسكه فتدرّعه كما كان أوّل مرّة. فكذلك عامل الخطيئة حين يخرج من دينه ويكون في الخطايا. وكذلك مثل التوبة كمثل اغتساله من النتن في النهر الضحضاح، ثمّ راجع دينه حتّى تدرّع مسكه. وتلك الأمثال.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق (الملحق)، ٤٤-٤٥ (رقم ١٧١). انظر أيضاً أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ٦: ٦٠ (اختلاف بسيط)؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ٢٠١ (رقم ٢٤٧: اختلاف بسيط). الزيادة، ما بين [ ]، من حلية الأولياء.

هذا الخبر غريب ويصعب فهمه، خصوصاً كون النصّ مقطوعاً في بعض الأماكن. على الرغم من ذلك، الواضح أنّه لقاء مع الطبيعة، حيث النواحي المختلفة تمثّل مزايا أخلاقيّة وحالات وجوديّة متنوّعة: «نهر الحياة» و«أفعى الشرّ» وبينهما العصفور/الإنسان قبيح عند المعصية ونقيّ جميل عند الإيمان. كما نجد في رقم ١٩، المسيح مشاهد للحدث ومعلّق عليه. ويبدو أنّ المسيح المسلم بحاجة إلى إعادة تفسير مسيح الأناجيل، ربّما من أجل «غسله» من التفاسير الخاطئة لأتباعه

«الضّالين»، كما يهدف القرآن. وممكن أيضاً أنّه لا يجوز ترك الأمثال من دون تعليق، بل يجب تفسيرها وتوضيحها وجعلها أخباراً، أي روايات شبه تاريخيّة. ربّما هذا هو الهدف من العبارة الأخيرة «وتلك الأمثال»، بمعنى «هكذا يجب أن تُفهم الأمثال».

٢٢ كان عيسى بن مريم يقول: حبّ الفردوس وخشية جهنّم يورثان الصبر على المشقّة، ويباعدان العبد من راحة الدنيا.

عبد اللّه بن المبارك (ت. ١٨١/٧٩٧)، كتاب الزهد والرقائق (الملحق)، ٤٦ (رقم ١٧٥). انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤: ١٨٠ (الخبر كامل) (منصور، رقم ١٥٢)؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٣٦ (رقم ١٢٥).

«من راحة الدنيا»: «الشعور بالأمان في هذه الدنيا» هي قراءة أخرى.

عبد الملك بن هشام

٢٣ أتى الحواريّون عيسى بن مريم فقالوا له: يا روح اللّه وكلمته، أرِنا جدّنا سام بن نوح ليزيدنا اللّه يقيناً. فسار بهم عيسى إلى قبر سام فقال: أجب بإذن اللّه يا سام بن نوح. فقام بقدرة اللّه كالنخلة السحوق. قال له: كم عشت يا سام؟ قال له: عشت أربعة آلاف سنة تنبّيت ألفين وعمّرت ألفين. قال له عيسى: فكيف كانت الدنيا عندك؟ قال له سام: كبيت ببابين دخلت من هذا وخرجت من هذا.

عبد الملك بن هشام (ت. ٢١٨/٨٣٣)، كتاب التيجان، ٢٧. انظر أيضاً الواقدي، المغازي، ١: ١٢١؛ ابن أبي الدنيا، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١١٠-١١١ (رقم ٢٢٩).

ابن هشام هو راوية أقدم سيرة وصلتنا للنبيّ محمّد (سيرة ابن إسحاق لابن هشام). المصدر المأخوذ منه هذا الخبر (كتاب التيجان) هو مخصّص لتاريخ شبه الجزيرة العربيّة في فترة ما قبل الإسلام، مع العلم أنّ نسبته إلى ابن هشام فيها بعض الشكّ (عن ابن هشام، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*). وبخصوص خبر آخر عن إحياء سام بن نوح من القبر، انظر مصادر رقم ٥٩).

في الشرق الأوسط اليوم، هناك عدّة مزارات يُعتقد أنّها قبور لأنبياء، مثل النبيّ نوح، منها ما يبلغ طوله ٥٠ متراً أو أكثر. في خبر آخر مماثل لقصّة سام بن نوح، أراد الحواريون فحص قدرة المسيح على إحياء الموتى، ليس فقط الحديثي الوفاة، بل أيضاً المتوفّين منذ زمن بعيد. وحياة سام بن نوح، في التراث الإسلامي، كانت الأطول بين الأنبياء (انظر ابن أبي الدنيا). على أيّ حال، كلام سام بن نوح هنا يوافق مواعظ المسيح حيال تفاهة الدنيا.

محمّد بن سعد

٢٤ ممّا أُنزل على لسان عيسى بن مريم: أنّ اللعنة تكون في الأرض إذا كان أمراؤها الصبيان.

محمّد بن سعد (ت. ٢٣٠/٨٤٥)، الطبقات الكبرى، ٦: ٢٩.

محمّد بن سعد من علماء الحديث ومؤلّف أوّل كتاب شامل للطبقات في الإسلام (انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopdia of Islam 2*). الوحي المذكور هنا بـ «على لسان عيسى بن مريم» له مدلولات سياسيّة جليّة. إذا أراد المرء الخوض في بعض التكهّنات حول هدف هذا الخبر، ما يأتي على الخاطر هي الفتنة التي نشبت في القرن

الإسلامي الأوّل على أثر خلافة معاوية الثاني بن يزيد. فمعاوية الثاني كان قاصراً ومصاباً بمرض أدى إلى وفاته بعد قليل من تربّعه على عرش الخلافة الأمويّة. وخلفه مروان بن الحكم، الشيخ المسنّ. الفتنة هذه أدّت إلى الحرب الأهليّة الثانية (٦٨٢-٦٩٥) التي كان من أهمّ أقطابها عبد اللّه بن الزبير، عبد الملك بن مروان والحجّاج بن يوسف. وكان لها أثر كبير على كثير من الأحاديث الموضوعة، خصوصاً تلك المتعلّقة بيوم القيامة ونهاية العالم. الخبر أيضاً موجود في الكتاب المقدّس سفر الجامعة ١٠ : ١٦ (الفضل في هذه الإشارة يعود إلى الدكتورة Maria Ascher).

أحمد بن حنبل

٢٥ أوحى اللّه إلى عيسى عليه السلام: أن يا عيسى، عظ نفسك فإن اتّعظت، فعظ الناس، وإلاّ فاستحِ منّي.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٣ (رقم ٣٠٠). انظر أيضاً أبو عبد الرحمن السلمي، عيوب النفس ومداواتها، ٩٠؛ القشيري، الرسالة، ١١٧؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ١ : ٦٨؛ الغزالي، أيّها الولد، ١٤٠ [أسين، ٣٥٢ (رقم ٧)؛ منصور، رقم ١٩٠؛ ربسون، ٧٨].

أحمد بن حنبل من عمالقة العصر الإسلامي الأوّل. فهو كان راوية للحديث وقاضياً ورجلاً سياسياً بامتياز، أعطى اسمه إلى المذهب الحنبليّ في الفقه. عن حياته وأعماله، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*. أمّا بخصوص مؤلّفاته، فالكثير منها محقق بشكل سيّئ. على سبيل المثال، المصدران المستخدمان في هذا الكتاب ـ كتاب الزهد وكتاب الورع ـ حقّقا على أسس طبعة مصريّة قديمة مليئة بالأخطاء المطبعية. وقد بذلت كلّ الجهد لإعادة النصّ إلى سياق صحيح.

في التعبيرالإسلاميّ، الخبر هو حديث قدسي كون المتكلّم هو الله: انظر:

William A. Graham, *Divine Word and Prophetic Word in Early Islam* (The Hague: Mouton, 1977).

الكثير من الأحاديث القدسيّة أوحيت إلى النبيّ محمّد، وأيضاً إلى غيره من الأنبياء. والخبر هنا يتضمّن عتاباً للمسيح بأنّ عليه أن يعمل وفق ما يعظ، والتركيز مجدّداً على أنّه كبشر ليس بمنأى من عتاب وتوبيخ اللّه، إذا كان من داع لذلك. كلّ هذا يوافق مضمون ولهجة كلام اللّه الموجّه للمسيح في القرآن.

٢٦ عيسى بن مريم عليه السلام كان واقفاً على قبر ومعه الحواريون ـ أو قال: في نفر من أصحابه. قال: وصاحب القبر يُدلى فيه. قال: فذكروا من ظلمة القبر ووحشته وضيقه. قال: فقال عيسى عليه السلام: قد كنتم فيما هو أضيق منه، في أرحام أمّهاتكم، فإذا أحبّ اللّه عزّ وجلّ أن يوسع وسّع.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٣ (رقم ٣٠١)، انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ٢٠٣ (رقم ٢٥٠).

الحكمة المتفوّه بها بجانب قبر نمط شائع في التراث الإغريقي، وربّما كذلك في التراث الفارسي القديم. أشهر مثل على ذلك خبر الحكماء السبعة الجالسين قرب سرير الإسكندر وقت وفاته، وهي موجودة في بعض كتب النوادر العربيّة. وكلمات التطمين التي يوجّهها المسيح إلى تلامذته تشبه في بعض نواحيها آيات من القرآن حيث اللّه يطمئن المسلمين (انظر على سبيل المثال سورة آل عمران ٣: ١٠٣ و١٣٩؛ سورة الأعراف ٧: ٨٦، وسورة الحجّ ٢٢: ٥).

٢٧ قال المسيح: أكثروا ذكر اللّه عزّ وجلّ وحمده وتقديسه

وأطيعوه، فإنّما يكفي أحدكم من الدعاء إذا كان اللّه عزّ وجلّ راضياً عنه أن يقول: اللهمّ، اغفر لي خطيئتي، وأصلح لي معيشتي، وعافني من المكاره، يا إلهي.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٣ (رقم ٣٠٢).

واحدة من عدّة صلوات منسوبة إلى المسيح.

٢٨ قال عيسى عليه السلام: طوبى للمؤمن ثمّ طوبى له كيف يحفظ اللّه عزّ وجلّ ولده من بعده.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥) كتاب الزهد، ٩٣ (رقم ٣٠٤). انظر أيضاً الزبيدي، إتحاف السادة المتّقين، ٨: ٤٤٠ (منصور، رقم ٢٥٦).

٢٩ كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول: إذا تصدّق أحدكم بيمينه فليخفها عن شماله، وإذا صلّى فليدنِ عليه ستر بابه، فإنّ اللّه عزّ وجلّ يقسم الثناء كما يقسم الأرزاق.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥). كتاب الزهد، ٩٤ (رقم ٣٠٧).

تلخيص لما في إنجيل متّى ٦: ٢-٦. انظر التعليق على رقم ٤.

٣٠ قيل لعيسى بن مريم عليه السلام: يا رسول اللّه، لو اتّخذت حماراً تركبه لحاجتك؟ قال: أنا أكرم على اللّه من أن يجعل لي شيئاً يشغلني به.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٤ (رقم ٣٠٩). انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٦٩ (رقم ١٣٠)؛ الدينوري، كتاب المجالسة، ٥: ٢٤٤ (رقم ٢٠٧٦)؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤: ٣٢٠ [أسين، ٤١٤ (رقم ٨٦)؛ منصور، رقم ١٦٨؛ ربسون، ٧٣]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٣٠ (رقم ١١٤-١١٥)؛ ابن الجوزي، ذمّ الهوى، ٦٤؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١: ٢٩.

إذا كان السؤال الموجّه إلى المسيح في هذا الخبر إشارة إلى دخوله بيت المقدس في يوم أحد السَّعف، فجواب المسيح لا يمتّ بأيّة صلة إلى ذلك الحدث (انظر إنجيل متّى ٢١ : ٢، وإنجيل لوقا ١٩ : ٣٠). فهو في الشكل والمضمون جواب رجل زاهد مشغول كلّيّاً باللّه.

٣١ عيسى بن مريم عليه السلام قال للحواريين: الحقّ أقول لكم، ما الدنيا تريدون ولا الآخرة. قالوا: يا رسول اللّه، فسّر لنا هذا الأمر، فإنّا قد كنّا نرى أنّا نريد أحدهما؟

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٤-٩٥ (رقم ٣١٠).

تتردّد عبارة «الحقّ أقول لكم» كثيراً في كلام المسيح، وهو ما يعطي الخبر مصداقيّة. الإشارة إلى أنّ الإنسان لا يبغي هذه الدنيا ولا يبغي الآخرة هي محاكاة لنظرة القرآن إلى الإنسان أساساً كمتقلّب، ضائع، يتأرجح بين الخيارات المختلفة وعاجز عن أخذ القرار (انظر سورة آل عمران ٣: ١٥٢، سورة النساء ٤ : ١٣٧، سورة الإسراء ١٧ : ١١، سورة الروم ٣٠: ٧).

٣٢ قال عيسى بن مريم عليه السلام: ما لي لا أرى فيكم أفضل العبادة؟ قالوا: وما أفضل العبادة يا روح اللّه؟ قال: التواضع للّه عزّ وجلّ.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٥ (رقم ٣١٢).

التواضع للّه أهمّ سمة من سمات العبادة، مقارنةً بالكِبر وهي، في القرآن، من عظائم الخطايا. القرآن يمدح بعض النصارى لتواضعهم ولغياب الكِبَر من نفوسهم (انظر سورة المائدة ٥ : ٨٢). انظر أيضاً أرقام ١٣، ٢١٤، ٢٥٣.

٣٣ عيسى بن مريم عليه السلام قال: اجعلوا كنوزكم في السماء فإنّ قلب المرء عند كنزه.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٥ (رقم ٣١٣). انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٢٥ (رقم ٣١)؛ الدينوري، كتاب المجالسة، ١: ٣٣٧-٣٣٨ (رقم ٤٦)؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٨٤ (رقم ٢١٨)؛ ابن العربي، الفتوحات المكّيّة، ٢: ٨١٢ [أسين، ٥٨٣ (رقم ١٩٢)؛ منصور، رقم ٢٢٣؛ ربسون، ٦٠].

على الرغم من كون هذ الخبر مأخوذاً حرفيّاً من إنجيل متّى، ٦: ٢٠-٢١، فهو مذكور هنا لمدلوله التاريخي كدليل على اطّلاع بعض المسلمين على إنجيل مترجم إلى العربيّة أو كتب القدّاس. لمزيد من المعلومات، انظر المصادر المذكورة في هامش رقم ٢٩ في مقدّمة الكتاب.

٣٤ إبليس قال لعيسى عليه السلام حين وضعه على بيت المقدس فقال: زعمت أنّك تُحيي الموتى، فإن كنت كذلك، فادعُ اللّه أن يرد هذا الجبل خبزاً. فقال له عيسى عليه السلام: أوَكلّ الناس يعيشون من الخبز! فقال إبليس: فإن كنت كما تقول، فثبْ من هذا المكان فإنّ الملائكة ستلقاك. قال: إنّ ربيّ عزّ وجلّ أمرني أن لا أجرّب بنفسي فلا أدري هل يسلمني أم لا.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٥-٩٦ (رقم ٣١٤). انظر أيضاً ابن الجوزي، كتاب الأذكياء، ٣٧ (اختلاف بسيط) [منصور، رقم ٢١٢].

هذا الخبر منقول عن راهب، على الأرجح لتأكيد صحّته. وهو مثال آخر على أخبار مأخوذة من الأناجيل (انظر إنجيل متّى ٤: ١-٧

قصّة المسيح مع إبليس في الصحراء). ولكن خاتمة الخبر «فلا أدري هل يسلمني أم لا» أضافها على الأرجح الراوي المسلم، الذي تدخّل هنا لتأكيد كون المسيح بشراً عاجزاً.

٣٥ فقد الحواريون نبيّهم عليه السلام فخرجوا يطلبونه. قال: فوجدوه يمشي على الماء، فقال بعضهم: يا نبيّ اللّه، أنمشي إليك؟ قال: نعم. قال: فوضع رجله ثمّ ذهب يضع الأخرى فانغمس. فقال: هات يدك يا قصير الإيمان، لو أنّ لابن آدم مثقال حبّة أو ذرّة من اليقين، إذاً لمشى على الماء.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٦ (رقم ٣١٥). انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب اليقين (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ١: ٢٢-٢٣ (رقم ١١)؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١١٦ (رقم ٩٤). [أسين، ٥٦٨ (رقم ١٦٠)؛ منصور، رقم ٥٨؛ ربسون، ٩٠-٩١: اختلاف بسيط].

من العجائب المذكورة في الأناجيل (انظر إنجيل متّى ١٤: ٢٥-٣١). لكن كما هي العادة في الإنجيل الإسلامي، الخبر لا يذكر المكان أو أسماء تلاميذ المسيح. أسباب ذلك غير واضحة، ولكن ربّما تكون متأثرة بالقرآن حيث نجد الأسلوب ذاته في عدم تعريف الأسماء أو الأماكن في أخبار المسيح.

٣٦ كان عيسى عليه السلام يقول: إنّ الإحسان ليس أن تحسن إلى من أحسن إليك، إنّما تلك مكافأة بالمعروف. ولكن الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٦ (رقم ٣١٧) و١٤٢ (رقم ٤٦٩). انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٥٥ (رقم ١٦٦).

الخبر هو عبارة عن إعادة صياغة لما في إنجيل متّى ٥: ٤٦.

٣٧ أوحى اللّه عزّ وجلّ إلى عيسى عليه السّلام: يا عيسى، إنّي قد وهبت لك حبّ المساكين ورحمتهم تحبّهم ويحبّونك ويرضون بك إماماً وقائداً وترضى بهم صحابة وتبعاً. وهما خلقان. إعلم أنّه من لقيني بهما لقيني بأزكى الأعمال وأحبّها إليّ.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٧ (رقم ٣٢٠).

حديث قدسي آخر (انظر التعليق على رقم ٢٥). وصف المسيح بـ «إمام» المساكين هو أحد ألقابه الإسلاميّة، ويهدف إلى تمييزه عن غيره من الأنبياء. وكلمة «مساكين» استخدمت أيضاً، في غير هذا السياق، للإشارة إلى بعض الزهّاد والمتصوّفة المسلمين الأوائل، وهذا يدّل على أقدميّة العلاقة المتينة والمميّزة بين المتصوّفة والمسيح، والتي أصبحت فيما بعد أكثر متانةً. فالمتصوّفة اتّخذوا المسيح كأحد أهمّ رموزهم. أمّا الميزتان في عبارة «وهما خلقان»، فتشيران إلى حبّ المساكين والرحمة بهم.

نجد خبراً مشابهاً لهذا في كلام النبيّ محمّد للإمام عليّ: انظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١١: ٢٣٢.

٣٨ كان عيسى عليه السلام إذا ذكر الساعة صاحَ كما تصيح المرأة.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٧ (رقم ٣٢١).

انظر رقم ٦. نحيب المسيح كامرأة يدلّ على عجزه، وهو ما يبعده أكثر عن مفهوم الألوهيّة. في القرآن، اللّه وحده يعرف وقت قيام الساعة (انظر سورة الأعراف ٧: ١٨٧).

٣٩ لقي عيسى يحيى عليهما السلام فقال: أوصني. قال: لا تغضب. قال: لا أستطيع. قال: لا تقتنِ مالاً. قال: أمّا هذا لعلّه.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٧ (رقم ٣٢٢). انظر إلى أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ١٦١ (اختلاف بسيط) [أسين، ٣٦٦ (رقم ٣٠)؛ منصور، رقم ١١٥؛ ربسون، ٦٤].

انظر رقم ١٨. تبادل الحديث بين المسيح ويحيى بهذا الشكل يدلّ أيضاً على عجز المسيح وضعفه البشري، فهو عاجز عن كبت غضبه، على الرغم من أنّه مستعدّ أن لا يقتني مالاً.

٤٠ مرّ عيسى ملبّياً: لبّيك عبدك وابن أمتك وابنة عبدك. ومن قبل ذلك سبعين نبيّاً خاطمي إبلهم بالليف حتّى صلّوا في مسجد الخيف.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٧-٩٨ (رقم ٣٢٤).

خبر مثير، لكن تجدر الإشارة هنا إلى أنّ المسيح هو نبيّ مسلم كأيّ نبيّ آخر. على هذا الأساس، من واجبه تأدية شعائر الإسلام، كالحجّ والفرائض الأخرى. والحجّ والصلاة هما من أعظم تلك الشعائر: انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢: ٢٩٠. أمّا بخصوص تأدية موسى الحجّ لمسجد الخيف ذاته: انظر ابن بابويه، علل الشرائع، ٢: ١٠٤. ويقع مسجد الخيف في منى. خارج مكّة. وخطم الإبل بالليف كان من عادات الوفود التي قدمت على النبيّ محمّد (انظر ابن هشام، الشيرة النبويّة، ٤: ٢٤٤). ويمكن أن يدل هذا الخبر على وفود الأنبياء أيضاً على النبيّ محمّد كونه، في التراث الإسلامي، خاتمهم وأكثرهم عظمة. أمّا الرقم سبعون، فهو يتردّد بكثرة في التراثين المسيحي

والإسلامي: انظر مثلاً تلامذة المسيح السبعين في إنجيل لوقا ١٠: ١، وأيضاً في الحديث النبوي تفرّق الإسلام إلى سبعين فرقة.

٤١ قال عيسى بن مريم: يا معشر الحواريين، أيّكم يستطيع أن يبني على موج البحر داراً؟ قالوا: يا روح اللّه، ومن يقدر على ذلك؟ قال: إيّاكم والدنيا فلا تتّخذوها قراراً.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٨ (رقم ٣٢٥). انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٥٦ (رقم ٣٧٠)؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٢٠١ [أسين، ٣٧٣ (رقم ٤٠)؛ منصور، رقم ١٢٤؛ ربسون، ٦٧].

محاكاة لإنجيل متّى ٧: ٢٤-٢٧، لكن هنا أيضاً المثل موضوع في سياق سؤال بلاغي، والعبرة مفسّرة بوضوح.

٤٢ عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول: بحقّ أقول لكم، إنّ أكل خبز البرّ وشرب الماء العذب ونوماً على المزابل مع الكلاب كثير لمن يريد أن يرث الفردوس.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٨ (رقم ٣٢٦). انظر أيضاً ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢: ٣٦٣؛ ابن أبي الدنيا، كتاب ذمّ الدنيا، (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٧٥ (رقم ١٣٨)؛ الدينوري، كتاب المجالسة، ٢: ٣٩٨ (رقم ٥٧٧)؛ إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء، ٣: ٣٤؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤: ١٨٠ (الخبر أقصر) [أسين، ٤٠٠ (رقم ٧٠)؛ منصور، رقم ١٥٢؛ ربسون، ٧٠].

هذا الخبر هو ربّما أكثر أخبار المسيح شيوعاً في أوساط المثقّفين المسلمين المعاصرين. انظر أيضاً النسختين المعدّلتين منه في رقمي ٦٧ و١١٣. وهو يُبرز مفهوماً صارماً للزهد. وتشبيه الدنيا بالمزبلة هو أيضاً وصف نجده في بعض أحاديث النبيّ محمّد: انظر ابن أبي الدنيا، كتاب

ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٢١ (رقم ١٩).

٤٣ عيسى بن مريم قال: إنّه ليس بنافعك أن تعلم ما لم تعلم، ولما تعمل بما قد علمت. إنّ كثرة العلم لا تزيد إلاّ كبراً إذا لم تعمل به.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٨ (رقم ٣٢٧)، انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ١: ٦٩-٧٠ (الخبر أقصر) [أسين، ٣٥٣ (رقم ٩)؛ منصور، رقم ٤٣].

كثيراً ما نجد العلم والعمل مذكورين سويّاً في المدوّنات الأدبيّة القديمة، وفي كتب الزهد، إلخ. ونجد أيضاً أخباراً مشابهة في الأناجيل (انظر مثلاً إنجيل متّى، ٥: ١٩) وفي التراث اليهودي (انظر مثلاً المِشْنا .(Hertz, *Sayings of the Fathers*, p. 51 (no 22

ركّز بعض الرواة الأوائل للحديث النبوي على أنّ تحصيل العلم، أي رواية الحديث، غير نافع ومضرّ إلاّ إذا كان مصحوباً بالأعمال الصالحة: انظر ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم وفضله، ٢: ٤ وما تلاها. ونجد أخباراً أخرى منسوبة إلى المسيح تركّز على الموضوع ذاته، كذلك الأمر في أحاديث منسوبة إلى النبيّ محمّد وإلى الإمام عليّ وإلى غيرهم.

٤٤ عيسى بن مريم قال: الدهر يدور على ثلاثة أيّام، أمس خلا وعظت به، واليوم زادك فيه، وغداً لا تدري ما لك فيه. والأمور تدور على ثلاثة، أمر بان لك رشده فاتّبعه، وأمر بان لك غيّه فاجتنبه، وأمر أشكل عليك فكله إلى اللّه.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٨ (رقم ٣٢٨)، انظر أيضاً الجاحظ، البيان والتبيين، ٢: ٣٥؛ الماوردي، أدب الدنيا والدين، ١٢٨؛ الغزالي،

إحياء علوم الدين، ٤ : ٣٨٩ (القسم الأخير فقط) [أسين، ٤٢٠ (رقم ٩٦)؛ منصور، رقم ١٧٨؛ ربسون، ٤٩]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٥٨ (رقم ١٧١).

الدهر المنقسم إلى أيام صورة نجدها في المدوّنات الأدبيّة وكتب الزهد إجمالاً في سياق وصايا، منها ما هو منسوب إلى حكماء من عصر ما قبل الإسلام: انظر أحمد زكي صفوت، جمهرة خُطب العرب (بيروت، ١٩٨٥)، ١١٩-١٢٠ و١٢٢.

٤٥ قال عيسى بن مريم: سلوني، فإنّ قلبي ليّن وإنّي صغير في نفسي.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٨ (رقم ٣٢٩)، انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ٧١ (رقم ٦٠).

هذا الخبر هو محاكاة لإنجيل متّى ١١ :٢٩. بشريّة المسيح، هنا أيضاً، تبدو هي البارزة.

٤٦ قال المسيح صلّى اللّه عليه وسلّم: مَنْ تعلّم وعمل وعلّم فذلك يُسمّى ـ أو يدعى ـ عظيماً في ملكوت السماء.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٨-٩٩ (رقم ٣٣٠)، انظر أيضاً ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم، ١ : ١٢٤؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ١ : ١٧ [أسين، ٣٤٩ (رقم١)؛ منصور، رقم ٨٩؛ ربسون، ٤٢]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٨٦ (رقم ٢٢١ وما بعده)؛ الأبشيهي، المستطرف، ١ : ١٩.

انظر رقم ٤٣. عبارة «عظيماً في ملكوت السماء» مأخوذة من الأناجيل: انظر مثلاً الخلاف بين تلامذة المسيح بخصوص من منهم هو الأهم في إنجيل لوقا ٢٢ : ٢٤، وإنجيل متّى ٥ : ١٩ و١٨ : ١-٤. أمّا بخصوص عبارة «وعلم»، فأثبتُّها هنا بالتشديد، ولعلها عَلِم بالفتح والكسر.

٤٧ قيل له (لعيسى بن مريم): كيف تمشي على الماء؟ قال: باليقين. قال: فقيل له: فإنّا نوقن. قال: أرأيتم الحجارة والمدر والذهب، سواء عندكم؟ قالوا: لا. قال: أظنّه قال: فإنّ ذلك عندي سواء.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٩ (رقم ٣٣١). انظر أيضاً أبو طالب المكّي، قوت القلوب، ١: ٢٦٣ (الخبر أطول) [منصور، رقم ٢٩]؛ ابن أبي الدنيا، كتاب اليقين (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ١: ٣٧ (رقم ٤٠)؛ القشيري، الرسالة، ١١٨ (الخبر أقصر ومنسوب إلى النبيّ محمّد). [أسين، ٣٧٨ (رقم ٤٩)؛ منصور، رقم ٥٨؛ ربسون، ٦٩] (الخبر اختلاف بسيط وأقصر).

انظر رقم ٣٥. قصّة المسيح ماشياً على الماء موجودة في إنجيل متّى ١٤: ٢٢-٣٣، والخبر هنا يعيد صياغتها في سياق سؤال وجواب من أجل إيضاح المعنى العملي للإيمان، ونتيجته الحتميّة وهي احتقار هذه الدنيا.

٤٨ جاء رجل عيسى بن مريم فقال: يا معلّم الخير، علّمني شيئاً تعلمه وأجهله وينفعني ولا يضرّك. قال: ما هو؟ قال: كيف يكون العبد تقيّاً للّه عزَّ وجلَّ حقّاً؟ قال بيسير من الأمر، تحبّ اللّه حقّاً من قلبك، وتعمل له بكدودك وقوّتك ما استطعت، وترحم بني جنسك برحمتك نفسك. قال: يا معلّم الخير، ومن بني جنسي؟ قال: ولد آدم كلّهم. وما لا تحبّ أن يؤتى إليك فلا تأته إلى غيرك، فأنت تقيّ اللّه حقّاً.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٩ (رقم ٣٣٢)؛ انظر أيضاً الدينوري، كتاب المجالسة، ٥: ٣٩٠ (رقم ٢٢٤٩).

إعادة صياغة لما في إنجيل متّى ٢٢: ٣٤-٤٠.

٤٩ كان عيسى عليه السلام يصنع الطعام لأصحابه ثمّ يدعوهم فيقوم عليهم ثمّ يقول: هكذا فاصنعوا بالفقراء.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٩ (رقم ٣٣٣).

بخصوص المسيح كعرّاب للمساكين، انظر رقم ٣٧. ومن الممكن أيضاً أنّ هذا الخبر هو إعادة صياغة بأسلوب إسلامي لخبر العشاء الأخير المذكور في إنجيل متّى ٢٦ : ١٧-٣٠، لكن من دون ذكر القربان المقدّس.

٥٠ كان عيسى بن مريم إذا سرّح رسله يحيون الموتى، قال: فكان يقول لهم: قولوا كذا، قولوا كذا. فإذا وجدتم قشعريرة ودمعة فادعوا عند ذلك.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ٩٩ (رقم ٣٣٤).

التعليمات المشار إليها هنا مذكورة في إنجيل متّى ١٠ : ٥-٤٢. القشعريرة والدمعة هما بالعادة علامات المتصوّفة والزهّاد في الفترة الإسلاميّة الأولى؛ وهي هنا علامات تميّز المؤمنين الحقيقيّين.

٥١ قال عيسى بن مريم للحواريّين: بحقّ أقول لكم ـ وكان عيسى كثيراً ما يقول: بحقّ أقول لكم ـ إنّ أشدّكم حبّاً للدنيا، أشدّكم جزعاً على المصيبة.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٠٠ (رقم ٣٣٨). انظر أيضاً أبو نعيم، حلية الأولياء، ٤ : ٦٧ [منصور، رقم ٦٧].

يظهر أسلوب كلام المسيح جليّاً في هذا الخبر أيضاً. من غير الممكن تحديد مصدره بدقّة، مع العلم أنّه يُبرز مغزىً أخلاقياً نجده في كثير من الأديان وأدبيّات الزهد. وربّما له أحاديث مشابهة في المذهب

الرواقيّ Stoic. على جميع الأحوال، يؤكّد الخبر الصورة الإسلاميّة للمسيح التي هي أكثر زهداً ممّا نجده في الأناجيل.

٥٢ قال الحواريّون: يا عيسى، من أولياء اللّه عزّ وجلّ الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ قال عيسى بن مريم: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، فأماتوا منها ما يخشون أن يميتهم، وتركوا ما علموا أن سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالاً وذكرهم إيّاها فواتاً، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً، فما عارضهم من نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفعتها بغير الحقّ وضعوه، وخُلقت الدنيا عندهم فليسوا يجدّدونها، وخربت بينهم فليسوا يعمّرونها، وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها، يهدّمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، ورفضوها فكانوا فيها هم الفرحين، ونظروا إلى أهلها صرعى قد خلت فيهم المثلات، وأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة، يحبّون اللّه ويحبّون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به، لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب وبه علموا، وليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا، ولا أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٠٠-١٠١ (رقم ٣٣٩).
انظر أيضاً الجاحظ، البيان والتبيين، ٣: ١٤٠؛ المحاسبي، القصد والرجوع إلى

اللّه، ٨٦؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٣: ١٤٤ [منصور، رقم ١٣]؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ١: ١٠ [منصور، رقم ٦٣]؛ الماوردي، أدب الدنيا والدين، ١١٢؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٩٩ (رقم ٢٤٥).

عبارة «أولياء اللّه» هي عبارة تقنيّة تعود إلى الزهّاد والمتصوّفة الأوائل. وعبارة «أولياء اللّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» موجودة في سورة يونس ١٠: ٦٢. فإذن، الحواريون يسألون المسيح عن تفسير هذه الآية القرآنيّة. انظر أيضاً رقم ٩. ويشير استخدام أساليب السجع والموازنة والمغايرة إلى العناية الفائقة في صياغة هذا الخبر ليكون جديراً بنبيّ كالمسيح، الملقّب في القرآن بكلمة اللّه والذي إحدى مزاياه أنّه محدّث بليغ. أمّا مفاهيم «الخربة»، «إماتة الشهوة» و«المتخيَّل والحقيقة» فهي موجودة بإسهاب في الإنجيل الإسلامي.

٥٣ يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا فقال له يحيى: استغفر لي، أنت خيرٌ منّي. قال له عيسى: أنت خير منّي، سلّمت على نفسي وسلّم اللّه عليك. فعرف اللّه عزّ وجلّ فضلهما.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٢٢ (رقم ٣٩٢).

خبر آخر يجمع المسيح ويحيى، لكنه موضوع هذه المرّة في نطاق قرآني. فعبارة «سلّمت على نفسي» تشير إلى سورة مريم ١٩: ٣٣ (والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أُبعث حيّاً)، بينما عبارة «وسلّم اللّه عليك» تشير إلى سورة مريم ١٩: ١٥ (وسلام عليه يوم وُلِد ويوم يموت ويوم يُبعث حيّاً). والخبر يختم بمباركة اللّه لهما لتواضعهما.

٥٤ أُتي عيسى عليه السلام برجل قد زنا فأمرهم برجمه

وقال لهم: لا يرجمه رجل عمل عمله. فألقوا الحجارة من أيديهم إلاّ يحيى بن زكريّا عليهما السلام.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٢٢ (رقم ٣٩٤).

إعادة صياغة لما في إنجيل يوحنّا ٨: ٣-٩، حيث القصّة تتعلّق بامرأة، مستبدلة هنا برجل. المقصد من هذا التبديل من امرأة لرجل غير مفهوم، إلاّ إذا كانت العبرة إبراز عصمة الأنبياء عن المعصية، بالتحديد هنا النبيّ يحيى، المبجّل في الخبر السابق.

٥٥ قال (عبد اللّه بن عمر): إنّ أحبّ شيء إلى اللّه عزّ وجلّ الغرباء. قال: قيل: وما الغرباء؟ قال: الفرّارون بدينهم يُجمعون إلى عيسى عليه السّلام يوم القيامة.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٢٤ (رقم ٤٠٢). انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٢٧١؛ السهروردي، عوارف المعارف، ١: ٢٦٥ (في الحالتين منسوب إلى النبيّ محمّد).

بخصوص عبارة «الفرّارون بدينهم»، انظر التعليق على رقم ١١. تتكرّر صورة المؤمن كغريب في هذه الدنيا بكثرة في المدوّنات المسيحيّة من الشرق الأدنى القديم، وتُبرز أسلوب حياة النسّاك. والمسيح هنا هو عرّابهم، على عكس الأناجيل حيث المسيح بعيد بعض الشيء عن حياة التنسّك. وفي صميم هذا الخبر حديث نبوي، يذكر فيه النبيّ محمّد أنّ الإسلام بدأ غريباً، وسينتهي غريباً. وربّما له مدلول سياسي كونه منسوباً أيضاً إلى شخصيّة إسلاميّة، الصحابي الجليل عبد اللّه بن عمر (ت. ٧٣/ ٦٩٣). ويتعلّق ذلك بكيفيّة تصرّف المؤمن في زمن الفتنة. فالمؤمن الحقيقي عليه في زمن الفتنة «الفرار بدينه».

٥٦ عيسى بن مريم قال: يا عبيد الدنيا، مكان ما تصدقون ارحموا من تظلمون.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤١ (رقم ٤٦٦).

محاكاة لتعاليم المسيح حول الزكاة والصدقة في إنجيل متّى ٦: ١-٤.

٥٧ قال عيسى بن مريم: دع الناس فليكونوا منك في راحة ولتكن نفسك منك في شغل، دعهم فلا تلتمس محامدهم ولا تكسب مذامّهم، وعليك بما وكّلت به.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٢ (رقم ٤٦٧). انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب الصمت، ٦١٥-٦١٦ (رقم ٧٤٣)؛ مسكويه، الحكمة الخالدة، ١٨٠.

«دَع الناس فليكونوا منك في راحة» و«لتكن نفسك منك في شغل» هي في المضمون تعاليم أخلاقيّة تعود إلى المدوّنات الإغريقيّة من فترة ما قبل الفيلسوف سقراط.

٥٨ أوحى اللّه تبارك وتعالى إلى عيسى: اجعلني من نفسك كهمّك واجعلني ذخراً لمعادك، وتوكّل عليّ أكفك ولا تولِ غيري فأخذلك.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٢ (رقم ٤٦٨).

حديث قدسي آخر، مخرّج في طريقة صلاة ومصاغ في أسلوب أدبي.

٥٩ انطلق عيسى عليه السلام يزور أخاً له فاستقبله إنسان فقال: إنّ أخاك قد مات. فرجع، فسمع بنات أخيه برجوعه

عنهن فأتينه فقلن له: يا رسول اللّه، رجوعك عنّا أشدّ علينا من موت أبينا. قال: فانطلقن فأرينني قبره؟ فانطلقن حتّى أرينه قبره. قال: وصوّت به فخرج وهو أشيب فقال: ألست فلاناً؟ قال: بلى. قال: فماذا الذي أرى بك؟ قال: سمعت صوتك فحسبته الصيحة. قال: وامرأته ترى ما صنع وتسمع، قالت: طوبى لبطن لبثت فيه وثديين رضعتهما. قال عيسى: طوبى لمن علّمه اللّه عزّ وجلّ كتابه ثمّ لم يمت جبّاراً.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٢-١٤٣ (رقم ٤٧٠)؛ أيضاً ٩٦-٩٧ (رقم ٣١٨) و٩٧ (رقم ٣١٩). انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب من عاش بعد الموت (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٣: ٥٣ (رقم ٣١٩) (الميّت سام بن نوح)؛ الدينوري، كتاب المجالسة، ٤: ٣٨-٣٩ (رقم ١١٩٦: المقطع الأخير فقط)؛ السمرقندي، تنبيه الغافلين، ١٠ (اختلاف بسيط)؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٣٢٨ (بعض الخبر) [أسين، ٣٩٠ (رقم ٥٦)؛ منصور، رقم ١٣٨؛ ربسون، ٤٦]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ٩٠ (رقم ٨٠) و١٥٢ (رقمي ١٦٠-١٦١: اختلاف بسيط) [أسين، ٥٥٢ (رقم ١٣١)؛ منصور، رقم ٣١؛ ربسون، ١٠٩].

الجزء الأخير من الخبر مأخوذ من إنجيل لوقا ١١: ٢٧، وعن إحياء الموتى هناك أخبار مشابهة في إنجيل لوقا ٧: ١-١٧ وإنجيل يوحنّا ١١: ١-٥٣. العناصر الإسلاميُّة تتمحور حول «الصيحة»، التي هي وفقاً لما في سورة هود ١١: ٦٧ علامة نهاية العالم. وللمسيح دور محوري في الفترة السابقة مباشرةً لنهاية العالم. أمّا بخصوص تمجيد المرأة للمسيح، فهو يجيب عليه مركّزاً على كتاب اللّه، الذي هو الأساس السماوي للوحي القرآني والمشار إليه في سورة البروج ٨٥: ٢١-٢٢ بـ«اللوح المحفوظ»، ومنه نزل جميع الوحي.

٦٠ قال عيسى بن مريم عليه السلام: إنّي أكببت الدنيا على

وجهها وقعدت على ظهرها، وليس لي ولد يموت ولا بيت فيخرب. فقالوا له: أفلا تتّخذ لك بيتاً؟ قال: ابنوا لي على طريق السيل بيتاً. قالوا: لا يثبت. قالوا: أفلا تتّخذ لك زوجة؟ قال: وما أصنع بزوجة تموت؟

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٣ (رقم ٤٧١). انظر أيضاً ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٣: ١٧٣ (بعض الخبر) [أسين، ٥٤٣ (رقم ١١٨: مختلف قليلاً)؛ منصور، رقم ١٧، ربسون، ٧٣-٧٤]؛ الدينوري، كتاب المجالسة، ٢: ١٤٠-١٤١ (رقم ٢٧٥)؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٤١ (رقم ١٣٦: اختلاف بسيط).

الفحوى الشاجب للزاوج ليس بمستغرب عند بعض الكتّاب المتصوّفة على الرغم من أنّه مناقض للمناقب الإسلاميّة عامّة: انظر أبو طالب المكيّ، كتاب قوت القلوب.

أمّا بخصوص السؤال عن البيت، فانظر رقمي ١١٠ و٣٠٢. وفي أدبيات الحكمة العربيّة، نجد سؤالاً مشابهاً يُطرح على الفيلسوف الإغريقي ديوجانس Diogenes عند المبشّر بن فاتك، مختار الحكم، ٧٥: «قيل له: لو اتّخذت لك بيتاً تستريح فيه! فقال: إنّما يُحتاج إلى البيت ليُستراح فيه؛ وأنا إنّما استرحت إذ ليس لي بيت».

٦١ عيسى بن مريم قال: رأس الخطيئة حبّ الدنيا، والنساء حبالة الشيطان، والخمر مفتاح كلّ شرّ.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٣ (رقم ٤٧٢). انظر أيضاً المحاسبي، آداب النفوس، ١٣٦؛ ابن أبي الدنيا، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٧٠ (رقم ٤١٦: منسوب إلى مالك بن دينار).

من المُتوقّع أن يدين المسيح كنبيّ مسلم شرب الخمر. والخبر

نفسه يُنسب أيضاً إلى الزاهد مالك بن دينار (ت. نحو ١٣٠/٧٤٨)، الذي عاش في البصرة.

٦٢ كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول: حبُّ الدنيا أصل كلّ خطيئة، والمال فيه داء كثير. قالوا: وما داؤه؟ قال: لا يسلم صاحبه من الفخر والخيلاء. قالوا: فإن سلم؟ قال: يشغله إصلاحه عن ذكر اللّه تعالى.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٣ (رقم ٤٧٣). انظر أيضاً الجاحظ، البيان والتبيين، ٣: ١٩١؛ المكّي، قوت القلوب، ١: ٢٦٣؛ الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء: ١: ٥١٢؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٤٥ (رقم ١٤٦).

ديباجة السؤال والجواب في هذا الخبر الشاجبة لاقتناء الثروة، كما في الخبر الذي يليه، لها أصل إنجيلي واضح.

٦٣ عيسى بن مريم قال: بحقّ أقول لكم، إنّ أكناف السماء لخالية من الأغنياء، ولدخول جمل في سمّ الخيّاط أيسر من دخول غنيّ الجنّة.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٣ (رقم ٤٧٤).

المقايسة بين الجمل وسمّ الإبرة (أو سَمِّ الخيّاط) موجودة أيضاً في سورة الأعراف ٧: ٤٠.

٦٤ قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريّين: يا معشر الحواريّين، لا تلقوا اللؤلؤ للخنزير فإنّه لا يصنع به شيئاً، ولا تعطوا الحكمة من لا يريدها فإنّ الحكمة أحسن من اللؤلؤ ومن لا يريدها أشرّ من الخنزير.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٤ (رقم ٤٧٧). انظر أيضاً الدينوري، كتاب المجالسة، ٢: ١٨٨-١٨٩ (رقم ٣١١)؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ١: ٦٣ (اختلاف بسيط) [أسين، ٣٥٠ (رقم ٤)؛ منصور، رقم ٩٢؛ ربسون، ٤٢-٤٣].

هنا أيضاً الأصل الإنجيلي واضح لكن مع شرح.

٦٥ قال المسيح عليه السلام: إن أحببتم أن تكونوا أصفياء اللّه عزّ وجلّ ونور بني آدم من خلقه، فاعفوا عمّن ظلمكم، وعودوا من لا يعودكم، وأحسنوا إلى من لا يحسن إليكم، واقرضوا من لا يجزيكم.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٤-١٤٥ (رقم ٤٨٠). انظر أيضاً أبو نعيم، حلية الأولياء، ٥: ٢٣٨-٢٣٩ [منصور، رقم ٧٣].

تتلاقى في هذا الخبر عدّة وصايا إنجيليّة: انظر إنجيل متّى ٥: ١٦ و٤٢.

٦٦ عيسى عليه السلام مرّ بعقبة أفيق ومعه رجل من حوارييه فاعترضهم رجل فمنعهم الطريق وقال: لا أترككما تجوزان حتّى ألطم كلّ واحد منكما لطمة. فأداراه فأبى إلاّ ذلك، فقال عيسى: أمّا خدّي فالطمه. قال: فلطمه فخلى سبيله، وقال للحواري: لا أدعك تجوز حتّى ألطمك. فتمنّع، فلمّا رأى عيسى ذلك أعطاه خدّه الآخر فلطمه فخلى سبيلهما، فقال عيسى عليه السلام: اللهمّ، إن كان هذا لك رضىً فبلغني رضاك، وإن كان سخطاً فإنّك أولى بالغيرة.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٥ (رقم ٤٨١).

إعادة صياغة للوصيّة المذكورة في الأناجيل بضرورة إدارة الخد

الأيسر. وعقبة أفيق، وفقاً للجغرافيّين العرب، هي ممرّ جبليّ يؤدّي إلى غور الأردن. في بعض أخبار التراث الإسلامية، أفيق هو المكان الذي يقتل فيه المسيح في آخر الزمان المسيح الدجّال: انظر ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ٢٦٦ (رقم ٣٤٤). وكلام المسيح إلى اللّه يبرز كبحه لردّة فعله.

٦٧ قال عيسى بن مريم عليه السَّلام للحواريّين: عليكم بخبز الشعير واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين. بحقّ أقول لكم، إنّ حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وإنّ مرارة في الدنيا حلاوة في الآخرة، وإنّ عباد اللّه ليسوا بالمتنعّمين. بحقّ أقول لكم، إنّ شرّكم عملاً عالم يحبّ الدنيا فيؤثرها على عمله، إنّه لو يستطيع جعل الناس كلّهم في عمله مثله.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، (رقم ٤٨٢). انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٥٣ (رقم ٣٦١)؛ المكّي، قوت القلوب، ١: ٢٥٦ (بعض الخبر)؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٦٥ (رقم ١٨٤).

كان خبز الشعير طعام الفقراء، وهذه الوصيّة تتردّد في أخبار لاحقة: انظر أرقام ١١٣، ١٣٦، ١٤٦. هناك وصيّة مماثلة منسوبة إلى الفيلسوف الإغريقي ديموقريطس (Democritus) انظر:

G. S. Kirk, J. E. Raven, and M. Schofield, *The Presocratic Philosophers* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), p. 433.

أمّا بخصوص انتقاد علماء الدنيا، فهو يتجدّد هنا وبأسلوب أعنف.

٦٨ كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول: إنّما أحدّثكم لتعلموا ولم أحدّثكم لتعجبوا.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٥ (رقم ٤٨٣). انظر أيضاً ابن عبد البرّ، مختصر جامع بيان العلم، ١٠٠ (الخبر أطول) [أسين، ٥٦٧ (رقم ١٥٦)؛ منصور، رقم ٨٧؛ ربسون، ٥٧].

يتكرّر عَجَب العلماء كهدف للنقد بكثرة في الإنجيل الإسلاميّ.

٦٩ قال المسيح ابن مريم عليه السلام: ليس كما أريد ولكن كما تريد، وليس كما أشاء ولكن كما تشاء.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٥-١٤٦ (رقم ٤٨٤).

هذه الكلمات هي تلخيص لمناجاة المسيح في جتسماني بعد العشاء السرّي: انظر إنجيل متّى ٢٦ : ٣٩.

٧٠ ما من كلمة كانت تُقال لعيسى بن مريم عليه السلام أحبّ إليه من أن يقال: كان هذا المسكين.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٦ (رقم ٤٨٥). انظر أيضاً المكّي، قوت القلوب، ١ : ٢٦٣؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤ : ١٩١-١٩٢ (الخبر أطول) [أسين، ٤٠٢ (رقم ٧٣)؛ منصور، رقم ١٥٥؛ ربسون، ٧١].

انظر رقمي ٣٧ و٤٩.

٧١ قال الحواريّون: يا مسيح اللّه، انظر إلى بيت اللّه ما أحسنه. قال: آمين آمين. بحقّ أقول لكم، لا يترك اللّه من هذا المسجد حجراً قائماً على حجر إلاّ أهلكه بذنوب أهله. إنّ اللّه لا يصنع بالذهب ولا بالفضّة ولا بهذه الحجارة شيئاً. إنّ الأحبّ إلى اللّه منها القلوب الصالحة، بها يعمّر اللّه الأرض، وبها يخرب الأرض إذا كانت على غير ذلك.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٦ (رقم ٤٨٦). انظر

أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٣٩٦ [أسين، ٣٩٢ (رقم ٦٢)؛ منصور، رقم ١٤٤؛ ربسون، ٤٧].

«بيت اللّه» المذكور في إنجيل متّى ٢٤: ١ يُصبح هنا مسجداً. انظر أيضاً رقم ١١.

٧٢ عن عيسى بن مريم عليه السلام: إنّ الشيطان مع الدنيا، ومكره مع المال، وتزيينه عند الهوى، واستكماله عند الشهوات.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٦ (رقم ٤٨٧). انظر أيضاً أبو نعيم، حلية الأولياء، ٥: ٢٥٢ [منصور، رقم ٧٥]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٤٨ (رقم ١٥١).

٧٣ المسيح عيسى بن مريم صلّى اللّه عليه وسلّم كان يقول: يا معشر الحواريّين، لا تطلبوا الدنيا بهلكة أنفسكم، واطلبوا أنفسكم بترك ما فيها، عراة جئتم وعراة تذهبون، ولا تطلبوا رزق ما في غدٍ، كفى اليوم بما فيه وغداً يدخل بشغله، واسألوا اللّه أن يجعل رزقكم يوماً بيوم.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٦ (رقم ٤٨٨). انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٦٨ (رقم ١٢٨).

تعبير «عراة جئتم وعراة تذهبون» مأخوذ من الكتاب المقدّس (سفر أيّوب ١: ٢١)، والبقيّة من إنجيل متّى ٦: ٣٤.

٧٤ عيسى بن مريم صلّى اللّه عليه وسلّم كان يقول: اللّهمَّ، إنّي أصبحت لا أستطيع رفع ما أكره ولا أملك نفع ما

أرجو، وأصبح الأمر بيد غيري، وأصبحت مرتهناً بعملي، فلا فقير أفقر منّي، لا تشمّت بي عدوّي ولا تسئ بي صديقي، ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تسلّط عليّ من لا يرحمني.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الزهد، ١٤٧ (رقم ٤٩٠) و١٤٦-١٤٧ (رقم ٤٨٩). انظر أيضاً مسكويه، الحكمة الخالدة، ١٣١؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ١: ٣٢٤ [أسين، ٣٥٥ (رقم ١١)؛ منصور، رقم ٩٨؛ ربسون، ٨١]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٢٢ (رقم ١٠٣).

يبدو التركيز على عجز المسيح هو الهدف هنا أيضاً. والمناجاة تحاكي مناجاة أيّوب أو ميخا. هناك خبر مماثل منسوب إلى المحدّث ـ الزاهد بكر المزني (عاش في القرن الثاني/ الثامن): انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧: ٢١٠-٢١١.

٧٥ عيّرت بنو إسرائيل عيسى بن مريم عليه السَّلام بالفقر فقال: يا مساكين، من الغنى أتيتم. هل رأيتم أحداً عصى اللّه في طلب الفقر!

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/ ٨٥٥)، كتاب الورع، رقم ٢٢٨. انظر أيضاً الجاحظ، البيان والتبيين، ٣: ١٥٥،

يحاكي التعيير بالغنى إنجيل متّى ١٣: ٢٢.

٧٦ بينما عيسى بن مريم صلّى اللّه عليه وسلّم في سياحته إذ أخذته السماء فلجأ إلى كهف، فإذا فيه راعٍ فتنحّى عنه، ثمّ لجأ إلى أجمة، فإذا فيها أسد رابض، فرفع رأسه فقال: سيّدي، جعلت لكلّ أحد مأوى خلافي. قال: فأوحى اللّه إليه: يا عيسى، مأواك عندي وفي ظلّ عرشي وفي مستقرّ من رحمتي،

لأزوجنّك ألف حوراء ولأطعمنّ في عرسك ألف عام ولينادين منادٍ يوم القيامة: احضروا عرس وليّ اللّه الزاهد.

أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١/٨٥٥)، كتاب الورع، رقم ٣١٨. انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٣٤ (رقم ١٢١)؛ الأنطاكي، تزيين الأسواق، ١ : ٧١؛ الزبيدي، إتحاف السادة المتّقين، ٨ : ٨٧ (اختلاف بسيط) [أسين، ٣٧٠ (رقم ٣٧)؛ ربسون، ٦٦].

انظر تعليق أسين بخصوص المصادر الممكنة لهذا الخبر؛ لكنّه يقرأ خطأً عبارة «عُرس» فيجعلها «عَرش».

هل يجب التكهّن بمغزى ذكر الراعي والأسد معاً؟ أهما من رموز قاطني البادية ورفاق المسيح في أسفاره؟ وبخصوص كلمات اللّه إلى المسيح، فهي تشير إلى أنّه سيكافأ لزهده في هذه الدنيا بثواب في الآخرة. وثواب الزهّاد هو جنّة اللّه ورضوانه، بما فيها العرس السماوي. فالمسيح لن يكون عازباً إلى الأبد. على الأرجح، يتعلّق هذا المغزى بالحالة بين تفضيل العزوبيّة عند بعض الزهّاد المتصوّفة يقابله مجتمع يشدّد على فضيلة الزواج ويخاف مخاطر الوقوع في الكفر في حالة الزهد الشديد.

هنّاد بن السريّ

٧٧ رُفع عيسى بن مريم يوم رُفع ولم يترك إلاّ مدرعة وحذّافة وقفيزين ـ يعني خفّين.

هنّاد بن السريّ (ت. ٢٤٣/٨٥٧)، كتاب الزهد، رقم ٥٥٣. انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيدّ المسيح، ١٣٤ (رقم ١٢٢ : اختلاف بسيط).

كان هنّاد بن السرّي من أهمّ وأوائل مدوّني أخبار الزهّاد في الإسلام. حول حياته وأعماله، انظر مقدّمة كتابه.

تعداد ما ترك المسيح بعد رفعه يشابه إنجيل مرقس ٦ : ٧-٩. وهو من أقدم الأخبار المتداولة عن شكل المسيح وممتلكاته. والمدرعة هي عباءة من الصوف فضّلها الزهّاد والمتصوّفة. بخصوص أخبار مشابهة عن زهّاد مسيحيّين مصريّين قدماء وممتلكاتهم المماثلة لما في هذا الخبر، انظر:

Ward, *The Sayings of the Desert Fathers*, pp. 18-19 (no. 42).

٧٨ كان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسَّلام يأكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت حيث أمسى، ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبّئ غداء لعشاء ولا عشاء لغداء وكان يقول: كلّ يوم يجيء رزقه معه.

هنّاد بن السريّ (ت. ٢٤٣/٨٥٧)، كتاب الزهد، رقم ٥٥٩. انظر أيضاً الكلاباذي، التعرّف لمذهب أهل التصوّف، ٧؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤ : ٢٢٠ (بعض الخبر) [أسين، ٤٠٥ (رقم ٧٧)؛ منصور، رقم ١٥٨؛ ربسون، ٧١]؛ السهروردي، عوارف المعارف، ٢ : ٢٤٩؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٢٤ (رقم ١٠٨ وما بعده).

انظر رقمي ٦٠ و٧٣. نجد هنا مزيداً من التفاصيل المتعلّقة بحياة المسيح اليوميّة وعاداته. وفكرة أن يعيش المرء يوماً بيوم تحاكي ما في إنجيل متّى ٦ : ٢٥-٣٤.

الجاحظ

٧٩ مرّ المسيح صلّى الله عليه وسلّم بقوم يبكون فقال: ما بال هؤلاء يبكون. قِيل له: يخافون ذنوبهم. قال: اتركوها يُغفر لكم.

الجاحظ (ت. ٢٥٥/٨٦٨)، البيان والتبيين، ١ : ٣٩٩ و٣ : ١٦٧. انظر أيضاً

ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٢: ٢٦٨ [منصور، رقم٣]، و٣: ١٨١ [أسين، ٥٤٣ (رقم ١١٩)؛ منصور، رقم ١٨؛ ربسون، ٥٢]؛ الدينوري، كتاب المجالسة، ٦: ١٥٨ (رقم ٢٤٩٨)؛ مسكويه، الحكمة الخالدة، ١٥٣.

الجاحظ من عمالقة الأدب العربي والحضارة الإسلاميّة، وله اهتمامات متنوّعة في معظم ميادين الأدب والعلوم في وقته. عن حياته وأعماله، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*. حتّى الآن، معظم أخبار المسيح أتتنا من ابن المبارك أو من أحمد بن حنبل. وكان تركيز هذه الأحاديث بالإجمال على الزهد، وهو ليس بمستغرب لما لهما من اهتمام بهذا الأمر. لكن من الآن فصاعداً، ستجتاح الزهد الشديد المعادي للمجتمع والبارز في كثير من الأخبار السابقة أخبار مشبّعة بأسلوب الأدب، وسنجد أخباراً تعالج أموراً كالآداب العامّة والأخلاق وحسن المعاشرة. وسيرافق ذلك تغيّر في أسلوب كلام المسيح، ليصبح أكثر تنميقاً ومجازاً ولذعةً. بالطبع، جانب الزهد لن يزول، لكنّه سيكون مغطّى بطبقة من اللطف والسلاسة، فيصبح المسيح أشبه بأديب مسلم أو حكيم، وسيفقد شيئاً من حدّته كزاهد.

في هذا الخبر، يوبّخ المسيح مجموعة من العبّاد يمكن وصفهم بالتوّابين، وهم في التراث الإسلامي فريق من الشيعة الأوائل ندموا لهجرهم الإمام عليّاً وآله. فالإمام عليّ، ابن عم النبيّ محمّد وزوج ابنته ورابع الخلفاء الراشدين، هو الأساس في الولاء والحبّ عند الشيعة. ربّما هناك إشارة مبيّتة إلى ذلك في هذا الخبر، خصوصاً أنّ الجاحظ كان رافضاً لكافّة أصناف التطرّف كما عرّفها هو، وبالتحديد التشيّع. في كلام المسيح أيضاً شيء من السخرية ـ ملائم لشخص فطن أو ساخر، أو ربّما جدير بأن يكون جواب رجل أديب.

٨٠ مرّ المسيح عليه السلام بخلق [من] بني إسرائيل فشتموه، فكلّما قالوا شرّاً قال المسيح صلّى اللّه عليه وسلّم

خيراً، فقال له شمعون الصفيّ: أكلّما قالوا شرّاً قلت خيراً؟ قال المسيح: كلّ امرئٍ يُعطي ممّا عنده.

الجاحظ (ت. ٢٥/٨٦٨)، البيان والتبيين، ٢: ١٧٧. انظر أيضاً ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢: ٣٧٠؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٥٦ (رقم ١٦٩).

سياق الخبر واضح ويركّز على أهمّيّة حسن التصرّف والذوق. وممكن أن يقارن بإنجيل متّى ٥: ٢٢. الخبر يختم بكلام رائع؛ يمكن للمرء أن يتخيّل المسيح مبتسماً عند قوله لتلك الكلمات. من هنا فصاعداً، نلاحظ ذكر أسماء لأشخاص من معاصري المسيح ـ نجد هنا اسم شمعون ـ ربّما لإعطاء الخبر بعضاً من الحيويّة. ويلاحظ أيضاً ذكر كلمة «الصفيّ» والتي تعني الصافي، وهي بالتأكيد تحوير لكلمة «الصَفَى» التي تعني الصخرة، وهي لقب شمعون ومنها اسمه بطرس Peter.

وممّا يجدر ذكره هنا أنّ الزهّاد المسيحيّين المصريّين القدماء اعتبروا تحمّل الإهانة والمذلّة فضيلة لإخضاع النفس: انظر Ward, *The Sayings of The Desert Fathers,* p. 69 (no.1).

٨١ رأوه (عيسى) يخرج من بيت مومسة فقيل له: يا روح اللّه، ما تصنع عند هذه؟ قال: إنّما يأتي الطبيب المرضى.

الجاحظ (ت. ٢٥٥/٨٦٨)، البيان والتبيين، ٣: ١٤٠ [أسين، ٥٣٧ (رقم ١٠٤)؛ منصور، رقم ٢٣٧؛ ربسون، ٥٠]. انظر أيضاً ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢: ٣٧٠.

انظر إنجيل متّى ٩: ١٢ و٢١: ٣١.

٨٢ وقال عيسى بن مريم صلوات اللّه عليه: الدنيا لإبليس مزرعة وأهلها له حرّاثون.

الجاحظ (ت. ٢٥٥/٨٦٨)، البيان والتبيين، ٣: ١٥٧. انظر أيضاً

ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٣: ١٧٣ [أسين، ٥٤٣ (رقم ١١٧)؛ منصور، رقم ١٥؛ ربسون، ٧٣].

تشبيه الدنيا بمزرعة إبليس هي صورة غريبة، على الرغم من أنّها تحاكي بعض أمثال المسيح.

٨٣ قال (عيسى بن مريم): ويلكم يا عبيد الدنيا، كيف تخالف فروعكم أصولكم، وعقولكم أهواءكم. قولكم شفاء يبرئ الداء، وعملكم داء لا يقبل الدواء. لستم كالكرمة التي حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها، بل أنتم كالسمرة التي قلّ ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها. ويلكم يا عبيد الدنيا، جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يُستطاع تناولها. فلا عبيد أتقياء ولا أحرار كرام. ولكم أجراء السوء، الأجر تأخذوا والعمل تُفسدون، سوف تلقون ما تحذرون. يوشك ربّ العمل أن ينظر في عمله الذي أفسدتم، وفي أجره الذي أخذتم. ويلكم غرماء السوء تبدأون بالهديّة قبل قضاء الدَّين. بالنوافل تطوّعون، وما أُمرتم به لا تؤدّون. إنّ ربّ الدَّين لا يقبل الهديّة حتّى يُقضى دَينه.

الجاحظ (ت. ٢٥٥/٨٦٨)، البيان والتبيين، ٣: ١٤٠-١٤١. انظر أيضاً ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٣: ١٤٣ (أسين، ٥٤٠ (رقم ١١٠)؛ منصور، رقم ٨؛ ربسون، ٨٤-٨٥).

يشبه التوبيخ في هذا الخبر توبيخ المسيح للفريسيّين في إنجيل متّى ٢٣: ١٣-٣٦. والنصّ مصاغ بأسلوب السجع والطباق. ويمكن ملاحظة التأثير الإسلامي في عبارات كـ «النوافل». يتحول الفريسيون في الإنجيل هنا إلى «عبيد الدنيا».

٨٤ قال عيسى بن مريم صلوات اللّه عليه: تعملون للدنيا وأنتم تُرزقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلاّ بالعمل.

الجاحظ (ت. ٨٦٨/٢٥٥)، البيان والتبيين، ٣: ١٦٦. انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٦٥ (رقم ٤٠١: الخبر أطول)؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٣: ١٤٣ [أسين، ٥٤١ (رقم ١١٣)؛ منصور، رقم ١١؛ ربسون، ٧٣]؛ الدينوري، كتاب المجالسة، ٥: ١٧-١٨ (رقم ١٨٠٤)؛ الماوردي، أدب الدنيا والدين، ١٠١؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٩٥ (رقم ٢٣٧).

هذا الخبر والذي يليه محبوكان بأسلوب أدبي، ويبرز مهارة في رد الأعجاز على الصدر.

٨٥ قال (المسيح): من هوان الدنيا على اللّه أنّه لا يُعصى إلاّ فيها، ولا يُنال ما عنده إلاّ بتركها.

الجاحظ (ت. ٨٦٨/٢٥٥)، البيان والتبيين، ٣: ١٦٦.

٨٦ قال عيسى بن مريم صلوات اللّه عليه: يا معشر الحواريّين، إنّ ابن آدم مخلوق في الدنيا في أربع منازل، هو في ثلاث منها واثق، وهو في الرابعة سيّئ الظنّ يخاف خذلان اللّه إيّاه. فأمّا المنزلة الأولى، فإنّه خُلق في ظلمات ثلاث، ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة. فوفّاه اللّه رزقه في جوف ظلمة البطن. فإذا أُخرج من ظلمة البطن، وقع في اللبن لا يخطو إليه بقدم ولا ساق، ولا يتناوله بيد ولا ينهض إليه بقوّة، بل يُكره عليه إكراهاً ويؤجر إيجاراً حتّى ينبت عليه لحمه ودمه.

فإذا ارتفع عن اللبن، وقع في المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلال وحرام، فإن ماتا عطف عليه الناس هذا يُطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه. فإذا وقع في المنزلة الرابعة واشتدّ واستوى وكان رجلاً، خشي أن لا يُرزق، فيثب على الناس فيخون أماناتهم ويسرق أمتعتهم ويغصبهم أموالهم مخافة خذلان اللّه تعالى إيّاه.

الجاحظ (ت. ٢٥٥/٨٦٨)، المحاسن والأضداد، ٨٢-٨٣ [أسين، ٥٣٧ (رقم ١٠٥)؛ منصور، رقم ٢٣٦؛ ربسون، ٥٠-٥١]. انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ١ : ٥٧ (رقم ١٢٦)؛ أبو حيّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ٢ : ١٢٧؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ، ٣٠٩؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٧٠ (رقم ١٩٣).

خطبة بليغة عن مراحل حياة الإنسان، والأمور التي تؤدّي به إلى الجريمة. مفهوم الحياة كمراحل شائع جداً، والجريمة هي نتاج اليأس من رحمة اللّه.

٨٧ إنّ اللّه تبارك اسمه قال لعيسى عليه السلام: يا عيسى، إنّي باعث من بعدك أمّة إن أعطيتهم شكروا وحمدوا، وإن منعتهم صبروا واحتسبوا، لا حلم ولا علم. قال: يا ربّ، كيف يكون لهم ذلك ولا حلم ولا علم؟ قال: أُعطيهم من حلمي وعلمي.

[أسين، ٦٠١ (رقم ٢٢٤)؛ منصور، رقم ٢٣٨]؛ انظر أيضاً أبو نعيم، حلية الأولياء، ١ : ٢٢٧ [منصور، رقم ٦٤].

يخاطب اللّه هنا المسيح، والأمّة المشار إليها هي بلا ريب أمّة المسلمين. نجد في إنجيل متّى ٢٣ : ٣٤ مقطعاً فسّره المسلمون

كدليل على قدوم النبيّ محمّد وهجرته من مكّة إلى المدينة. إذاً، ميّز اللّه أمّة المسلمين والمسيح كان شاهداً على ذلك. أمّا بخصوص سؤال المسيح إلى اللّه، فربّما يشير إلى عصر ما قبل الإسلام في الجزيرة العربيّة، حيث فضيلتا الحلم والعلم، وهما من أهمّ الفضائل، كانتا غائبتين. من هنا سمّى الإسلام ذلك العصر بعصر الجاهليّة، أي عصر العنف والفتن.

٨٨ قيل لعيسى بن مريم: ما أفضل أعمالك؟ قال: تركي ما لا يعنيني.

الجاحظ (ت. ٢٥٥/٨٦٨)، كتاب كتمان السرّ، ١: ١٦٢.

ابن عبد الحكم

٨٩ اللّه تبارك وتعالى أوحى إلى عيسى: أن ابعث إلى ملوك الأرض. فبعث الحواريّين. فأمّا القريب مكاناً فرضي، وأمّا البعيد مكاناً فكره وقال: لا أُحسن كلام من تبعثني إليه. فقال عيسى: اللهمّ، أمرت الحواريّين بالذي أمرتني فاختلفوا عليّ. فأوحى اللّه إليه: إنّي سأكفيك. فأصبح كلّ إنسان منهم يتكلّم بلسان الذي وُجّه إليهم.

ابن عبد الحكم (ت. ٢٥٧/ ٨٧٠)، كتاب فتوح مصر، ٤٥.

وضع ابن عبد الحكم تأريخاً لمصر في الفترة الإسلاميّة الأولى، وهو ينتمي إلى عائلة مصريّة اشتهرت برواية الحديث والتأريخ.

الخبر هو إعادة صياغة لتعاليم المسيح إلى رسله الاثني عشر: انظر إنجيل متّى ١٠. وربّما يشير أيضاً إلى عيد العنصرة المذكورة في أعمال

الرسل ٢: ١-١٣. لكن الملاحظ هنا أنّ عجز المسيح هو السبب للتدخّل الإلهي.

ابن قتيبة

٩٠ قال المسيح عليه السلام لأصحابه: إذا اتّخذكم الناس رؤوساً فكونوا أذناباً.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ١: ٢٦٦.

ابن قتيبة من معاصري الجاحظ، واشتهر مثله كأديب وناقد ومحدّث وجامع للأخبار، وكانت له عدّة اهتمامات منها التأريخ والأديان. أخباره وقصصه عن المسيح مهمّة جدّاً كجزء من الإنجيل الإسلامي. ويبدو أنّه كان من أوائل العلماء المسلمين الذين أخذوا بعض أخبارهم عن المسيح مباشرةً من الأناجيل، بالإضافة إلى مصادر أخرى.

ليس هناك من مقابل دقيق لهذا الخبر في الأناجيل، لكنّه يشبه أخباراً مذكورة في إنجيل متّى ٢٣: ١١-١٢ و٢٠: ٢٧. ومن الأرجح أنّ هناك رسالة ذات مغزى سياسي في هذا الخبر أي تذكير الحكّام المسلمين بضرورة أن يكونوا متواضعين كما فعل الخلفاء الراشدون قبلهم. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ فكرة كون العصر الذهبي للإسلام هو عصر الخلفاء الراشدين صاغها فقهاء ومؤرّخو عصر ابن قتيبة. ومن غير المستبعد أنّ المسيح مستخدم في هذا الخبر للتأكيد على تلك الفكرة.

٩١ عيسى بن مريم لقي رجلاً فقال: ما تصنع؟ قال: أتعبّد. قال: من يعود عليك؟ قال: أخي. قال: أخوك أعبد منك.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ١: ٣٢٧. انظر أيضاً ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٢: ٣٧١ [أسين، ٥٣٩ (رقم ١٠٩)؛ منصور، رقم ٥؛ ربسون، ٥١]؛ الدينوري، كتاب المجالسة، ٣: ١٢٣ (رقم ٧٥٣)؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٢: ٦٤؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ٢٠٢ (رقم ٢٤٩).

مناقبيّة التضامن الاجتماعي والرحمة تتفوّقان في هذا الخبر على الانفراديّة والانعزال، حتّى إذا كان ذلك لسبب العبادة. لم يعد المسيح هنا ذلك الزاهد الوحداني، ولكنّه الإنسان الذي يلتفت إلى المحتاجين والضعفاء. وهو ليس بعرّاب الفرّارين بدينهم من الدنيا، لكنّه ملتزم بأمور المجتمع، ويثني على فضيلة العطف على الآخر.

٩٢ قال المسيح عليه السلام: إلى متى تَصفون الطريق للمدلّجين وأنتم مقيمون مع المتحيّرين؟ إنّما ينبغي من العلم القليل ومن العمل الكثير.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ٢: ١٢٧. انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٨٥ (رقم ٢١٩).

انظر رقم ٤٣، بخصوص المقارنة بين العلم والعمل. ربّما الفقرة الأولى من هذا الخبر تحاكي توبيخ المسيح للفريسيّين المذكور في إنجيل متّى ١٥: ١٤ و٢٣: ١٦-٣٦.

٩٣ قال المسيح عليه السلام: إنّ أبغض العلماء إلى اللّه رجل يحبّ الذكر بالمغيب ويُوسَّع له في المجالس ويُدعى إلى الطعام وتُفرغ له المزاود. بحقّ أقول لكم، إنّ أولئك قد أخذوا أجورهم في الدنيا، وإنّ اللّه يُضاعف لهم العذاب يوم القيامة.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ٢: ١٢٧. انظر أيضاً مسكويه، الحكمة الخالدة، ١٢٥.

في إنجيل متّى ٢٣ : ٥-٦، الكتبة والفريسيّون هم من يحبّ المجالس والدعوة إلى الطعام. هنا كما في أخبار أخرى، يُذكر العلماء بدلاً من الكتبة والفريسيّين كهدف للتوبيخ.

٩٤ يكون في آخر الزمان علماء يُزهّدون في الدنيا ولا يَزهدون، ويُرغّبون في الآخرة ولا يَرغبون، وينهون عن غشيان الولادة ولا ينتهون، يقرّبون الأغنياء ويباعدون الفقراء، وينقبضون عند الحقراء وينبسطون عند الكبراء. أولئك الجبّارون أعداء الرحمن.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ٢: ١٢٩-١٣٠. انظر أيضاً ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٢: ٢٢٧ [أسين، ٥٣٩ (رقم ١٠٩)؛ منصور، رقم ٢؛ ربسون، ٨٤]. عند ابن قتيبة، الخبر منسوب إلى «بعض السلف»؛ أمّا عند ابن عبد ربّه، فإنّه منسوب إلى «عيسى».

هناك الكثير من الأحاديث النبويّة التي تعالج أهوال نهاية العالم وعلاماتها منها ما يصوّر أحوال يوم القيامة حيث الكثير من العادات والتقاليد تنقلب رأساً على عقب. وفي هذا الخبر أيضاً، العلماء هم هدف التوبيخ، فتصرّفاتهم تشابه تصرّفات الفريسيّين الموبّخين في إنجيل متّى. وتصرّف كهذا يستحقّ من العلماء المسلمين توبيخاً أقسى، فهم باعوا أمانتهم من أجل الفوز بحظوة عند الحكّام، وهذا عكس ما يجب أن يكون عليه العلماء.

٩٥ قال عيسى بن مريم: من كان منطقه في غير ذكر فقد لغا، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ٢: ١٧٨. انظر أيضاً

السمرقندي، تنبيه الغافلين، ٧٨ (الخبر أطول) [أسين، ٥٥٤ (رقم ١٣٦)؛ منصور، رقم ٣٦؛ ربسون، ٥٥].

هذا الخبر مثالٌ لما في أدبيّات الحكمة، ويَدين في شكله إلى زهّاد أوائل كالحسن البصري من جهة، وإلى مفكّرين عقلانيّين كابن المقفّع (ت. حوالى ١٣٩/٧٥٦) من جهة أخرى. وأسلوب السجع المتّبع هنا جدير بأقوال الأنبياء والحكماء، مسلمين كانوا أم غير مسلمين.

٩٦ [قال عيسى:] بحقّ أقول لكم، إنّ قائل الحكمة وسامعها شريكان وأولاهما بها من حقّقها بعمله. بحقّ أقول لكم، لو وجدتم سراجاً يتوقّد بالقطران في ليلة مظلمة لاستأضتم بنوره ولم يمنعكم منه نتن قطرانه. فكذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممّن وجدتموها عنده.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/٨٨٤)، عيون الأخبار، ٢: ٢٦٨. انظر أيضاً ابن عبد البرّ، مختصر جامع بيان العلم، ٩٦ (بعض الخبر) [أسين، ٥٦٧ (رقم ١٥٥)؛ منصور، رقم ٨٦؛ ربسون، ٥٦-٥٧].

إعادة صياغة جزئيّة لما في إنجيل متّى ٥: ١٤-١٦، وربّما أيضاً ٧: ٢٤-٢٦. العنصر الجديد هنا هو القطران النتن الرائحة الذي يقابله نور الحكمة؛ ونجد كلمة «الحكمة» مكان كلمة «النور» التي في إنجيل متّى. واستخدام أسلوب كلام المسيح يُعطي الخبر مصداقيّة: انظر رقم ٥١. هناك بعض الأحاديث النبويّة التي تركّز على أخذ الحكمة مهما كان مصدرها. وفي القرآن، الحكمة هي ما يحتاج إليه الإنسان لقبول الإيمان. أمّا في القرون الإسلاميّة اللاحقة، فتصبح كلمة «حكمة» ذات مدلول عقلاني وعلمي محدّد، وتستخدم كنقيض لكلمة «علم»، المستعملة حصراً لتعني العلوم الدينيّة. والمسيح في هذا الخبر هو عرّاب المفكّرين، كما هو عرّاب أولئك الذين تضيء أعمالهم الحسنة الظلمة.

٩٧ عيسى بن مريم قال لأصحابه: إن كنتم إخواني وأصحابي فوطّنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الناس، إنّكم لا تدركون ما تطلبون إلاّ بترك ما تشتهون، ولا تنالون ما تحبّون إلاّ بالصبر على ما تكرهون.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ٢: ٢٦٨. انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٠٤ (رقم ٢١٤: الخبر أطول)؛ الدينوري، كتاب المجالسة، ٣: ٢٦٥ (رقم ٩٠١: الخبر أطول)؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٧٨ (رقم ٢٠٧).

لا يبدو جُزآ هذا الخبر منسجمين. الجزء الأوّل ربّما يحاكي إنجيل متّى ١٠: ٣٤: ٣٩. أمّا الثاني، فهو على الأرجح مستوحى من كلام زاهد أو من المذهب الرواقي (Stoic) حيث التركيز على كبت الشهوة.

٩٨ [قال المسيح:] طوبى لمن كان بصره في قلبه ولم يكن قلبه في بصره.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ٢: ٢٦٨.

خبر جميل، ليس له مقابل في الأناجيل. على الرغم من ذلك فهو مشابه لكلام المسيح الإنجيلي إن في صياغته أم في مضمونه.

٩٩ قال المسيح عليه السلام: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمّروها.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ٢: ٣٢٨. انظر أيضاً المبرّد، الكامل، ١: ٨٩؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٣: ١٧٣ (اختلاف بسيط) [منصور، رقم ١٦]؛ أبو طالب المكّي، قوت القلوب، ١: ٢٥٦؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤: ٢١٨ [أسين، ٣٦٧ (رقم ٤٦)؛ منصور، رقم ١٢٨؛ ربسون، ٦٨]؛ الزبيدي، إتحاف السادة المتّقين، ٩: ٣٣٢ (الخبر أطول) [منصور، رقم ١٥٦].

للمزيد عن هذا الخبر المعروف جدّاً، انظر الهامش رقم ٥٥ في المقدّمة. وينسبه المبرّد (ت. ٢٨٥/٨٩٨)، وهو من معاصري ابن قتيبة، إلى الحسن البصري.

١٠٠ مرّ [المسيح] بقوم شتموه، فقال خيراً. ومرّ بآخرين شتموه، فقال خيراً. فقال رجل من الحواريّين: كلّما زادوك زدت خيراً، كأنّك تغريهم بنفسك؟ فقال: كلّ إنسان يُعطي ممّا عنده.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ٢: ٣٧٠. انظر أيضاً ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٢: ٢٧٦ [منصور، رقم ٤]؛ الطرطوشي، سراج الملوك، ٢٥٧؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ١١٤ [أسين، ٣٦٧ (رقم ٣٢)؛ منصور، رقم ١١٧؛ ربسون، ٤٥-٤٦].

انظر رقم ٨٠.

١٠١ قال المسيح صلّى الله عليه: كن وسطاً وامشِ جانباً.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ٣: ٢١. انظر أيضاً الجاحظ، البيان والتبيين، ١: ٢٥٦ (الخبر منسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب)؛ المبرّد، الكامل، ١: ٢١٠ (اختلاف بسيط)؛ الدينوري، كتاب المجالسة، ٣: ٤٧٨-٤٧٩ (رقم ١٠٨٦)؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٤٩ (رقم ١٥٢) [ربسون، ٦٢].

المعنى غير واضح تماماً. ربّما القصد منه أن يكون المرء «في» الدنيا ولكن ليس «لـ» الدنيا؛ أدين بهذا التفسير إلى أحد تلاميذي (J.M. Laing). وتعبير «أمّةً وسطاً» هو ما يستخدمه القرآن لوصف المسلمين: انظر سورة البقرة ٢: ١٤٣.

١٠٢ قال المسيح عليه السلام: لا يزني فرجك ما غضضت بصرك.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ٤ : ٨٤. انظر أيضاً ورّام، مجموعة، ١ : ٦٢ (اختلاف بسيط).

مأخوذ من إنجيل متّى ٥ : ٢٦-٢٩، لكن الصياغة قرآنيّة (انظر مثلاً سورة النور ٢٤ : ٣٠-٣١).

١٠٣ مرّ عيسى عليه السلام على بقرة قد اعترض ولدها في بطنها، فقالت: يا كلمة اللّه، ادعُ اللّه أن يخلّصني؟ فقال: يا خالق النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس، خلّصها؟ فألقت ما في بطنها.

ابن قتيبة (ت. ٢٧١/ ٨٨٤)، عيون الأخبار، ٤ : ١٢٣. انظر أيضاً الدينوري، كتاب المجالسة، ٥ : ١٦٩-١٧٠ (رقم ١٩٩٥).

عن مكالمة المسيح لأفعى، انظر الخبرين رقم ١٤٥ و٢٨٦. ليس هناك أيّ إشارة في العهد الجديد إلى أبقار أو أنعام، لكن هناك قصصاً كثيرة في الأناجيل المنحولة تتكلّم فيها الحيوانات، معظمها منسوب إلى رسل المسيح. انظر مثلاً:

M. Rhodes James, *The Apocryphal New Testament* (Oxford: Clarendon Press. 1924).

أبو بكر بن أبي الدنيا

١٠٤ قال عيسى بن مريم عليه السلام: فكّرت في الخلق فوجدت من لم يُخلق أغبط عندي ممّن خُلق.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب الأشراف، ٢٢٨. انظر أيضاً الدينوري، كتاب المجالسة، ٢ : ٣٢٨-٣٢٩ (رقم ٤٨٦)؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٢٣ (رقم ١٠٤-١٠٥).

أبو بكر بن أبي الدنيا من روّاد رواية الحديث وأخبار الزهد عن

النبيّ محمّد وعن شخصيّات إسلاميّة. مرويّاته عن المسيح كثيرة ومرفقة بأسانيد كاملة، وهي مهمّة جداً لمعرفة واستقصاء أصل هذه الأخبار. واعتمد الغزالي وغيره من العلماء المسلمين بشكل أساسي على أعمال ابن أبي الدنيا بخصوص أخبار وقصص المسيح. لمزيد من المعلومات عن حياته وأعماله، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*.

الخبر مثير للفضول، ولا يشبه أيّاً من أخبار الأناجيل، إلاّ ربّما إنجيل متّى ٢٦ : ٢٤ المتعلّق بخيانة يهوذا. لكن هناك شبهاً مع خبرين من الأناجيل المنحولة، الإنجيل المنسوب إلى توما والإنجيل المنسوب إلى فيليب: انظر

Bentley Layton, *The Gnostic Scriptures* (New York: Doubleday, 1987), p. 383 (excerpt 19: Thomas), and p. 339 (excerpt 49: Philip).

١٠٥ وقال عيسى بن مريم عليه السلام: ما سكنت الدنيا قلب عبد إلاّ أليط قلبه منها بثلاث: شغل لا ينفكّ عناه، وفقر لا يدرك غناه، وأمل لا يدرك منتهاه. الدنيا طالبة ومطلوبة، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتّى يستكمل فيها رزقه، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتّى يجيء الموت فيأخذه بعنقه.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب القناعة والتعفّف (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ١ : ٦٨ (رقم ١٦٢). انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٤٦ (رقم ١٤٧)؛ الزبيدي، إتحاف السادة المتّقين، ٩ : ٣٣٢ [أسين، ٥٩٨ (رقم ٢٢١)؛ منصور، رقم ٢٥٨؛ ربسون، ٧٧].

الفكرة البارزة هنا هي ضرورة أن ينتمي المرء إلى عالم لا يمكنه تحقيق أيّ شيء فيه وحيث الأشياء أساساً غير قابلة للتحقيق. والدنيا كطالبة ومطلوبة أمر يتردد بكثرة في أقوال المسيح.

١٠٦ عيسى بن مريم رأى الدنيا في صورة عجوز هتماء عليها من كلّ زينة فقال لها: كم تزوّجت؟ قالت: لا أحصيهم. قال: كلّهم مات عنك أو كلّهم طلّقك؟ قالت: بل كلّهم قتلت. قال: فقال عيسى عليه السلام: بؤساً لأزواجك الباقين ألا يعتبرون بأزواجك الماضين كيف تهلكينهم واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٢٤ (رقم ٢٧، وقارن بأرقام ٢٨-٣٠ المنسوبة إلى زهّاد مسلمين). انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٢١٠ [أسين، ٣٧٥ (رقم ٤٥)؛ منصور، رقم ١٢٧؛ ربسون، ٦٨]؛ ابن حنبل، الزهد، ٣٦٣ (رقم ١٤٣٣: اختلاف بسيط ومنسوب إلى العلاء بن زياد).

الخبر معروف جدّاً، نجده أيضاً مذكوراً بكثرة في أدبيّات الزهد في الإسلام ومنسوباً إلى عدد من الزهّاد المسلمين. اقترح أسين أنّ الأصل من إنجيل يوحنا ٤: ١٦-١٨، على الرغم من أنّ صورة المرأة المتزيّنة موجودة في الكتاب المقدّس (انظر سفر حزقيال ١٣: ١٧-٢٣)، وفي القرآن حيث كثرة التبرّج مشجوبة (انظر سورة النور ٢٤: ٦٠، وسورة الأحزاب ٣٣: ٣٣). انظر أيضاً كتاب رؤيا يوحنّا ١٧: ١-١٨.

١٠٧ قال عيسى بن مريم: كما لا يستقيم النار والماء في إناء كذلك لا يستقيم حبّ الآخرة والدنيا في قلب المؤمن.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٤٤-٤٥ (رقم ٧١). انظر أيضاً الدينوري، كتاب المجالسة، ٣: ٥٣٢ (رقم ١١٥٠)؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٢٠٠ [أسين، ٣٦٩ (رقم ٣٥)؛ منصور، رقم ١٢٠؛ ربسون، ٦٥].

وفقاً للإنجيل الغنوصي Gnostic المنسوب إلى فيليب، النفس

والروح مكوّنتان من ماء ونار. انظر: Bentley Layton, *The Gnostic Scriptures*, p. 341 (excerpt 58).

لكن هذه فقط مقارنة تتعلّق بالأسلوب، وليس بالضرورة بمصدر الخبر، كون الأخبار المأخوذة من المصادر الغنوصية قليلة جدّاً في الإنجيل الإسلامي. وهناك مقاربة هامشيّة لإنجيل متّى ٦: ٢٤، خصوصاً أنّ الخبر التالي لهذا عند ابن أبي الدنيا وغير المنسوب إلى أحد هو عبارة عن تلخيص لما في إنجيل متّى.

١٠٨ صحب رجل عيسى بن مريم فقال: أكون معك وأصحبك. قال: فانطلقا فانتهيا إلى شطّ نهر فجلسا يتغدّيان ومعهما ثلاثة أرغفة، فأكلا رغيفين وبقي رغيف. فقام عيسى إلى النهر فشرب ثمّ رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل: من أخذ الرغيف؟ قال: لا أدري. قال: فانطلق معه صاحبه فرأى ظبية معها خشفان.. قال: فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك ثمّ قال للخشف: قُم بإذن اللّه. فقام فذهب، فقال للرجل: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ قال: ما أدري. قال: ثمّ انتهيا إلى وادٍ فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلمّا جاوزا قال: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ قال: لا أدري. قال: فانتهيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى فجمع تراباً أو كثيباً ثمّ قال: كن ذهباً بإذن اللّه. فصار ذهباً فقسمه ثلاثة أثلاث فقال: ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف. فقال: أنا أخذت الرغيف. قال: فكلّه لك.

قال: وفارقه عيسى فانتهى إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا

أن يأخذاه منه ويقتلاه، فقال؛ هو بيننا أثلاثاً. قال: فابعثوا أحدكم إلى القرية حتّى يشتري طعاماً. قال: فبعثوا أحدهم. قال: فقال الذي بُعث: لأيّ شيء أقاسمهما هذا المال، ولكنّي أضع في هذا الطعام سمّاً فأقتلهما. قال: ففعل. وقال ذانك: لأيّ شيء نجعل لهذا ثلث المال، ولكن إذا رجع إلينا قتلناه واقتسمناه بيننا. قال: فلمّا رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا. قال: فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة قتلى عنده. وفي غير حديث إسحاق بن إسماعيل، قال: فمرّ بهم عيسى على تلك الحال فقال: هذه الدنيا فاحذروها.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٤٩-٥٠ (رقم ٨٧). انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٢٦٧ [أسين، ٣٨٣-٣٨٤ (رقم ٥٤)؛ منصور، رقم ١٣٦؛ ربسون، ٩٧-٩٩]؛ أبو طالب المكّي، قوت القلوب، ١: ٢٥٥ [أسين، ٣٨٧-٣٨٨ (رقم ٥٤د)؛ منصور، رقم ٢٦]؛ الطرطوشي، سراج الملوك، ٧٩-٨٠؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ٩٥ (رقم ٨٢)؛ الإبشيهي، المستطرف، ٢: ٢٦٣-٢٦٤ [أسين، ٣٨٥ (رقم ٥٤ب) و٣٨٦-٣٨٧ (رقم ٥٤ج): اختلاف بسيط].

قصّة عن الأخلاق ذات مغزى يتكرّر في كثير من الحضارات القديمة. يتبعها عند ابن أبي الدنيا حديث منسوب إلى الحسن البصري عن النبيّ محمّد، مقدّمته الكلمات التالية: «إنّما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء. . . . فأيقنوا بالهلكة.» وبعد ذلك يلقى القوم رجلاً يوصلهم إلى «ماء رويّ ورياض خضر». لكن عندما يدعوهم الرجل إلى الانتقال إلى رياض وماء أفضل بكثير من الذي أوردهم، يأبى معظمهم سماعه مفضّلين التنعّم بما هم فيه. فيرحل الرجل وقليل ممّن تبعه، ويبقى الآخرون لكن سرعان ما يهجم عليهم العدو فيقتلهم ويسبيهم.

١٠٩ قال عيسى: بحقّ أقول لكم، كما ينظر المريض إلى

طيب الطعام فلا يلتذّ به من شدّة الوجع، كذلك صاحب الدنيا لا يلتذّ العبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حبّ الدنيا. بحقّ أقول لكم، إنّ الدابة إذا لم تُركب وتُمتهن تصعّبت وتغيّر خلقها، كذلك القلوب إذا لم ترقّق بذكر الموت وتنصبها دأب العبادة تقسو وتغلظ. بحقّ أقول لكم، إنّ الزقّ ما لم ينخرق أو يقحل فسوف يكون وعاء للعسل، وكذلك القلوب ما لم تحرقها الشهوات أو يدنّسها الطمع أو يقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٥٢ (رقم ٩٠). انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٢١١ [أسين، ٣٧٧ (رقم ٤٧)؛ منصور، رقم ١٢٩؛ ربسون، ٦٨-٦٩]؛ ورّام، تنبيه الخواطر، ١: ١٤٨.

اشتهر المسيح في الأدبيّات الإسلاميّة الخاصّة بالنبوّة والأنبياء بنبيّ القلب. وهذا الخبر هو من أقدم الأمثلة على هذا وعلى تعاليمه المتعلّقة بالقلوب. وكلمة «حكمة» المذكورة في نهاية الخبر هي عبارة قرآنيّة تعني عنصر الفهم المرافق للإيمان والذي يجعله ممكناً.

١١٠ قيل لعيسى بن مريم عليه السلام: لو اتّخذت بيتاً؟ قال: يكفيني خلقان من كان قبلنا.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٦٨ (رقم ١٢٩). انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٢٠٠ [أسين، ٣٦٩ (رقم ٣٦)؛ منصور، رقم ١٢١؛ ربسون، ٦٥].

انظر رقم ٦٠.

١١١ قال عيسى بن مريم: كانت الدنيا ولم أكن فيها،

وتكون ولا أكون فيها، وإنّما لي فيها أيّامي التي أنا فيها، فإن شقيت فيها فأنا شقي.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٠٥ (رقم ٢١٦). انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٨٢ (رقم ٢١٣: اختلاف بسيط).

لربما هذا الخبر مستخدم للتأكيد على بشريّة المسيح، وذلك من خلال رفض ألوهيته من جهة، وإمكانيّة ارتكابه للمعاصي من جهة أخرى.

١١٢ قال عيسى بن مريم: من علامة الزاهدين في الدنيا تركهم كلّ خليط لا يريد من يريدون.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٠٩ (رقم ٢٢٥).

الرفض المطلق لأيّ شخص لا يرجو ما يرجوه الزهّاد هو نموذجي عند الزهّاد المسلمين الأوائل، أكثر منه عند مسيح الأناجيل.

١١٣ مرّ المسيح عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية والطرق فقال للحواريّين: يا معشر الحواريّين، إنّ هؤلاء ماتوا عن سخط ولو ماتوا من غير ذلك لتدافنوا. قالوا: يا روح اللّه، وددنا أنّا علمنا خبرهم؟ فسأل ربّه فأوحى اللّه إليه: إذا كان الليل فنادهم يجيبوك. فلمّا كان الليل أشرف على نشر ثمّ نادى: يا أهل القرية. فأجابه مجيب: لبّيك يا روح اللّه. فقال: ما حالكم وما قصّتكم؟ قالوا: بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية. قال: وكيف ذلك؟ قال: بحبّنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي.

قال: وكيف كان حبّكم للدنيا؟ قال: حبّ الصبيّ لأمّه، إذا أقبلت فرحنا وإذا أدبرت حزنّا وبكينا عليها. قال: فما بال أصحابك لم يجيبوني؟ قال: لأنّهم ملجمون بلُجُم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد. قال: فكيف أجبتني أنت من بينهم؟ قال: لأنّي كنت فيهم ولم أكن منهم، فلمّا نزل بهم العذاب أصابني معهم، فأنا معلّق على شفير جهنّم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها. فقال: المسيح للحواريّين: لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٢٨-١٢٩ (رقم ٢٨٢). انظر أيضاً ابن بابويه، علل الشرائع، ٢: ١٥١-١٥٢؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٢٠١ [أسين، ٣٧١-٣٧٢ (رقم ٣٩)؛ منصور، رقم ١٢٣؛ ربسون، ٩٥-٩٦].

قصّة عن إحياء الموتى يستنطق المسيح فيها أحد الموتى. عبارة «ملائكة غلاظ شداد» ترد في القرآن (انظر سورة التحريم ٦٦: ٦)، والخبر هو من أوائل الأخبار المتعلّقة بوصف جهنّم. تنتهي القصّة بعظة قد رأيناها قبلاً: انظر رقمي ٤٢ و٦٧.

١١٤ قال عيسى بن مريم: تعملون لدنيا صغيرة وتتركون الآخرة الكبيرة، وعلى كلّكم يمرّ الموت.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٢٩-١٣٠ (رقم ٢٨٦).

نجد صورة العالم «الصغير» المعارضة بالآخرة «الكبيرة» أيضاً في خبر منسوب إلى أحد أوائل الزهّاد المسلمين: انظر الخبر (رقم ٢٨٧) الذي يلي هذا عند ابن أبي الدنيا.

١١٥ قال عيسى بن مريم: طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر، كلّما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتّى يقتله.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٤٦ (رقم ٣٤٢). انظر أيضاً ابن حمدون، التذكرة، ١: ٢٤٩ (رقم ٦٣٨)؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٢١٢ [أسين، ٣٧٨ (رقم ٤٨)؛ منصور، رقم ١٣٠؛ ربسون، ٦٩]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٤٧ (رقم ١٥٠).

الطعم المزّ لماء البحر مذكور مرّتين في القرآن: انظر سورة الفرقان ٢٥: ٥٣ وسورة فاطر ٣٥: ١٢. والخبر يرد أيضاً في الأدبيّات السريانيّة، بالتحديد عند ابن العبري ومنسوب إلى حكيم من الهند: انظر E. A Wallis Budge, *The Laughable Stories Collected by Mar Gregory John Bar-Hebraeus* (London: Luzac, 1897), p. 28 (no. 110).

١١٦ وقال عيسى بن مريم: يا معشر الحواريّين، ازهدوا في الدنيا تمشوا فيها بلا همّ.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٤٦ (رقم ٣٤٤).

١١٧ قال عيسى بن مريم عليه السلام: ويلكم علماء السوء، من أجل دنيا دنيّة ورشوة رزيّة تفرطون في ملك الجنّة وتنسون هول يوم القيامة.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٥٨ (رقم ٣٧٧).

انظر رقمي ٩٢ و٩٤.

١١٨ عيسى عليه السلام نظر إلى إبليس فقال: هذا أركون الدنيا إليها خرج وإيّاها سأل، لا أشركه في شيء منها ولا حجراً أضعه تحت رأسي، ولا أكثر فيها ضاحكاً حتّى أخرج منها.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٦٨ (رقم ٤٠٩).

تضع المعاجم العربيّة القديمة عبارة «أركون» الغامضة تحت جذر «ركن»، وتفسّرها بمعنى حاكم أو فرد من عليّة القوم، وتقارنها دائماً بكلمة «دهقان» الفارسيّة التي تشير إلى الوالي في الأماكن الريفيّة في زمن الفرس واستخدمت أيضاً في صدر الإسلام. إذاً هناك بعض الشكّ في أن يكون أصل كلمة أركون عربياً، ويمكن مقارنتها بعبارة «أركون» archon الموجودة في الأناجيل الغنوصيّة، والتي تشير إلى ولاة هذا العالم ومن بينهم الشيطان. تتكرّر صورة الحجر الموضوع تحت الرأس في الخبر التالي.

١١٩ مرّ إبليس بعيسى بن مريم وهو متوسّد حجراً فقال له: يا عيسى، قد رضيت من الدنيا بهذا الحجر؟ قال: فأخذه من تحت رأسه فقذف به إليه فقال: هذا لك مع الدنيا لا حاجة لي فيه.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٦٨ (رقم ٤١٠). انظر أيضاً مسكويه، الحكمة الخالدة، ١٢٩ (مكان إبليس، بعض أهل البطالة)؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤: ١١ (اختلاف) [أسين، ٣٩٢-٣٩٣ (رقم ٦٣)؛ منصور، رقم ١٤٥؛ ربسون، ٧٠]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٢٧ (رقم ١١٢).

يسخر الشيطان في هذا الخبر الجميل من المسيح لكونه قد ركن لراحة الدنيا. بخصوص أخبار أخرى عن الحجر، انظر رقمي ٤٧ و٧١.

١٢٠ الحواريّون قالوا لعيسى عليه السلام: يا روح اللّه، علّمنا عملاً واحداً يحبّبنا إلى اللّه عزّ وجلّ؟ قال: ابغضوا الدنيا يحببكم اللّه.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٧٠ (رقم ٤١٥). انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٢٠١ [أسين، ٣٧٣ (رقم ٤١)؛ منصور، رقم ١٢٥؛ ربسون، ٦٧].

هناك محاكاة في هذا الخبر لإنجيل يوحنّا ١٥: ١٨-١٩. وتتكرّر وصيّة كره الدنيا بكثرة في كلام الزهّاد المسيحيّين المصريّين القدماء: انظر مثلاً Ward, *The Sayings of the Desert Fathers*, p. 8 (no. 33).

١٢١ قال عيسى بن مريم: يا معشر الحواريّين، ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٧٩ (رقم ٤٤٩).

مهارة في قلب العبارات، دائماً وفقاً لأسلوب الأدب.

١٢٢ قال عيسى بن مريم عليه السلام: إنّ اللّه عزّ وجلّ يُحبّ العبد يتعلّم المهنة يستغني بها عن الناس، ويكره العبد يتعلّم العلم يتّخذه مهنة.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب إصلاح المال (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٩٥ (رقم ٣١٦).

بخصوص ضرورة طلب الرزق انظر رقم ٢٤٧ المتعلّق بإحياء

الموتى. بمقابل هذا، فإنّ العلم، بمعنى الحديث والعلوم الدينيّة، يفرض مسؤوليّة أخلاقيّة عظمى، كما نلاحظ في بعض الأخبار السابقة.

١٢٣ أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر [بن أبي طالب] وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان [وهو] جالس على التراب، فقال جعفر: وأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلمّا رأى ما في وجوهنا قال: إنّي أُبشّركم بما يسرّكم، إنّه جاءني من نحو أرضكم عين لي وأخبرني أنّ اللّه قد نصر نبيّه صلّى اللّه عليه وسلّم وأهلك عدوّه وأُسر فلان وفلان وفلان وقُتل فلان وفلان، التقوا بوادٍ يُقال له بدر، كثير الأراك، كأنّي أنظر إليه، كنت أرعى به لسيّدي، رجل من بني ضمرة، إبله. فقال له جعفر: ما بالك جالساً على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاق؟ قال: إنّا نجد فيما أنزل اللّه تبارك وتعالى على عيسى عليه السلام: أنّ حقّاً على عباد اللّه أن يحدثوا للّه تواضعاً عندما أحدث اللّه لهم من نعمه. فلمّا أحدث اللّه لي نصر نبيّه أحدثت له هذا التواضع.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب الشكر للّه (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٣: ٥٣-٥٤ (رقم ١٢٧).

المتحدّث هنا هو نجاشي الحبشة، الذي، وفقاً للتاريخ الإسلامي، أعطى الأمان لمجموعة من المسلمين الأوائل أتباع النبيّ محمّد الذين هاجروا من مكّة هرباً من ظلم قريش. في أحد الأيّام، وجده المسلمون جالساً على الأرض، ففسّر لهم ذلك بأنّه وصله الخبر عن انتصار المسلمين في معركة بدر، وهو ممتنّ للّه لذلك النصر، ثمّ أخبرهم الخبر هذا. تُبرز المصادر الإسلامية بشكل عام النجاشي كملك مسيحي

تقيّ جدّاً لم يمنعه إيمانه من إدراك صحّة نبوّة محمّد، فأصبح لذلك نموذجاً للإيمان الخالص. أمّا بخصوص مضاعفة المنن إذا شكر المرء اللّه عليها، فهي تشبه ما جاء في سورة إبراهيم ١٤ : ٧.

١٢٤ لقي يحيى بن زكريّا عيسى بن مريم عليهما السلام، ويحيى مبتسم متهلّل الوجه وعيسى قاطب متعبّس، فقال عيسى ليحيى: أتضحك كأنّك آمن؟ فقال يحيى لعيسى: كأنّك آيس؟ فأوحى اللّه عزّ وجلّ أن ما فعل يحيى أحبّ إلينا.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب الإخوان، ١٩٠ (رقم ١٣٦). انظر أيضاً ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٦: ٣٨٠ [أسين، ٥٤٤ (رقم ١٢٠)؛ منصور، رقم ٢١؛ ربسون، ١٠٨]، و٦: ٣٨٠-٣٨١ [أسين، ٥٤٤ (رقم ١٢١)؛ منصور، رقم ٢٢؛ ربسون، ١٠٨-١٠٩]؛ أبو حيّان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٧: ١٩٧ (رقم ٣٧٩)، ورسالة في الصداقة والصديق، ١٠٥؛ ابن عقيل، كتاب الفنون، ٢: ٦٣٥-٦٣٦؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ٢٠٠ (رقم ٢٤٦)؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٢: ٢٠٥ [منصور، رقم ٢٣٣].

يأتي هذا اللقاء بين المسيح ويحيى على الأرجح في سياق نقد للتطرّف في الزهد، الذي يشبه اليأس. يؤكّد الخبر على رحمة اللّه الواسعة. كلمات اللّه في خاتمة الخبر يمكن أن تشير إلى أنّ المسيح هو أقلّ قدراً من يحيى. القصّة تذكّر بالخبر الإغريقي المعروف عن اللقاء بين الفيلسوفين ديمقريطس (Democritus) وهرقليطس (Heraclitus): انظر Montaigne, *Essays* (Harmondsworth: Penguin, 1960), p. 132.

والصفتان مذكورتان أيضاً لاثنين من مشاهير صدر الإسلام، الحسن البصري ومحمّد بن سيرين (ت. ١١٠/ ٧٢٨): انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧: ١٦٢.

١٢٥ قالوا لعيسى بن مريم عليه السلام: دلّنا على عمل ندخل به الجنّة؟ قال: لا تنطقوا أبداً. قالوا: لا نستطيع ذلك. قال: فلا تنطقوا إلاّ بخير.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب الصمت وآداب اللسان، ٢١٥ (رقم ٤٦). انظر أيضاً مسكويه، الحكمة الخالدة، ١٢٣؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ١٠٧ [منصور، رقم ١١٠]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٥٨ (رقم ١٧٢).

فضيلة الصمت شائعة جدّاً في حضارات الشرق الأدنى القديم. والخبر هذا مأخوذ من كتاب لابن أبي الدنيا يعالج هذا الموضوع حصراً. نجد أيضاً أخباراً مماثلة منسوبة إلى النبيّ محمّد: انظر على سبيل المثال ابن المبارك، كتاب الزهد والرقائق، ١٢٥ (رقم ٣٦٨).

١٢٦ عيسى بن مريم عليه السلام قال: من كثر كذبه ذهب جماله، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته، ومن كثر همّه سقم جسمه، ومن ساء خلقه عذّب نفسه.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب الصمت وآداب اللسان، ٢٧٦-٢٧٧ (رقم ١٣٣). انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ١١٤ [منصور، رقم ١١٢]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٦٠ (رقم ١٧٥)؛ ورّام، مجموعة، ٢: ١٧٦.

الصياغة هنا أقرب إلى الأدب منها إلى الزهد.

١٢٧ مرّ عيسى عليه السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا. فقال عيسى عليه السلام: ما أشدّ بياض أسنانه. يعظهم، ينهاهم عن الغيبة.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب الصمت وآداب اللسان، ٣٨٥-٣٨٦

(رقم ٢٩٧). انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ١٤٠ [أسين، ٣٦٥ (رقم ٢٩)؛ منصور، رقم ١١٤؛ ربسون، ٤٥]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٥٧ (رقم ١٧٠)؛ ورّام، مجموعة، ١: ١١٧.

ربّما يجب قراءة الخبر هنا والذي يليه معاً، فكلاهما يتعلّق بحيوانات مكروهة من المسلمين. الخنزير حيوان نجس، أما الكلب فلمسه يوجب إعادة الوضوء وفقاً لمذاهب معظم الفقهاء. إذاً الخبران في بعض جوانبهما مسيئان لتقاليد المسلمين، على الرغم من أنّهما لا ينتهكان أحكام الفقه الإسلامي. ونجد في الخبر الأوّل تفسيراً إضافياً من الراوي المسلم يتعلّق بسلوك المسيح. والخبران على كل حال يشبهان أقواله في الأناجيل. ويذكر ورّام أنّ القصد من هذا الخبر أن يكون تحذيراً من المسيح لتلاميذه بمجانبة البذاءة حتى إذا كان المقصود كلباً ميتاً.

يذكر أسين في الإضافات على مجموعته لأقوال المسيح (ص ٦٠٥) رسالة المستشرق المجري أغناص غولدزيهر (Ignaz Goldzider) له بخصوص هذا الخبر، حيث يذكر غولدزيهر أنّ أصل القصّة من التراث البوذي. لكنّي لم أعثر على ما يؤكد ذلك في التراث البوذي.

١٢٨ مرّ بعيسى بن مريم عليه السلام خنزير فقال: مرّ بسلام. فقيل له: يا روح اللّه، لهذا الخنزير تقول؟ قال: أكره أن أعوّد لساني الشرّ.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب الصمت وآداب اللسان، ٣٩٢ (رقم ٣٠٨). انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ١١٦ [أسين، ٣٦٥ (رقم ٢٨)؛ منصور، رقم ١١٣؛ ربسون، ٤٥]؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٥٧ (رقم ١٧٠).

انظر التعليق على رقم ١٢٧.

١٢٩ عيسى بن مريم عليه السلام قال لأصحابه: أرأيتم لو مررتم على رجل نائم وقد كشفت الريح عنه ثوبه؟ قالوا: كنّا لنردّه عليه. قال: بل تكشفون ما بقي. مثل ضربه للقوم يسمعون عن الرجل بالسيّئة فيزيدون عليها ويذكرون أكثر منها.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب الصمت وآداب اللسان، ٥٧٣ (رقم ٦٤٥). انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٢: ١٧٥ [أسين، ٣٥٨ (رقم ١٦)؛ منصور، رقم ١٠١؛ ربسون، ٤٤]؛ السهروردي، عوارف المعارف، ٤: ٤٨؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٥٤ (رقم ١٦٥).

انظر تعليق أسين بخصوص أخبار من الكتاب المقدّس مشابهة لهذا الخبر. نجد هنا أيضاً أنّ تعليق الراوي المسلم يهدف إلى إبراز المقصد من كلام المسيح، ويشير من جديد إلى رغبته بإظهار مغزى المثل أو المجاز في أخبار المسيح. وللوصايا بتجنّب الغيبة مكان مرموق في القرآن والحديث.

١٣٠ عيسى بن مريم عليه السلام قال: إنّ من أعظم الذنوب عند اللّه تعالى أن يقول العبد: إنّ اللّه يعلم، لما لا يعلم.

ابن أبي الدنيا (ت. ٢٨١/ ٨٩٤)، كتاب الصمت وآداب اللسان، ٦٠٨-٦٠٩ (رقم ٧٢٧). انظر أيضاً أبو نعيم الإصبهاني، حلية الأولياء، ٦: ١٢٥ (مختلفة قليلاً) [منصور، رقم ٧٨]؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ١٣٨ [أسين، ٥٧١ (رقم ١٦٧)؛ ربسون، ٥٧-٥٨].

تحذير بخصوص شهادة الزور أو اليمين الخادعة.

الحكيم الترمذي

١٣١ سُئل عيسى بن مريم صلوات اللّه عليه عن النصح

للّه، قال: إذا عرض لك أمران، أحدهما لنفسك والآخر للّه، فابدأ بأمر اللّه.

الحكيم الترمذي (ت. ٢٩٧/ ٩١٠)، الصلاة ومقاصدها، ١١٩.

الترمذي من أشهر المؤلفين في علم التصوف في قرونه الأولى.

تقديم النفس على اللّه وجعل أمر النفس قبل أمر اللّه أمران يتعلّقان بمعصية الكِبر، وهي من الخطايا العظام في الأناجيل كما في القرآن. والنصيحة بـ «جعل اللّه الأساس» شائعة في كتب التصوّف.

١٣٢ روي عن عيسى عليه السلام: العلماء ثلاثة، عالم باللّه وبأمر اللّه، وعالم باللّه ليس عالماً بأمر اللّه، وعالم بأمر اللّه وليس عالماً باللّه.

الحكيم الترمذي (ت. ٢٩٧/ ٩١٠)، نقلاً عن [أسين، ٦٠١ (رقم ٢٢٥)؛ منصور، رقم ٢٣٩؛ ربسون، ٦١].

هنا أيضاً يمكن التكهّن بأنّ الفقيه هو من يعرف وصايا اللّه لكن من يعرف اللّه حقّاً هو المتصوّف. وفي مذهب أهل التصوّف، هناك فارق بين العلم الذي هو نتيجة مجهود العقل وبين المعرفة التي تتحصّل من خلال التجربة. وأهل التصوّف يجعلون المعرفة أساساً لمذهبهم.

المبرّد

١٣٣ ويُروى عن عيسى عليه السلام أنّه قال: استكثروا من شيء لا تأكله النار. قِيل: وما هو؟ قال: المعروف.

المبرّد (ت. ٢٨٥/٨٩٨)، الفاضل، ٣٥. انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٢٤٠ [أسين، ٣٧٩ (رقم ٥١)؛ منصور، رقم ١٣٣؛ ربسون، ٤٦].

المبرّد من عمالقة النحو والأدب. فكرة النار التي تأكل كلّ شيء تتردّد بكثرة في الكتاب المقدّس وفي القرآن.

١٣٤ ويُروى عن المسيح صلوات اللّه عليه وسلامه أنّه كان يقول: إن احتجتم إلى الناس فكلوا قصداً وامشوا جانباً.

المبرّد (ت. ٢٨٥/٨٩٨)، الكامل، ١: ٢١٠.

يركّز الخبر على أهمّيّة التواضع والسيرة الحسنة. انظر أيضاً رقم ١٠١.

أبو رفاعة الفسوي

١٣٥ وكان [عيسى] سيّاحاً يسيح في الأرض لا يؤويه بيت ولا قرية، حلّته برنس شعر (؟) أو وبر الإبل وقلاّن ليس لهما شعر، وفي يده عصا هراوة. حيث ما جنّت الليلة سراجه ضوء القمر وظلّه ظلمة الليل، فرشه الأرض ووسادته الحجر، بقله وريحانه (؟) عشب الأرض، وربّما طوى الأيّام جائعاً. إذا أصابته الشدّة فرح، وإذا أصابه الرخاء حزن.

أبو رفاعة الفسوي (ت. ٢٨٩/ ٩٠٢)، كتاب بدء الخلق، ٣٣٣. انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٣٣ (رقم ١٢٠ : اختلاف بسيط).

أبو رفاعة الفسوي من أهمّ وأوائل رواة قصص الأنبياء، والتي أصبحت فيما بعد علماً بذاته. عن حياته وأعماله، انظر مقدّمة رئيف خوري، محقّق كتاب بدء الخلق.

من أقدم أوصاف المسيح في الإسلام. انظر أيضاً رقم ٧٨. ونجد في أدبيّات الحكمة العربيّة وقصص الأنبياء ذكراً للكثير من أوصاف الأنبياء والحكماء وعاداتهم اليوميّة. أمّا بخصوص مصدر هذا الخبر فهو

غير معروف. وربّما لأن أوصاف النبيّ محمّد وعاداته كانت معروفة جدّاً ومتناقلة بكثرة، ارتأى الرواة المسلمون ضرورة فعل الأمر ذاته لجميع الأنبياء السابقين، وبذلك تُصبح صورة النبيّ محمّد وسيرته مكمّلة لمن سبقه من الأنبياء. في جميع الأحوال، صورة المسيح السيّاح الزاهد هي الصورة المسيطرة في هذا الخبر.

هناك موضعان في النصّ حيث القراءة غير واضحة وتخمينيّة، وقد أشرت إليهما بعلامة استفهام (؟).

١٣٦ قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريّين: لن تنالوا ما عند اللّه حتّى تلبسوا الصوف على لذّة، وتأكلوا الشعير على لذّة، وتفترشوا الأرض على لذّة.

أبو رفاعة الفسوي (ت. ٢٨٩/ ٩٠٢)، كتاب بدء الخلق، ٣٣٧. انظر أيضاً أبو نعيم الإصبهاني، حلية الأولياء، ٥: ٩٢ [منصور، رقم ٧١].

كان الصوف من أوائل لباس أهل التصوّف في الإسلام؛ وهذا يفسّر أصل كلمة «تصوّف». والخبر هنا ينبّه إلى مدى تأثير مذهب أهل التصوّف على أخبار كهذه.

ابن عبد ربّه

١٣٧ وقالوا لعيسى بن مريم عليهما السلام: من أدّبك؟ قال: ما أدّبني أحد، رأيت الجهل قبيحاً فاجتنبته.

ابن عبد ربّه (ت. ٣٢٨/ ٩٤٠)، العقد الفريد، ٢: ٤٤٢ [منصور، رقم ٦]. انظر أيضاً الماوردي، أدب الدنيا والدين، ٢١٠؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ٦٣ [أسين، ٣٦١ (رقم ١٩)؛ منصور، رقم ١٠٤؛ ربسون، ٤٤].

ابن عبد ربّه هو مؤلّف أحد أشهر كتب الأدب في التراث العربي.

عن حياته وأعماله، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*

يظهر المسيح في هذا الخبر كمثال للعالم الأديب اللبق، والذي يستخلص الشبه بين الجهل والقباحة. وهذا القول بمثابة خلاصة عقلانيّة أو فنّيّة، وليست بالضرورة حكماً أخلاقياً. وكلمة «جهل» تعني أيضاً السلوك أو التصرّف العدواني. فيكون المسيح هنا يحذّر من التطرّف بالقول والعمل. على جميع الأحوال، تجنّب التطرّف هو من خصائص أسلوب حياة الأديب.

١٣٨ وممّا أنزل اللّه على المسيح في الإنجيل: شوّقناكم فلم تشتاقوا، ونحنا لكم فلم تبكوا. يا صاحب الخمسين، ما قدّمت وما أخّرت؟ ويا صاحب الستّين، قد دنا حصادك. ويا صاحب السبعين، هلمّ إلى الحساب.

ابن عبد ربّه (ت. ٣٢٨/ ٩٤٠)، العقد الفريد، ٣: ١٤٥ [أسين، ٥٤٣ (رقم ١١٦)؛ منصور، رقم ١٤؛ ربسون، ٥٢].

الخبر هنا ككثير من الأخبار المشابهة هو عبارة عن أقسام موصولة بعضها ببعض. القسم الأوّل يحاكي إنجيل متّى ١١: ١٧ وإنجيل لوقا ٧: ٢٣. أمّا القسم الثاني فيبدو أنّه مفصول عن الأوّل، ونمط صاحب السبعين بمعنى الرجل الهرم معروف في أدبيّات الحكمة من الشرق الأدنى القديم: انظر مثلاً Hertz, *Sayings of the Fathers*, p. 81 (no. 24).

١٣٩ قال المسيح عليه الصلاة والسّلام في الماء: هذا أبي، وفي الخبز: هذا أمّي. يريد أنّهما يغذّيان الأبدان كما يغذّيها الأبوان.

ابن عبد ربّه (ت. ٣٢٨/ ٩٤٠)، العقد الفريد، ٦: ٢٩٠ [منصور، رقم ٢٠].

انظر أيضاً ابن سيده، المخصّص، ١٣: ١٧٣-١٧٤ [أسين، ٥٦٨ (رقم ١٥٩)؛ منصور، رقم ٨٥؛ ربسون، ٩٠].

الخبر بصيغته هذه عبارة عن إعادة صياغة من المنظور الإسلامي لمفهوم القربان المقدّس: انظر رقم ٤٩. «خبز الحياة» و«خبز الفردوس» هما تعبيران من الكتاب المقدّس، يظهران أكثر تجلّياً في إنجيل يوحنّا ٦: ٣٢-٣٥. رفض المتكلّمون المسلمون، كالجاحظ أو القاضي عبد الجبّار (ت. ٤١٥/ ١٠٢٤) مثلاً، بسخرية وبشكل مطلق المعنى الحرفي للقربان المقدّس، حيث الخبز والنبيذ يتحوّلان إلى جسد ودم. ويعطي الخبر مع الشرح الملحق به تفسيراً إسلاميّاً مقبولاً لفكرة القربان. نجد أيضاً تفسيراً آخر للخبز في القربان المقدّس في الإنجيل المنحول المنسوب إلى فيليب: انظر Layton, *The Gnostic Scripture*, p. 331 (excerpt 11).

الكليني

١٤٠ قال عيسى بن مريم: إنّ صاحب الشرّ يعدي، وقرين السوء يردي، فانظر من تقارن.

الكليني (ت. ٣٢٩/ ٩٤١)، الأصول من الكافي، ٢: ٦٤٠.

الكليني من أهمّ علماء ومتكلّمي الشيعة، واشتهر بروايته للحديث. عن حياته وأعمال، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*.

الخبر مقفّى، وهذا يعطيه طابعاً شعرياً.

ابن القوطيّة

١٤١ عن المسيح صلّى اللّه عليه وسلّم أنّه قال: من أكرم اللّه من عباده وجبت كرامته على جميع خلقه.

ابن القوطيّة (ت. ٣٦٧/٩٧٧)، تاريخ افتتاح الأندلس، ٦٠ [أسين، ٥٣٩ (رقم ١٠٧)؛ منصور، رقم ٢٣؛ ربسون، ٥١].

ابن القوطيّة من مورّخي فتح الأندلس، وأصله على الأرجح مسيحي غوطي. الخبر يحاكي إنجيل يوحنّا ١٢ : ٢٦.

نصر أبو الليث السمرقندي

١٤٢ ويُقال: مكتوب في الإنجيل: يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، وارضَ بنصرتي لك، فنصرتي لك خير من نصرتك لنفسك.

السمرقندي (ت. ٣٧٣/ ٩٨٣)، تنبيه الغافلين، ٧٣ [أسين، ٥٥٣ (رقم ١٣٣)؛ منصور، رقم ٣٣؛ ربسون، ٧٩].

أبو الليث السمرقندي من القضاة المميّزين. ولا يبدو أنّ هناك من أصل في الأناجيل لهذا الخبر المصاغ بأسلوب الحديث القدسي. ربّما هناك شبه بينه وبين الحوار بين اللّه والنبيّ يونس: انظر سفر يونان ٤ : ١-١١، وأيضاً سفر المزامير.

١٤٣ قال [عيسى لبني إسرائيل]: لا تكافئوا ظالماً بظلم فيبطل فضلكم عند ربّكم.

السمرقندي (ت. ٣٧٣/ ٩٨٣)، تنبيه الغافلين، ٧٥ [أسين، ٥٥٣ (رقم ١٣٤)؛ منصور، رقم ٣٤؛ ربسون، ٥٥].

الخبر يحاكي إنجيل متّى ٥ : ٣٩.

١٤٤ كان في زمن عيسى عليه السلام رجل يسمّى ملعوناً من بخله، فجاءه رجل ذات يوم يريد الغزو فقال: يا ملعون،

أعطني شيئاً من السلاح أستعين به في غزوي وتنجو به من النار؟ فأعرض عنه ولم يعطه شيئاً. فرجع الرجل فندم الملعون فناداه فأعطاه سيفه. فرجع الرجل واستقبله عيسى عليه السلام مع عابد قد عبد اللّه سبعين سنة فقال له عيسى: من أين جئتم بهذا السيف؟ فقال: أعطانيه الملعون. ففرح عيسى بصدقته. فكان الملعون قاعداً على بابه فلمّا مرّ به عيسى عليه السلام مع العابد قال الملعون في نفسه: أقوم وأنظر إلى وجه عيسى وإلى وجه العابد. فلمّا قام ونظر إليهما قال العابد: أنا أفرّ وأعدو من هذا الملعون قبل أن يحرقني بناره. فأوحى اللّه عزّ وجلّ إلى عيسى عليه السلام: أن قل لعبدي هذا المذنب إنّي غفرت له بصدقته بالسيف وبحبّه إيّاك. وقل للعابد: إنّه رفيقك في الجنّة. فقال العابد: واللّه ما أريد الجنّة معه ولا أريد رفيقاً مثله. فأوحى اللّه عزّ وجلّ إلى عيسى عليه السلام: أن قل لعبدي، إنّك لم ترضَ بقضائي وحقّرت عبدي فإنّي قد جعلتك ملعوناً من أهل النار، وبدّلت الذي لك في الجنّة من الذي له في النار وأعطيت منازلك في الجنّة لعبدي ومنازله في النار لك.

السمرقندي (ت. ٣٧٣/ ٩٨٣)، تنبيه الغافلين، ١١٤ [أسين، ٥٥٤-٥٥٥ (رقم ١٣٧)؛ منصور، رقم ٣٧؛ ربسون، ١٠٩-١١٠]. انظر أيضاً أبو نعيم الإصبهاني، حلية الأولياء، ٨: ١٤٧ (اختلاف بسيط)؛ القشيري، الرسالة، ٧٣ (اختلاف بسيط)؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤: ١٥٠ (اختلاف بسيط) [أسين، ٣٩٥ (رقم ٦٧)؛ منصور، رقم ١٤٩؛ ربسون، ٩٩-١٠٠]؛ ابن قدامة، كتاب التوّابين، ٨٠-٨١.

خبر بمغزى أخلاقي حيث كلّ شخصيّة لها صفة رمزية. فهناك

الملعون المدان الجشع. وهناك أيضاً المجاهد التقي الزاهد الصالح المغترّ بنفسه. وبينهما نجد المسيح الذي يوحي إليه اللّه المصير المحتوم لكلّ من الشخصيّتين. ومن الآن فصاعداً، نجد أمثالاً كهذه عن المسيح تتكرّر باطراد، لكن أصلها يظلّ مجهولاً. من منظار معيّن، الخبر يحاكي قصّة الفريسيّ مع محصّل الجزية في إنجيل لوقا ١٨ : ٩-١٤. لكن المغزى الإسلاميّ واضح جدّاً، في مقدّمته تأتي أهمّيّة الجهاد، ثمّ إمكانية الغفران أو الإدانة. أن يكون المرء صالحاً بعين نفسه هي ميزة مدانة في الأناجيل كما في القرآن. القصّة نفسها تندرج في خانة الوعظ، فالإسهاب يجعلها كجزء من خطبة.

١٤٥ مرّ [عيسى بن مريم عليهما السلام] بقرية وفي تلك القرية قصّار فقال أهل القرية: يا عيسى، إنّ هذا القصّار يمزّق علينا ثيابنا ويحسبها، فادعُ اللّه أن لا يردّه برزمته. فقال عيسى عليه السلام: اللهمّ لا تردّه برزمته. قال: فذهب القصّار لقصر الثياب ومعه ثلاثة أرغفة. فجاءه عابد كان يتعبّد في تلك الجبال وسلّم على القصّار وقال: أهل عندك خبز تطعمني أو تريني حتّى أنظر إليه وأشمّ ريحه، فإنّي لم آكل الخبز منذ كذا وكذا؟ فأطعمه رغيفاً. فقال: يا قصّار، غفر اللّه لك ذنبك وطهّر قلبك. فأعطاه الثاني، فقال: يا قصّار، غفر اللّه لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر. قال: فأطعمه الثالث، فقال: يا قصّار، بنى اللّه لك قصراً في الجنّة. فرجع القصّار من العشي سالماً. فقال أهل القرية: يا عيسى، هذا القصّار قد رجع. فقال: ادعوه. فلمّا أتاه قال: يا قصّار، أخبرني بما عملت اليوم. فقال: أتاني سيّار من سيّار تلك الجبال فاستطعمني فأطعمته ثلاثة أرغفة، فبكلّ رغيف أطعمته دعا

لي بدعوات. فقال عيسى عليه الصلاة والسلام: هات رزمتك حتّى أنظر إليها. فأعطاه، ففتحها فإذا فيها حيّة سوداء ملجّمة بلجام من حديد فقال عيسى عليه السلام: يا أسود. قال: لبّيك يا نبيّ اللّه. قال: ألست قد بُعثت إلى هذا؟ قال: نعم، ولكن جاءه سيّار من تلك الجبال فاستطعمه، فبكلّ رغيف أطعمه دعا له بدعوة وملكٍ قائم يقول آمين. فبعث اللّه تعالى إليّ ملكاً من الملائكة فألجمني بلجام من حديد. فقال عيسى عليه السلام: يا قصّار، استأنف العمل فقد غفر اللّه لك ببركة صدقتك عليه.

السمرقندي (ت. ٣٧٣/ ٩٨٣)، تنبيه الغافلين، ١١٦ [أسين، ٥٥٥- ٥٥٦ (رقم ١٣٨)؛ منصور، رقم ٣٨؛ ربسون، ١١١-١١٢].

المغزى الأساسي هنا أيضاً هو الأخلاق، والخبر شبيه من حيث المنحى والشكل بالخبر السابق رقم ١٤٤. والعنصر الأساسي فيه توبة المخطئ. أمّا القصّارون فهم كانوا منظّفي الثياب (الكوّاء) في العالم القديم. ومهنة القصارة في العصور الإسلاميّة الماضية كانت من أكثر المهن حقارةً. وصورة الأفعى ـ الحكيمة لها شبيهات في الأناجيل: انظر مثلاً إنجيل متّى ١٠: ١٦.

١٤٦ إن كنت تريد صوم ابن العذراء البتول، يعني عيسى بن مريم عليهما السَّلام، فإنّه كان يصوم الدهر كلّه ويأكل الشعير ويلبس الشعر الخشن، وكان حيثما أدركه الليل صفّ قدميه يصلّي حتّى يرى علامة الفجر قد طلعت، وكان لا يقوم مقاماً إلاّ صلّى ركعتين فيه. وإن كنت تريد صوم أمّه، فإنّها كانت تصوم يومين وتفطر يومين.

السمرقندي (ت. ٣٧٣/ ٩٨٣)، تنبيه الغافلين، ١٢٥ [أسين، ٥٥٧ (رقم ١٣٩)؛ منصور، رقم ٣٩؛ ربسون، ٧٤-٧٥].

نجد عادات الصوم عند الكثير من الأنبياء والزهّاد مدوّنة بكثرة في أدبيّات الزهد كأمثلة للتأمّل والعبرة. أمّا كون المسيح يصلّي صلاة المسلمين، فهذا يؤكّد هنا أيضاً كما في حجّه وأعمال أخرى على حقيقة أنّه والأنبياء الآخرين مسلمون.

١٤٧ وفي الإنجيل مكتوب: من يزرع السوء يحصد الندامة.

السمرقندي (ت. ٣٧٣/ ٩٨٣)، تنبيه الغافلين، ١٣٥ (أسين، ٥٥٨ (رقم ١٤٠)؛ منصور، رقم ٤٠؛ ربسون، ٥٥).

انظر تعليق أسين بخصوص أخبار من الكتاب المقدّس شبيهة بهذا الخبر.

١٤٨ وفي الإنجيل مكتوب: يا ابن آدم، كما تَرحم فكذلك تُرحم، وكيف ترجو أن يرحمك اللّه وأنت لا ترحم عباده.

السمرقندي (ت. ٣٧٣/ ٩٨٣)، تنبيه الغافلين، ١٣٩ (أسين، ٥٥٨ (رقم ١٤١)؛ منصور، رقم ٤١؛ ربسون، ٥٥).

انظر تعليق أسين بخصوص أخبار من الأناجيل شبيهة بهذا الخبر.

١٤٩ وعن عيسى بن مريم عليهما السلام قال: ماذا يُغني عن الأعمى حمل السراج ويستضيء به غيره؟ وماذا يغني عن البيت المظلم أن يكون السراج على ظهره؟ وماذا يغني عنكم أن تتكلّموا بالحكمة وما تعملون بها؟

السمرقندي (ت. ٣٧٣/ ٩٨٣)، تنبيه الغافلين، ١٥٦ (أسين، ٥٦٢ (رقم ١٤٤)؛ منصور، رقم ٤٥؛ ربسون، ٥٦).

هنا أيضاً يرد كلام الأناجيل المجازي مفسراً بوضوح.

١٥٠ روي في الخبر أنّ عيسى عليه الصّلاة والسَّلام مرّ بقرية وفي تلك القرية جبل وفي الجبل بُكاء وانتحاب كثير، فقال لأهل القرية: ما هذا البكاء وهذا الانتحاب في هذا الجبل؟ قالوا: يا عيسى، منذ سكنّا هذه القرية نسمع هذا البكاء وهذا الانتحاب بهذا الجبل. فقال عيسى عليه السلام: يا ربّ، ائذن لهذا الجبل أن يكلّمني؟ فأنطق اللّه الجبل فقال: يا عيسى، ما أردت منّي؟ قال: أخبرني ببكائك وانتحابك ما هو؟ قال: يا عيسى، أنا الجبل الذي كانت تُنحت منّي الأصنام التي يعبدونها من دون اللّه، فأخاف أن يُلقيني اللّه تعالى في نار جهنّم فإنّي سمعت اللّه يقول: واتّقوا النار التي وقودها الناس والحجارة (سورة البقرة ٢ : ٢٤). فأوحى اللّه إلى عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام: أن قل للجبل اسكن فإنّي قد أعذته من النار.

السمرقندي (ت. ٣٧٣/ ٩٨٣)، تنبيه الغافلين، ٢١٦ [أسين، ٥٦٤ (رقم ١٤٨)؛ منصور، رقم ٤٩؛ ربسون، ١١٤-١١٥].

خبر غريب من أصل غير معروف. يستنطق المسيح الطبيعة ويظهر أسرارها. والمثير أنّه حتّى الجبال بحاجة إلى التوبة. نجد في سيرة النبيّ محمّد ذكراً لشجر وحجارة ظهرت عليها معالم الحياة وتحادثت معه. في سورة الحشر ٥٩ : ٢١، نجد «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية اللّه». وفي سورة الحجّ ٢٢ : ١٨، «ألم ترَ أنّ اللّه يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس

والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب». انظر أيضاً سورة ص ٣٨: ١٨ حيث الجبال «يسبّحن بالعشي والإشراق». أمّا بخصوص العبارة التي يقولها الجبل ـ «واتّقوا النار التي وقودها الناس والحجارة» ـ فهي من سورة البقرة ٢: ٢٤. وهذا يدلّ على أنّ القيامة ستحلّ على المخلوقات جميعاً، كلّ منها بشكل أو بآخر ستُنفخ فيه الحياة.

١٥١ وروي عن عيسى بن مريم عليه الصلاة السلام أنّه قال: ليس العجب ممّن هلك كيف هلك، لكن ممّن نجا كيف نجا.

السمرقندي (ت. ٣٧٣/٩٨٣)، تنبيه الغافلين، ٢٢٠ (أسين، ٥٦٥ (رقم ١٥٠)؛ منصور، رقم ٥١؛ ربسون، ٥٦).

انظر تعليق أسين بخصوص أخبار من الأناجيل مماثلة لهذا الخبر. ونجد حديثاً شبيهاً جدّاً به يُنسب إلى الحسن البصري: انظر المبرّد، الكامل، ١: ١٥٩.

ابن بابويه القمّي

١٥٢ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قال: مرّ أخي عيسى عليه السلام بمدينة وفيها رجل وامرأة يتصايحان فقال: ما شأنكما؟ قال: يا نبيّ اللّه، هذه امرأتي وليس بها بأس صالحة ولكنّي أحبّ فراقها. قال: فأخبرني على كلّ حال ما شأنها؟ قال: هي خلقة الوجه من غير كبر. قال [لها]: يا امرأة، أتحبّين أن يعود ماء وجهك طريّاً؟ قالت: نعم، قال لها: إذا أكلت فإيّاك أن تشبعي لأنّ الطعام إذا تكاثر على الصدر فزاد في القدر ذهب ماء الوجه. ففعلت ذلك فعاد وجهها طريّاً.

ابن بابويه (ت. ٣٨١/ ٩٩١)، علل الشرائع، ٢: ١٨٤.

ابن بابويه من مشاهير متكلّمي الشيعة وفقهائهم. لا يشبه هذا الخبر والخبران اللاحقان أياً من الأخبار الأخرى في الإنجيل الإسلامي. فهي تُبرز المسيح كطبيب أو مزارع خبير يصف العلاج الناجع لأمراض مختلفة. وكلّ علاج منها مشروح بلغة تعكس تعابير طبّيّة ونظريّات علميّة من فترة ابن بابويه. وفي تلك الفترة أيضاً أصبح الاعتقاد عند المسلمين إجمالاً بخصوص الأنبياء أنّ كلاً منهم أُرسل إلى قوم تميّزوا بمهارة ما؛ وكلّ منهم تخطّى بامتياز طاقات ومهارات عصره. على سبيل المثال، كان النبيّ موسى من أمهر السحرة في عصر شاع فيه السحر، واشتهر النبيّ محمّد بالبيان، والمسيح بشفاء المرضى.

١٥٣ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قال: مرّ أخي عيسى عليه السلام بمدينة وإذا في ثمارها الدود فشكوا إليه ما بهم فقال: دواء هذا معكم وليس تعلمون، أنتم قوم إذا غرستم الأشجار صببتم التراب ثمّ صببتم الماء، وليس هكذا يجب بل ينبغي أن تصبّوا الماء في أصول الشجر ثمّ تصبّوا التراب لكي لا يقع فيه الدود. فاستأنفوا كما وصف فذهب ذلك عنهم.

ابن بابويه (ت. ٣٨١/ ٩٩١)، علل الشرائع، ٢: ٢٦١.

انظر التعليق على رقم ١٥٢.

١٥٤ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قال: مرّ أخي عيسى عليه السلام بمدينة وإذا وجوههم صفر وعيونهم زرق فصاحوا إليه وشكوا ما بهم من العلل فقال: دواؤه معكم، أنتم إذا أكلتم اللحم طبختموه غير مغسول، وليس شيء يخرج من الدنيا إلاّ

بجنابة. فغسلوا بعد ذلك لحومهم فذهبت أمراضهم. و[قال:] مرّ أخي بمدينة وإذا أهلها أسنانهم منتشرة ووجوههم منتفخة فشكوا إليه فقال: أنتم إذا نمتم تطبقون أفواهكم فتغلي الريح في الصدور حتّى تبلغ إلى الفم فلا يكون لها مخرج فتردّ إلى أصول الأسنان فيفسد الوجه، فإذا نمتم فافتحوا شفاهكم وصيّروه لكم خلقاً. ففعلوا فذهب ذلك عنهم.

ابن بابويه (ت. ٣٨١/ ٩٩١)، علل الشرائع، ٢: ٢٦٢.

انظر التعليق على رقم ١٥٢.

أبو الحسن العامري

١٥٥ وقال عيسى بن مريم عليه السلام: الرحيم في الدنيا هو المرحوم في الآخرة.

أبو الحسن العامري (ت. ٣٨١/ ٩٩٢)، السعادة والإسعاد، ٣١١.

العامري فيلسوف وكان له اهتمام خاص بالأخلاق. عن حياته وأعماله، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*.

يبدو أن الخبر إعادة صياغة لإنجيل متّى ٥: ٧.

أبو طالب المكّي

١٥٦ وكان عيسى عليه السلام يقول للدنيا: إليك عنّي يا خنزيرة.

أبو طالب المكّي (ت. ٣٨٦/ ٩٩٦)، قوت القلوب، ١: ٢٤٤ [أسين، ٥٤٥ (رقم ١٢٣)؛ منصور رقم ٢٥؛ ربسون، ٧٤]. انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب ذمّ

الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ١٤٧ (منسوب إلى أحد الزهّاد).

انظر أيضاً رقم ٦٠.

المكّي من مشاهير أهل التصوف. وكتابه قوت القلوب يشتمل على العديد من أقوال المسيح. هنا نعود مرة أخرى إلى الغلو في الزهد.

١٥٧ قال [عيسى]: لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتّى لا يحبّ أن يحمد بعبادة اللّه تعالى ولا يبالي من أكل الدنيا.

أبو طالب المكّي (ت. ٣٨٦/٩٩٦)، قوت القلوب، ١: ٢٥٦. انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤: ٣٧٠ [أسين، ٤١٩ (رقم ٩٤)؛ منصور، رقم ١٧٦؛ ربسون، ٤٩]. والغزالي، منهاج العابدين، ٦٣.

فكرة عدم اكتراث المؤمن الحقيقي بالمدح أو بما يخصّ هذه الدنيا فكرة قريبة من معتقدات أبي طالب المكيّ نفسه، الذي يقال عنها إنّها قاربت الكفر في آخر أيّام حياته.

١٥٨ عن عيسى عليه السلام فيما أوحى اللّه تعالى إليه: يا ابن آدم، إبكِ الحياة بكاء من ودّع الدنيا وارتفعت رغبته إلى ما عند اللّه تعالى. اكتفِ بالبلغة من الدنيا، ليكفك منها الجشب والخشن. بحقّ أقول لك، ما أنت إلاّ بيومك وساعتك مكتوب عليك ما أخذت من الدنيا وفيما أنفقته، فاعمل على حسب هذا فإنّك مسؤول عنه، لو رأيت ما وعدت الصالحين لزهقت نفسك.

أبو طالب المكّي (ت. ٣٨٦/٩٩٦)، قوت القلوب، ١: ٢٥٦ [أسين، ٥٤٥ (رقم ١٢٤)؛ منصور، رقم ٢٧؛ ربسون، ٧٨-٧٩].

الحديث قدسي. الحث على صرف الحياة في البكاء ورفض الدنيا قريب من مفهوم تدمير الذات.

١٥٩ وعن عيسى عليه السلام: المحبّ للّه يحبّ النصب. وروي عنه أنّه مرّ على طائفة من العبّاد قد احترقوا من العبادة كأنّهم الشنان البالية فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن عبّاد. قال: لأيّ شيء تعبّدتم؟ قالوا: خوّفنا اللّه من النار فخفنا منها. فقال: حقّ على اللّه أن يؤمنكم ما خفتم. ثمّ جاوزهم، فمرّ بآخرين أشدّ عبادة منهم فقال: لأيّ شيء تعبّدتم؟ قالوا: شوّقنا اللّه إلى الجنان وما أعدّ فيها لأوليائه فنحن نرجو ذلك. فقال: حقّ على اللّه أن يعطيكم ما رجوتم. ثمّ جاوزهم فمرّ بآخرين يتعبّدون فقال: ما أنتم؟ قالوا: نحن المحبّون للّه لم نعبده خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنّة ولكن حبّاً له وتعظيماً لجلاله. فقال: أنتم أولياء اللّه حقّاً، معكم أُمرت أن أقيم. فأقام بين أظهرهم. وفي لفظ آخر أنّه قال للأوّلين: مخلوقاً خفتم ومخلوقاً أحببتم، وقال لهؤلاء: أنتم المقرّبون.

أبو طالب المكّي (ت. ٣٨٦/ ٩٩٦)، قوت القلوب، ٢: ٥٦ [أسين، ٤١١ (رقم ٨٤ب)؛ منصور، رقم ٣٠]. انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤: ٢٨٨ [أسين، ٤١٠-٤١١ (رقم ٨٤)؛ منصور، رقم ١٦٦؛ ربسون، ١٠٠]؛ وإحياء علوم الدين، ٤: ٢٩٨.

مفهوم حبّ اللّه من غير أنانية، لا خوفاً من النار ولا طمعاً بالجنّة، نشره المتصوّفة الأوائل، منهم على سبيل المثال الزاهدة رابعة العدويّة.

إخوان الصفاء

١٦٠ قال [المسيح عليه السلام] للحواريين في وصيّة لهم: إذا فعلتم ما فعلت وما قلت لكم تكونون معي غداً في ملكوت

السماء عند أبي وأبيكم وترون ملائكته حول عرشه تعالى يسبّحون بحمده ويقدّسونه وأنتم هناك ملتذّون بجميع اللذّات بلا أكل ولا شرب.

إخوان الصفاء (القرن الرابع/ العاشر)، رسائل إخوان الصفاء، ٣: ٩١-٩٢ [أسين، ٥٩٥ (رقم ٢١٤)؛ منصور، رقم ٥٣؛ ربسون، ٩٣].

كان إخوان الصفاء مجموعة من الفلاسفة والعلماء الأفلاطونيّين الجدد (Neo-Platonist) من القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، وقد أنتجوا موسوعة من المعرفة أسموها «الرسائل»، دوّنوا فيها معتقداتهم عن مواضيع شتّى كالفلسفة والدين والأخلاق والعلم. لمزيد من المعلومات عنهم، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*.

جوهر الخبر مأخوذ من إنجيل لوقا ٢٣: ٤٣.

١٦١ مرّ [المسيح] بقوم من القصّارين خارج المدينة فوقف عليهم فقال لهم: أرأيتم هذه الثياب، إذا غسلتموها ونظّفتموها وبيضتموها، هل تجوزون أن يلبسها أصحابها وأجسادهم ملوّثة بالدم والبول والغائط ولون القاذورات؟ قالوا: لا، ومن فعل ذلك كان سفيهاً. قال: فعلتموها أنتم. قالوا: كيف؟ قال: لأنّكم نظّفتم أجسادكم وبيّضتم ثيابكم ولبستموها ونفوسكم ملوّثة بالجيف، مملوءة قاذورات من الجهالة والعماء والبكم وسوء الأخلاق والحسد والبغضاء والمكر والغشّ والحرص والبخل والقبح وسوء الظنّ وطلب الشهوات الرديئة، وأنتم في ذلّ العبوديّة أشقياء لا راحة لكم إلاّ الموت والقبر. فقالوا: كيف نعمل، هل لنا بدّ من طلب المعاش؟ قال: فهل لكم أن ترغبوا

في ملكوت السماء حيث لا موت ولا هرم ولا وجع ولا سقم ولا جوع ولا عطش ولا خوف ولا حزن ولا فقر ولا حاجة ولا تعب ولا عناء ولا غمّ ولا حسد بين أهلها ولا بغض ولا تفاخر ولا خيلاء، بل إخوان على سرر متقابلين فرحين مسرورين في روح وريحان ونعمة ورضوان وبهجة ونزهة، يسيحون في فضاء الأفلاك وسعة السموات ويشاهدون ملكوت ربّ العالمين ويرون الملائكة حول عرشه صافّين يسبّحون بحمد ربّهم بنغمات وألحان لم يسمع بمثلها إنس ولا جانّ، وتكونون أنتم معهم خالدين لا تهرمون ولا تموتون ولا تجوعون ولا تعطشون ولا تمرضون ولا تخافون ولا تحزنون.

إخوان الصفاء (القرن الرابع/العاشر)، رسائل إخوان الصفاء، ٤: ٩٥-٩٦ [أسين، ٥٤٧ (رقم ١٢٧)؛ منصور، رقم ٥٤؛ ربسون، ٥٢-٥٤].

بخصوص القصّارين ومهنة القصارة، انظر رقم ١٤٥. الخطبة طويلة ونجد فيها أثراً كبيراً لآراء إخوان الصفاء. في البدء، هناك مفهوما الباطن والظاهر، وهما أساسيّان في تمييز الأشياء وفقاً لأسلوب التفسير المجازي عند إخوان الصفاء. ثانياً، هناك التعداد المسهب لأنواع القذارة التي تحويها النفس، وهو أمر جوهري في أخلاقيّات إخوان الصفاء وقريب من الأوصاف الذي استخدموها. ثالثاً، هناك موضوع العبوديّة، بالتحديد التقليد الأعمى لعلماء الدين الذي هاجمه إخوان الصفاء لكونه أصل كل فساد.

١٦٢ كان ممّا يقوله المسيح للحواريّين: إنّما جئتكم من عند أبي وأبيكم لأحييكم من موت الجهالة، وأداويكم من مرض المعاصي، وأبرئكم من مرض الآراء الفاسدة والأخلاق الرديئة

والأعمال السيّئة كيما تتهذّب نفوسكم وتحيا بروح المعارف، وتصعدوا إلى ملكوت السماء عند أبي وأبيكم فتعيشوا هناك عيش السعداء، وتتخلّصوا من سجن الدنيا وآلام عالم الكون والبلى التي هي دار الأشقياء وجور الشياطين وسلكان إبليس.

إخوان الصفاء (القرن الرابع/العاشر)، رسائل أخوان الصفاء، ٤: ١٧٢ [أسين، ٥٥١ (رقم ١٢٩)؛ منصور، رقم ٥٦؛ ربسون، ٨٩-٩٠].

التعابير المستخدمة هنا تعكس أيضاً الآراء العامّة لإخوان الصفاء. مثلاً، «موت الجهالة» و«سجن الدنيا» و«عالم الكون والبلى».

أبو حيّان التوحيدي

١٦٣ خرج عيسى عليه السلام على الحواريّين فرآهم يضحكون فقال: لا يضحك من خاف. فقالوا: يا روح اللّه، مزحنا. فقال: لا يمزح من تمّ عقله.

أبو حيّان التوحيدي (ت. ٤٠٠/ ١٠١٠)، البصائر والذخائر، ١: ٢١.

أبو حيّان التوحيدي من العلماء اللامعين وكانت له اهتمامات متعدّدة في الأدب والفلسفة والتصوّف. عن حياته وأعماله، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*.

في الخبر نجد المسيح مجدّداً في مزاج بائس؛ انظر أيضاً رقمي ١٢٤ و٢٧٢. هناك قصّة مشابهة لهذه منسوبة إلى النبيّ محمّد: انظر ابن المبارك، كتاب الزهد، ٣١٢ (رقم ٨٩٢). وروي أيضاً عن الحسن البصري أنّه كان يكره الضحك: انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧: ١٧٠-١٧١.

١٦٤ قال المسيح عليه السلام: يا معشر الحواريّين، إنّي

بطحت لكم الدنيا على بطنها وأقعدتكم على ظهرها، فإنّما ينازعكم فيها اثنان الملوك والشياطين. فأمّا الشياطين فاستعينوا عليهم بالصبر والصلاة. وأمّا الملوك فخلوا لهم دنياهم يخلوا لكم آخرتكم.

أبو حيّان التوحيدي (ت. ٤٠٠/ ١٠١٠)، البصائر والذخائر، ١: ٢٣. انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيد المسيح، ١٤٣-١٤٤ (رقم ١٤٢).

رأينا عدّة جوانب من هذا الخبر المركّب في أخبار سالفة. العنصر الجديد هنا هو ربط الملوك والشياطين معاً. قارن أيضاً برقم ١٠٦.

١٦٥ قال عيسى بن مريم عليه السلام: لو لم يُعذِّب اللّه تعالى على معصيته لكان ينبغي أن لا يُعصى شكراً على نعمته.

أبو حيّان التوحيدي (ت. ٤٠٠/ ١٠١٠)، البصائر والذخائر، ٢/٢: ٤٢٣. انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٣: ٧٨ (منسوب إلى رجل من أهل الحكمة)؛ والآبي، نثر الدرّ، ٧: ٢٨.

صياغة لاهوتيّة بارعة، تستهدف على الأرجح المؤمن العالم.

١٦٦ قال عيسى بن مريم: هول لا تدري متى يغشاك، ما يمنعك أن تستعدّ له قبل أن يفجأك.

أبو حيّان التوحيدي (ت. ٤٠٠/ ١٠١٠)، البصائر والذخائر، ٣/١: ١٨١.

الأهوال المشار إليها هنا هي بالتأكيد أهوال يوم القيامة.

١٦٧ قال عيسى بن مريم عليه السلام: كن في الدنيا ضيفاً واتّخذ المسجد بيتاً.

أبو حيّان التوحيدي (ت. ٤٠٠/ ١٠١٠)، البصائر والذخائر، ٣/٢: ٤٤٠.

انظر رقم ١١.

١٦٨ قال المسيح عليه السلام: كلّ قتيل يُقتصّ له يوم القيامة إلاّ قتيل الدنيا، فإنّه يُقتصّ منه لها.

أبو حيّان التوحيدي (ت. ٤٠٠/ ١٠١٠)، البصائر والذخائر، ٧: ١٤٧.

«قتيل» الدنيا هو بالتأكيد من يستسلم لإغوائها.

١٦٩ وعظ عيسى عليه السلام بني إسرائيل فبكوا وأقبلوا يمزّقون الثياب فقال: ما ذنب الثياب؟ أقبلوا على القلوب فعاتبوها.

أبو حيّان التوحيدي (ت. ٤٠٠/ ١٠١٠)، البصائر والذخائر، ٧: ٢٢٦.

يوجد بعض الشبه بين هذا الخبر ورقم ٧٩.

١٧٠ قال عيسى بن مريم عليه السلام لتلامذته: علامتكم التي تُعرفون بها أنّكم منّي أن يودّ بعضكم بعضاً. وقال عيسى أيضاً ليشوع تلميذه: أمّا الربّ، فينبغي أن تحبّه بكلّ قلبك، ثمّ تحبّ قريبك كما تحبّ نفسك. قيل له: بيّن لنا يا روح اللّه ما بين هاتين المحبّتين حتّى نستعدّ لهما بتبصرة وبيان. قال: إنّ الصديق تحبّه لنفسك والنفس تحبّها لربّك، فإذا صنت صديقك فلنفسك تصون وإذا جدت بنفسك فلربّك تجود.

أبو حيّان التوحيدي (ت. ٤٠٠/ ١٠١٠)، رسالة في الصداقة والصديق، ٦٤ [أسين، ٥٥١ (رقم ١٣٠)؛ منصور، رقم ٥٧؛ ربسون، ٥٤].

يربط الخبر عدّة عناصر من الأناجيل. بخصوص ذلك، انظر تعليق أسين. هنا أيضاً، الجزء الأخير من الخبر هو تعليق يهدف إلى إبراز

المغزى الكامل لوصيّة المسيح لتلاميذه، كما في الكثير من الأخبار في هذا المجلّد.

أبو سعد الخركوشي

١٧١ قال عيسى بن مريم عليه السلام: استحيوا من اللّه عزَّ وجلَّ في سريرتكم كما تستحيون منه في علانيتكم.

أبو سعد الخركوشي (ت. ٤٠٦/ ١٠١٥)، نقلاً عن [أسين، ٥٦٩ (رقم ١٦١)؛ منصور، رقم ٥٩؛ ربسون، ٩١].

أبو سعد الخركوشي، الذي أخذ منه أسين هذا الخبر والثلاثة التي تليه، متصوّف واعظ؛ عرّفه أسين خطأً بكنية أبو سعيد. العمل المأخوذة منه هذه الأخبار هو مخطوط لم يحقّق بعد على حد علمي. بخصوص حياة وأعمال الخركوشي، انظر فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلّد الأوّل، الجزء الرابع؛ انظر أيضاً:

A. J. Arberry, «Khargushi's Manual of Sufism», in *Bulletin of the School of Oriental Studies 9* (1937-1939), pp. 345-349.

ومررنا في أخبار سابقة على مفهومي السريرة والعلانية المذكورين في هذا الخبر.

١٧٢ قال عيسى عليه السلام: مثل الدنيا في الآخرة كمثل رجل له ضرّتان، إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى.

أبو سعد الخركوشي (ت. ٤٠٦/ ١٠١٥)، نقلاً عن [أسين، ٥٦٩ (رقم ١٦٢)؛ منصور، رقم ٦٠؛ ربسون، ٧٦]. انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣: ١٨؛ وابن أبي الدنيا، كتاب ذمّ الدنيا (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٢: ٦٥ (منسوب إلى وهب بن منبّه).

يحاكي الخبر إنجيل مرقس ١٢: ١٨-٢٦. وعلى الرغم من أنّ

التفسير الشائع للآية القرآنيّة في سورة النساء ٤ : ٣ يعطي الرجل الحقّ بالزواج من أكثر من امرأة على أن لا يتعدّى ذلك الأربع معاً، فكثيراً ما يُقال إن تعبير «ضرّة»، أي الزوجة الأخرى، مأخوذ من الجذر «ضرر».

١٧٣ قال عيسى بن مريم عليه السلام: إنّما زلّت الأقدام ثلاثة أشياء، قلّة الشكر على مواهب اللّه تعالى، وخوف غير اللّه، وأمل المخلوقين.

أبو سعد الخركوشي (ت. ٤٠٦/ ١٠١٥)، نقلاً عن [أسين، ٥٦٩ (رقم ١٦٣)؛ منصور، رقم ٦١؛ ربسون، ٥٧].

يتردّد مفهوم «قلّة الشكر» بكثرة في القرآن للتعبير عن ندرة امتنان الإنسان لخالقه. وعبارة «خوف غير اللّه» تحاكي سورة الزمر ٣٩: ٣٦.

١٧٤ روي عن عيسى بن مريم عليه السلام أنّه مرّ برجل مبتلى فرقّ له فقال: اللهمّ إنّي أسألك أن تعافيه. فأوحى اللّه تعالى إليه: كيف أعافيه، ممّا به أعافيه!

أبو سعد الخركوشي (ت. ٤٠٦/ ١٠١٥)، نقلاً عن [أسين، ٥٧٠ (رقم ١٦٤)؛ منصور، رقم ٦٣؛ ربسون، ١١٦]. انظر أيضاً القشيري، الرسالة، ١٠٢ (اختلاف بسيط ومنسوب إلى نبيّ).

ربّما يهدف هذا الخبر الغريب إلى إبراز أهميّة الصبر عند البلاء كطريق إلى تطهير النفس.

الراغب الأصفهاني

١٧٥ قيل للمسيح: ما بال المشايخ أحرص على الدنيا من الشبّان؟ فقال: لأنّهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشبّان.

الراغب الأصفهاني (ت. أوائل القرن الخامس/ الحادي عشر)، محاضرات الأدباء، ١: ٥٢٥.

الراغب الأصفهاني مؤلّف أحد أشهر كتب الأدب. والكتاب مبوّب وفقاً للمواضيع، واستخدم بشكل كثيف في الأوساط الأدبيّة. في القرآن، كان الحرص على الحياة في هذه الدنيا من ميزات بعض الوثنيّين العرب قبل الإسلام، الذين قيل عنهم إنّهم كانوا يتمنّون العيش ألف سنة: انظر سورة البقرة ٢: ٩٦.

١٧٦ قال المسيح: ألحم تأكل لحماً؟ أفٍّ لهذا عملاً.

الراغب الأصفهاني (ت. أوائل القرن الخامس/ الحادي عشر)، محاضرات الأدباء، ١: ١٦٠. انظر أيضاً الآبي، نثر الدرّ، ٧: ٣١؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٣: ٢١٧ (منسوب إلى رجل).

خبر غريب، يشدّد على تفادي أكل اللحم. وله شبه قريب في الإنجيل المنحول المنسوب إلى توما: انظر

Layton, *The Gnostic Scripture,* p. 395 (no. 87), and 399 (no. 112).

وربّما كان أيضاً معروفاً في الأدبيّات السريانيّة: انظر

Budge, *The Laughable Stories,* p. 31 (no. 131).

١٧٧ قال عيسى: يا ربّ، من أشرف الناس؟ قال: من إذا خلا علم أنّي ثانيه فأجلّ قدري عن أن يشهدني معاصيه.

الراغب الأصفهاني (ت. أوائل القرن الخامس/ الحادي عشر)، محاضرات الأدباء، ٢: ٤٠٢.

يوجد بعض الشبه بين هذا الخبر وإنجيل متّى ١٨: ٢٠ وإنجيل يوحنّا ٨: ١٦.

مسكويه

١٧٨ روي أنّ عيسى عليه السلام قال لرجل لا يستحقّ: حفظك اللّه. فقيل له: أتقول هذا لمثل هذا؟ فقال: لسان عوّد الخير فهو ينطق به لكلّ أحد.

مسكويه (ت. ٤٢١/١٠٣٠)، الحكمة الخالدة، ١٣٢.

كان مسكويه من كبار الفلاسفة والمؤرّخين، وشغل مناصب هامّة كرجل دولة. عن حياته وأعماله، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*، وأيضاً

Tarif Khalidi, *Arabic Historical Thought in the Classical Period* (Cambridge: Cambridge University Press, 1994), pp. 170-176.

كتاب الحكمة الخالدة المأخوذ منه هذا الخبر والخبران التاليان له هو مجموعة من الحكم المنقولة عن مصادر إسلاميّة وغير إسلاميّة. بخصوص عظة مماثلة لهذه، انظر رقم ١٢٨.

١٧٩ قال المسيح عليه السلام: ليحذر من يستبطئ اللّه في الرزق أن يغضب عليه فيفتح الدنيا له.

مسكويه (ت. ٤٢١/١٠٣٠)، الحكمة الخالدة، ١٥٦. انظر أيضاً ابن ماجة، سنن (كتاب الفتن)، ٢: ١٣٢٥ (رقم ٣١٩٧).

هناك شبه بين هذا الخبر وحديث عند ابن ماجة منسوب إلى النبيّ محمّد يقول فيه: «أبشروا وآملوا ما يسرّكم، فواللّه ما الفقر أخشى عليكم ولكنّي أخشى عليكم أن تُبسَط الدنيا عليكم كما بُسِطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم».

١٨٠ قال عيسى عليه السلام: أتريدون الدنيا للبرّ؟ فترك الدنيا أبرُّ لكم.

مسكويه (ت. ٤٢١/ ١٠٣٠)، الحكمة الخالدة، ١٩٢.

الآبي

١٨١ قال الحواريون لعيسى عليه السلام: ما تقول في الأمراء؟ قال: إنّ أمرهم جُعل لكم فتنة، فلا يدخلنّكم حبّهم في معصية اللّه، ولا يخرجنّكم بغضهم من طاعة اللّه. أدّوا إليهم حقوقهم تخلصوا من شرّهم ويسلم لكم دينكم.

الآبي (ت. ٤٢١/ ١٠٣٠)، نثر الدرّ، ٧: ٣٣.

الآبي أديب ورجل دولة شيعي خدم الدولة البويهيّة التي حكمت غرب إيران والعراق بين ٩٤٥ و١٠٥٥ للميلاد. وقد تم تحقيق كتابه نثر الدر، والذي منه جاء هذان الخبران، حديثاً، ودوره وأهميّته في تاريخ الأدب العربي آخذان بالازدياد. الحث على ضرورة معرفة التصرف السليم حيال الأمراء يتردد بكثرة في الإنجيل الإسلاميّ، كما رأينا سابقاً. ومقارنة الأمراء بـ «الفتنة» توحي أنّهم شرّ لا بدَّ منه، أو على أقلّ تقدير يجب معاملتهم بحذر شديد. ونلاحظ أنّ العدائيّة نحو الأمراء الغالبة في الفترة السابقة لعصر الآبي هدأت بعض الشيء، واستبدلت بقبولهم كواقع لا مفرّ منه، وهو ما يركّز عليه هذا الخبر.

١٨٢ كان عيسى عليه السلام يقول: كثرة الطعام تُميت القلب كما تميت كثرة الماء الزرع.

الآبي (ت. ٤٢١/ ١٠٣٠)، نثر الدرّ، ٧: ٣٥.

يظهر المسيح الطبيب إلى الواجهة مجدّداً: انظر الأرقم ١٥٢، ١٥٣ و١٥٤. ولسبب ما لا يمكن تحديده، يبدو أنّ الأدبيّات الشيعيّة تحوي عدداً كبيراً من الأخبار والقصص التي تبرز المسيح كطبيب

يداوي علل وأمراض الإنسان والطبيعة، الخبر له أيضاً شبه في الأدبيات السريانيّة: انظر Budge, *The Laughable Stories*, p. 32 (no. 134)، المنسوب إلى حكيم عبراني.

أبو نعيم الإصبهاني

١٨٣ عيسى عليه السلام قال لأصحابه: أجيعوا أنفسكم وأظمئوها وأعروها وأنصبوها لعلّ قلوبكم أن تعرف اللّه عزّ وجلّ.

أبو نعيم الإصبهاني (ت. ٤٣٠/١٠٣٨)، حلية الأولياء، ٢: ٣٧٠ [منصور، رقم ٦٥]. انظر أيضاً الغزالي، إحياء علوم الدين، [أسين، ٣٦١ (رقم ٢١)؛ منصور، رقم ١٠٦؛ ربسون، ٦٣].

أبو نعيم هو مؤلّف أحد أوائل وأهمّ كتب تراجم الأولياء في الإسلام، أي المتصوّفة والزهّاد والعبّاد من رجال ونساء. عن حياته وأعماله، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*.

تشبه العادة المرغّب فيها في هذا الخبر الكثير من الأخلاق التي مررنا عليها في بعض الأخبار السابقة. وهي بالتأكيد نموذجيّة في مذهب أهل التصوّف.

١٨٤ قال عيسى عليه السلام: من عمل بغير مشورة باطلاً يتعنّى.

أبو نعيم الإصبهاني (ت. ٤٣٠/١٠٣٨)، حلية الأولياء، ٥: ٢٣٧ [منصور، رقم ٧٢].

يبدو أنّ هذا الخبر ينتمي إلى النفس الأدبي، وبشكل أشمل أدبيّات الحكمة في الشرق الأدنى القديم: انظر مثلاً سفر الأمثال ١٥ : ٢٢.

١٨٥ المسيح عليه السلام كان يقول لأصحابه: إن استطعتم أن تكونوا بلهاً في اللّه مثل الحمام فافعلوا. وكان يقول: ليس شيء أبله من الحمام، إنّك تأخذ فرخيه من تحته فتذبحهما ثمّ يعود إلى مكانه فيفرخ فيه.

أبو نعيم الإصبهاني (ت. ١٠٣٨/٤٣٠)، حلية الأولياء، ٥: ٢٣٩ [أسين، ٥٦٧ (رقم ١٥٧)؛ منصور، رقم ٧٤؛ ربسون، ٥٧]. انظر أيضاً الجاحظ، البيان والتبيين، ٢: ٢٤٢؛ الجاحظ، الحيوان، ٣: ١٨٩-١٩٠ (في الحالتين الجزء الأوّل من الخبر، وغير منسوب إلى عيسى)؛ الدينوري، كتاب المجالسة، ٥: ٢٤٧-٢٤٨ (رقم ٢٠٨٤: مختلف قليلاً).

الأساس من إنجيل متّى ١٠: ١٦، لكنه مطعّم بتعليق عن الحمام. ونجد في كتاب الحيوان للجاحظ بضع صفحات معقودة للكلام على بَلَه الحمام.

١٨٦ ذُكر واللّه أعلم أنّ عيسى عليه السلام مرّ ذات يوم بوادٍ يُقال له وادي القيامة فإذا هو بجمجمة بيضاء قد نُخرت عظامها فأعجبه بياضها وقد مات صاحبها منذ اثنتين وسبعين سنة، فقال عيسى عليه السلام: اللهمّ، إنّي أسألك يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون أن تأذن لهذه الجمجمة أن تخبرني من أيّ أمّة كانت؟ فأوحى اللّه إليه: يا عيسى، كلِّمها تكلّمك بقدرتي وأنا على كلّ شيء قدير. قال: فتوضّى عيسى عليه السلام وصلّى ركعتين ودنا منها وقال: بسم اللّه الرحمن الرحيم. فأجابته الجمجمة بلسان طليق وهي تقول: يا روح اللّه، لقد سمّيت على خير الأسماء. فقال لها عيسى عليه السلام: سألتك باللّه العظيم، إلاّ أخبرتني أين الحسن والبياض،

وأين اللحم والشحم، وأين العظام والروح؟ فقالت له: يا روح اللّه، أمّا الحسن والبياض فقد غيّرها التراب، وأمّا اللحم والشحم فقد أكلها الدود، وأما العظام فقد نخرت، وأمّا الروح فهو اليوم عند النار في عذاب شديد. فقال لها عيسى عليه السلام: سألتك باللّه العظيم، من أيّ أمّة كنت؟ فقالت له: يا روح اللّه، أنا من أمّة سخط اللّه عليها في دار الدنيا. فقال لها: كيف سخط اللّه عليكم في دار الدنيا؟ فقالت: يا روح اللّه، أرسل اللّه إلينا نبيّاً جاءنا بالصدق فكذّبناه، وأمرنا بطاعة اللّه فعصيناه، فأنزل اللّه علينا المطر سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيّام بالصواعق، فلمّا كان ذات يوم نزل علينا ملائكة من ملائكة العذاب ومع كلّ ملك منهم سوطان، سوط من حديد وسوط من نار، فما زال الملك يقبض روحي من مفصل إلى مفصل ومن عرق إلى عرق حتّى بلغ الروح الحلقوم. قالت الجمجمة: فعند ذلك مدّ يده ملك الموت فأخرج روحي. فقال لها عيسى عليه السلام: سألتك باللّه العظيم، إلاّ ما وصفت لي ملك الموت. فقالت له: يا روح اللّه، له يد بالمشرق ويد بالمغرب، ورأسه في أعلى علّيّين ورجلاه في تخوم الأرضين السابعة السفلى، والدنيا بين ركبتيه، والخلائق بين عينيه. قالت: يا رسول اللّه، ثمّ لم تلبث إلاّ ساعة إذ أتاني ملكان أسودان أزرقان، كلامهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف، يقطّان في شعورهما ويخرّان الأرض بأنيابهما فقالا لي: من ربّك ومن نبيّك ومن إمامك؟ ففزعت منهما يا روح اللّه وقلت لهما: ما لي ربّ ولا

نبيّ ولا إمام سوى اللّه. فقالا لي: كذبت يا عدوّ اللّه وعدوّ نفسك. وضربوني بمرزبة من حديد ضربة شديدة حسست من شدّة الضربة عظامي قد تكسّرت ولحمي قد تمزّق، وألقوني في قعر جهنّم وعذّبوني فيها ما شاء اللّه، فبينما أنا كذلك إذا بالحافظين الكاتبين اللذين يكتبان أعمال الخلايق في دار الدنيا فقالا لي: يا عدوّ اللّه سر معنا إلى منازل أهل الجنّة. قالت: فسرت معهما إلى أوّل باب من أبواب الجنّة فإذا بالجنّة لها ثمانية أبواب بنيانها لبنة ذهب ولبنة فضّة، ترابها المسك وحشيشها الزعفران وحصاها الدرّ والياقوت، أنهارها اللبن والماء والعسل، سكّانها الجواري والكواعب الأتراب المقصورات في الخيام صنع ذي الجلال والإكرام. ففرحت بها يا روح اللّه فقالا لي: عدوّ اللّه وعدوّ نفسه، لم تصنع خيراً في الدنيا فيكون لك هذا، ولكن سرْ معنا إلى منازل أهل النار. قالت: فسرت معهما إلى أوّل باب من أبواب أهل النار تصفّر فيه الحيّات والعقارب، فقلت لهما: لمن هذا العذاب؟ فقالا لي: لك وللذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً. قالت: ثمّ سرت معهما إلى الباب الثاني فإذا رجال معلّقون من لحائهم مثل الكلاب تعلف من بين أيديهم دماً وقيحاً فقلت لهما: لمن هذا العذاب؟ فقالا لي: لك وللذين يشربون الخمر في دار الدنيا ويأكلون الحرام. قالت: ثمّ سرت معهما إلى الباب الثالث فإذا برجال تدخل النار من أفواههم وتخرج من أدبارهم فقلت: لمن هذا العذاب؟ فقالا لي: لك وللذين يرمون المحصّنات في دار الدنيا. قالت: ثمّ سرت

معهما إلى الباب الرابع فإذا بنساء متعلّقات من ألسنتهنّ والنار تخرج من أفواههنّ فقلت لهما: لمن هذا العذاب؟ فقالا لي: لك وللذين هم تاركون الصلاة في دار الدنيا. قالت: ثمّ سرت معهما إلى الباب الخامس فإذا بنساء متعلّقات من شعورهنّ والنار من فوقهنّ فقلت لهما: لمن هذا العذاب؟ فقالا لي: لك وللذين يتزيّنون لغير أزواجهنّ في دار الدنيا. قالت: ثمّ سرت معهما إلى الباب السادس فإذا بنساء معلّقات من شعورهنّ وأفواههنّ فقلت لهما: لمن هذا العذاب؟ فقالا لي: لك وللطيّحات في دار الدنيا. قالت: ثمّ سرت معهما إلى الباب السابع فإذا برجال وتحتهم بئر يقال لها بئر الفلق، فأُرميت فيها يا روح اللّه وأنا في شدّة العذاب ورأيت من الأهوال كثيراً. فقال عيسى عليه السلام: اسأليني إن شئت بإذن اللّه يا جمجمة. فقالت: يا روح اللّه، ادعُ اللّه لي أن يردّني إلى دار الدنيا. فدعا اللّه لها فأحياها له وردّها له [بشراً] سويّاً بقدرة اللّه سبحانه. فمكثت اثنتي عشرة سنة تعبد اللّه مع عيسى عليه السلام حتّى أتاها اليقين وهو الموت وماتت على الإيمان وجعلها اللّه من أهل الجنّة برحمته.

أبو نعيم الإصبهاني (ت. ٤٣٠/١٠٣٨)، حلية الأولياء، ٦: ١٠-١٢ [أسين، ٤٢٦-٤٢٨ (رقم ١٠٢هـ)؛ منصور، رقم ٢٦٣؛ ربسون، ١٠٢-١٠٧].

خبر طويل ومتشابك. سنمر على خبرين لاحقين يأتي فيهما ذكر لجمجمة: انظر رقمي ٢٣٤ و٢٤٨. ونجد شبيهاً له في قصّة الربّاني هلال والجمجمة: انظر Hertz, *Sayings of the Fathers*, p. 28 (no. 7).

والصلاة التي صلاّها المسيح من صلب الإيمان الإسلامي، كذلك الوضوء، كأنّهما يعيدان التأكيد على أنّ المسيح نبيّ مسلم. ونجد الأمر

ذاته أيضاً في تلفّظه بالبسملة. أمّا الرقم اثنان وسبعون، فهو يتردّد بكثرة في الحديث النبوي. يحاكي المطر النازل بالصواعق الكثير من الآيات القرآنيّة، مثلاً سورة الأعراف ٧: ٨٤. أمّا بئر الفلق المذكورة في سورة الفلق ١١٣: ١، فهي وفقاً لبعض المفسّرين اسم سجن أو جبّ في جهنّم. وتحاكي بعض جوانب وصف الجنّة والنار صور الآخرة في أديان أخرى. انظر مثلاً وصف الشنق في جهنّم في:

Martha Himmelfarb, *Tours of Hell*, Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1983), pp. 82-92.

وتشبه بعض أوصاف الجنّة وجهنّم في هذا الخبر تلك الموجودة في الإنجيل المنحول المنسوب إلى بطرس والإنجيل المنحول المنسوب إلى بولس. انظر:

M. Rhodes James, *The Apocryphal New Testament*, pp. 505-555.

١٨٧ مكتوب في الإنجيل: الحجر في البنيان من غير حلّ عربون خرابه.

أبو نعيم الإصبهاني (ت. ٤٣٠/١٠٣٨)، حلية الأولياء، ٦: ٩٥ [منصور، رقم ٧٧].

يحاكي الخبر على الأرجح إنجيل متّى ٢١: ٤٢ وإنجيل لوقا ٢٠: ١٧. انظر أيضاً سفر المزامير ١١٦: ٢٢-٢٣. على الرغم من أنّ الوصف متشابه، لكن المعنى مختلف كليّاً. فالمقصود في الأناجيل هو عهد جديد بين الله وشعب جديد. لكن هنا يرمز الحجر في البناء إلى ضرورة أن يُبنى التدبير والجهد البشري على الفضيلة.

١٨٨ عيسى عليه السلام قال: يا معشر الحواريّين، كلّموا

اللّه كثيراً وكلّموا الناس قليلاً. قالوا: كيف نكلّم اللّه كثيراً؟ قال: اخلوا بمناجاته اخلوا بدعائه.

أبو نعيم الإصبهاني (ت. ١٠٣٨/٤٣٠)، حلية الأولياء، ٦: ١٩٥ [أسين، ٥٦٨ (رقم ١٥٨)؛ منصور، رقم ٧٩؛ ربسون، ٥٧]. انظر أيضاً القشيري، الرسالة، ٦٩ (اختلاف بسيط ومنسوب إلى الصحابي معاذ بن جبل).

يقترح أسين بخصوص هذا الخبر أنّه شبيه بإنجيل متّى ٦: ٥-٧. لكن هناك شبهاً أيضاً مع سفر الجامعة ٥: ١-٢. وينسب الخبر باختلاف بسيط إلى الصحابي معاذ بن جبل، وهذا مثير للفضول لوجود مقارنة بين المسيح ومعاذ عند ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧: ٣٨٩: «رفع عيسى ابن مريم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ومات معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة» (انظر أيضاً الدينوري، كتاب المجالسة، ٦: ٤٠٨ (رقم ٢٨٣٣).

١٨٩ إن شئت ثنّيت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم كان يقول: إدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وصلائي في الشتاء مشارق الشمس، وسراجي القمر، ودابتي رجلي، وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الأرض. أبيت وليس عندي شيء، وأصبح وليس عندي شيء، وما على الأرض أغنى منّي.

أبو نعيم الإصبهاني (ت. ١٠٣٨/٤٣٠)، حلية الأولياء، ٦: ٣١٤ [أسين، ٣٧٤-٣٧٥ (رقم ٤٤)؛ منصور، رقم ٨٠؛ ربسون، ٦٧-٦٨].

يشير أسين إلى خبر مماثل منسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب، هناك أيضاً وصف مشابه في رسالة أنخارسيس Anacharsis، وهو إغريقي من بلاد القوقاز Scythia عاش حوالى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد

واعتبر من بين الحكماء السبعة. نصّ الرسالة موجود عند الخطيب الروماني سيسرو:

Cicero, *On the Good Life* (Harmondsworth: Penguin, 1971), pp. 100-101.

«لباسي عباءة قوقازيّة، وحذائي كعبا قدميّ القاسيتين، وفراشي الأرض، وطعامي مجبول بالجوع، وآكل فقط الحليب والجبن واللحم. زرني وستجدني بسلام. تريد أن تعطيني شيئاً؟ الأفضل أن تعطيه لأخيك أو اجعله للآلهة الخالدة».

أسطورة الحكماء السبعة معروفة جدّاً في أدبيّات الحكمة العربيّة، على الأقل اعتباراً من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

١٩٠ عيسى عليه السلام قال: يا معشر بني إسرائيل، إنّ موسى عليه السلام نهاكم عن الزنى ونعم ما نهاكم عنه، فإنّي أنهاكم أن تحدّثوا به أنفسكم، فإنّما مثل من حدّث به نفسه ولم يعمل به مثل بيت من خزف يوقد فيه، فإن لم يحترق، اسودّ من دخانه. ويا معشر بني إسرائيل، إنّ موسى عليه السلام نهاكم أن تحلفوا باللّه كاذبين ونعم ما نهاكم عنه، وإنّي أنهاكم أن تحلفوا باللّه كاذبين أو صادقين.

أبو نعيم الإصبهاني (ت. ١٠٣٨/٤٣٠)، حلية الأولياء، ٨: ١٤٥-١٤٦ [منصور، رقم ٨٢].

نجد الوصيّتين في إنجيل متّى ٥: ٢٧-٢٨ و٣٤-٣٧.

الماوردي

١٩١ وقد قال عيسى بن مريم... عليه السلام: يا

صاحب العلم، تعلم من العلم ما جهلت، وعلّم الجهّال ما علمت.

الماوردي (ت. ٤٥٠/١٠٥٨)، أدب الدنيا والدين، ٦٧.

الماوردي من مشاهير المؤلّفين في أصول الحكم والأخلاق في الإسلام. عن حياته وأعماله، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*. تركّز بعض الأخبار في الإنجيل الإسلامي على أهميّة العلم وضرورة طلبه: انظر رقمي ٤٦ و١٩٥.

١٩٢ وقيل لعيسى بن مريم عليهما السلام: ألا تتزوّج؟ فقال: إنّما نحبّ التكاثر في دار البقاء.

الماوردي (ت. ٤٥٠/١٠٥٨)، أدب الدنيا والدين، ١٠٤ و١٣٥.

مررنا سابقاً على خبر يتحدّث فيه المسيح عن الزواج: انظر رقم ٦٠. يذمّ القرآن التكاثر، بمعنى تكاثر الأولاد وأغراض الدنيا: انظر سورة الحديد ٥٧: ٢٠ وسورة التكاثر ١٠٢: ١. والنبذ هذا هو جزء من ذمّ التفاخر والتعلّق الشديد بالدنيا.

١٩٣ وقال عيسى بن مريم عليه السلام: كما تنامون كذلك تموتون، وكما تستيقظون كذلك تُبعثون.

الماوردي (ت. ٤٥٠/١٠٥٨)، أدب الدنيا والدين، ١٠٧.

يتكرّر التشبيه المجازي للنوم واليقظة بالموت والبعث في الكتاب المقدّس: انظر مثلاً سفر أيّوب ١٤: ١١-١٢ وإنجيل يوحنّا ١١: ١١-١٦.

١٩٤ وقال عيسى بن مريم عليه السلام: إيّاكم والنظرة بعد النظرة فإنّها تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة.

الماوردي (ت. ٤٥٠/١٠٥٨)، أدب الدنيا والدين، ٢٩٤. انظر أيضاً ابن الجوزي، ذمّ الهوى، ٩١.

السجع المستخدم هنا مقصود منه بالتأكيد تسهيل الحفظ. وجوهر الخبر من دون شكّ مأخوذ من إنجيل متّى ٥: ٢٦-٢٨.

ابن عبد البرّ القرطبي

١٩٥ روي أنّ المسيح صلّى اللّه عليه وسلّم قيل له: إلى متى يحسن التعلّم؟ قال: ما حسنت الحياة.

ابن عبد البرّ القرطبي (ت. ٤٦٣/١٠٧١)، جامع بيان العلم، ١: ٩٦.

ابن عبد البرّ محدّث وأديب أندلسي. عن حياته وأعماله، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*. وقد جمع في كتابه جامع بيان العلم أخباراً كثيرة عن فضائل العلم من مصادر متشعّبة.

١٩٦ قال عيسى: يا معشر القُرّاء والعلماء، كيف تضلّون بعد علمكم، أو تعمون بعد بصركم من أجل دنيا دنيّة وشهوة رديّة فلكم الويل عليها ولها الويل منكم.

ابن عبد البرّ القرطبي (ت. ٤٦٣/١٠٧١)، جامع بيان العلم، ١: ١٩٠.

القُرّاء هم قرّاء القرآن، وكان لهم دور سياسي مميّز في أوائل الإسلام. يتردّد النقد الموجّه لهم وللعلماء هنا في أخبار أخرى: انظر مثلاً أرقام ١١٧، ١٧٤، ١٩٣ و٢٦٣.

١٩٧ قال المسيح عليه السلام: لا يُحْزنك قول الناس فيك، فإن كان كاذباً كانت حسنة لم تعملها. وإن كان صادقاً كانت سيّئة عُجّلت عقوبتها.

ابن عبد البرّ القرطبي (ت. ٤٦٣/ ١٠٧١)، بهجة المجالس، ١: ٤٠٥.

هذه النصيحة البليغة بضرورة تجاهل آراء الناس ربّما هي محاكاة بعيدة لما في إنجيل متّى ٥: ١١-١٢.

أبو القاسم القشيري

١٩٨ مرّ عيسى بن مريم عليهما السلام بمقبرة فنادى رجلاً منها فأحياه اللّه تعالى فقال: من أنت؟ فقال: كنت حمّالاً أنقل للناس، فنقلت يوماً لإنسان حطباً فكسرت منه خلالاً تخلّلت به، فأنا مطالب به منذ متّ.

القشيري (ت. ٤٦٥/ ١٠٧٣)، الرسالة القشيريّة، ٦٥ [أسين، ٥٦٥ (رقم ١٥١)؛ منصور، رقم ٨٨؛ ربسون، ١١٥). انظر أيضاً [أسين، ٥٦٦ (رقم ١٥٢)؛ ربسون، ١١٥-١١٦: الخبر أطول].

كان القشيري من مشاهير المؤلّفين في علم التصوّف وكان أيضاً فقيهاً وأديباً لامعاً. ورسالته المأخوذ منها هذا الخبر هي مرجع للتعابير الصوفيّة، ولمشاهير أهل التصوّف، وللأدبيّات والسلوكيّات الصوفيّة. عن حياته أعماله، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam* 2.

وجود ديوان مسجّل فيه كلّ أعمال الإنسان، بما فيها الأخطاء البسيطة والتافهة، يوافق سورة الزلزلة ٩٩: ٧-٨: «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره».

أبو حامد الغزالي

١٩٩ قال عيسى عليه السلام: ما أكثر الشجر وليس كلّها

بمثمر، وما أكثر الثمر وليس كلّها بطيّب، وما أكثر العلوم وليس كلّها بنافع.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، إحياء علوم الدين، ١: ٣٨ [أسين، ٣٤٩ (رقم ٢)؛ منصور، رقم ٩٠؛ ربسون، ٤٢].

الغزالي من عمالقة المفكّرين في الإسلام. والهدف من وراء مؤلّفاته العديدة التعريف الكامل والشامل بأنواع العلوم في الثقافة الإسلاميّة، وإعطاؤها غطاءً صوفياً. ومعرفته العميقة بالفقه والكلام والفلسفة والحديث، بالإضافة إلى تجربته المثيرة في البحث عن الذات ورحلاته الكثيرة، تجعله أحد أكثر المفكّرين جاذبية في الحضارة العالميّة. والكتاب المأخوذ منه هذا الخبر هو إحياء علوم الدين، وهو موسوعة شاملة لأنواع العبادة الإسلاميّة، ما جعله في زمن قصير يحتلّ مكاناً مرموقاً بين كتب الدين في الشرع الإسلامي. وكان للغزالي إعجاب مفرط بشخص المسيح، الذي سمّاه «نبيّ القلب» جاعلاً إيّاه إحدى الشخصيّات الأساسيّة في روحانيّات التصوّف. عن حياة الغزالي وأعماله، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*.

أساس الخبر هنا مأخوذ من إنجيل متّى ٧: ١٦-٢٠. ويأتي النقد الموجّه للعلوم غير النافعة في سياق حملة للغزالي على الفقهاء المشغولين بالتفاصيل التافهة في أمور الدين، الأمر الذي يتكرّر في أخبار لاحقة. وكان الغزالي مقتنعاً بأنّ العديد من علماء الفقه والدين هم عثرة في وجه تطوّر مفهوم التجربة الروحانيّة.

٢٠٠ قال عيسى عليه السلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء. وفي لفظ آخر: من وضع

الحكمة في غير أهلها فقد جهل، ومن منعها أهلها فقد ظلم، إنّ للحكمة حقّاً وإنّ لها أهلاً، فأعطِ كلّ ذي حقّ حقّه.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ١: ٤٣ [أسين، ٣٤٩ (رقم ٣)؛ منصور، رقم ٩١؛ ربسون، ٤٢]. انظر أيضاً الجاحظ، البيان والتبيين، ٢: ٣٥؛ إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء، ٤: ٢١٥ (بعض الخبر)؛ ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم، ١: ١٠٩ (بعض الخبر)؛ الماوردي، أدب الدنيا والدين، ١٢٧؛ ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٨٧ (رقم ٢٢٥: مختلف).

يحاكي الخبر إنجيل متّى ٧: ٦. رأى الغزالي، ككثير من المفكّرين المسلمين في ذلك الوقت، بأنّ البشر متباينون بشكل كبير في قدراتهم العقليّة وفي طباعهم. وعلى هذا الأساس، فمن غير المجدي تعريف كلّ العلوم لكافّة الناس. فلكلٍّ قدرته في فهم العلوم النافعة له، وإلاّ فهناك خطر بيّن يؤدي إلى عدم الفهم الصحيح وربّما أيضاً إلى الكفر. فعلوم الحساب والجبر مثلاً هي في رأي الغزالي علوم خادعة لمن يبتغي على أساسها درجة الدقّة ذاتها من علوم أخرى، كعلم الكلام والروحانيّات على سبيل المثال. في حال كهذه، هناك خطر الانزلاق إلى الكفر.

٢٠١ قال عيسى عليه السلام: مَثَل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر، لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع. ومثل علماء السوء مثل قناة الحشّ، ظاهرها جصّ وباطنها نتن، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ١: ٦٦ [أسين، ٣٥١ (رقم ٥)؛ منصور، رقم ٩٣؛ ربسون، ٤٣]. انظر أيضاً ورّام، مجموعة، ١: ٨٤.

المقصد هنا أيضاً التزمّت الفكري عند بعض العلماء. يقترح أسين

صلة لهذا الخبر ببعض الأخبار المشابهة في الإنجيل. ولقصّة أخرى شبيهة به، انظر

J. Sadan, «Some Literary Problems concerning Judaism and Jewry in Medieval Arabic Sources», in M. Sharon, ed., *Studies in Honour of Professor David Ayalon* (Leiden: Brill, 1986), pp. 353-398, especially pp. 389-390 (no. S6).

يذكر سدان Sadan في هذا المقال رواية إسلاميّة لما زُعم أنّه النسخة الصحيحة للتوراة الموحاة للنبيّ موسى، ويعالج نصّ هذا الخبر اعتباراً من صفحة ٣٧٠.

٢٠٢ قال عيسى عليه السلام: كيف يكون من أهل العلم مَنْ مسيرُه إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه، وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبّر به لا ليعمل به.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، إحياء علوم الدين، ١: ٦٧ [أسين، ٣٥٢ (رقم ٦)؛ منصور، رقم ٩٤؛ ربسون، ٦٣].

قارن برقم ١٩١.

٢٠٣ قال عيسى عليه السلام: مثل الذي يتعلّم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السرّ فحملت فظهر حملها فافتضحت، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه اللّه تعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، إحياء علوم الدين، ١: ٦٩ [أسين، ٣٥٣ (رقم ٨)؛ منصور، رقم ٩٥؛ ربسون، ٤٣].

انظر رقم ٤٣.

٢٠٤ روي أنّ عيسى صلوات اللّه عليه وسلامه خرج

يستسقي، فلمّا ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام: من أصاب منكم ذنباً فليرجع. فرجعوا كلّهم ولم يبقَ معه في المفازة إلاّ واحد فقال له عيسى عليه السلام: أما لك من ذنب؟ فقال: واللّه، ما علمت من شيء غير أنّي كنت ذات يوم أصلّي فمرّت بي امرأة فنظرت إليها بعيني هذه فلمّا جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فانتزعتها وأتبعت المرأة بها. فقال له عيسى عليه السلام: فادع اللّه حتّى أومن على دعائك. قال: فدعا اللّه فتجلّت السماء سحاباً ثمّ صبّت فسقوا.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، إحياء علوم الدين، ١: ٣١٦ [أسين، ٣٥٤ (رقم ١٠)؛ منصور، رقم ٩٧؛ ربسون، ٩٥]. انظر أيضاً [أسين، ٥٨٧ (رقم ٢٠١)؛ ربسون، ١٢١-١٢٢: الخبر كامل]؛ ابن الجوزي، ذمّ الهوى، ١٣١ (اختلاف بسيط).

نجد صورة وجوب انتزاع العين المذنبة في إنجيل متّى ١٨: ٩.

٢٠٥ مرّت [مريم عليها السلام] في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق فقالت: اللهمّ انزع البركة من كسبهم وأَمِتْهم فقراء وحقّرهم في أعين الناس. فاستُجيب دعاؤها.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، إحياء علوم الدين، ٢: ٨٥ [أسين، ٣٥٧ (رقم ١٣)؛ منصور، رقم ٩٩].

اعتبر عدد من العلماء المسلمين القدماء، كالجاحظ مثلاً، بعض أنواع المهن والصنائع، كالغزل، أعمالاً حقيرة: انظر الجاحظ، رسائل الجاحظ، ١: ٥١-٥٢؛ وقارن أيضاً برقم ١٤٥ المتقدّم بخصوص القصّارين. وأخبار كهذه ساعدت بالطبع على إبراز ضعة هذه المهن.

والخبر معروف أيضاً في الأدبيّات السريانيّة: انظر
Budge, *The Laughable Stories*, p. 123 (no. 475).

٢٠٦ روي أنّ إبليس لعنه اللّه تمثّل لعيسى بن مريم صلّى اللّه عليه وسلّم فقال له: قل لا إله إلاّ اللّه؟ فقال: كلمة حقّ ولا أقولها بقولك. لأنّ له أيضاً تحت الخير تلبيسات.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، إحياء علوم الدين، ٣: ٢٩ [أسين، ٣٥٩ (رقم ١٧)؛ منصور، رقم ١٠٢؛ ربسون، ٨١].

نجد تجربة المسيح في البريّة في إنجيل متّى ٤: ١١ وربّما هي أصل هذا الخبر. لكن الملاحظ هنا أنّ إبليس يريد من المسيح أن يردّد البسملة. وعلى الأرجح أنّ الفقرة الأخيرة هي تعليق للغزالي على الخبر.

٢٠٧ روي أنّه لمّا وُلِد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا: أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها. فقال: هذا حادث قد حدث، مكانكم. فطار حتّى أتى خافقي الأرض فلم يجد شيئاً، ثمّ وجد عيسى عليه السلام قد وُلِد وإذا الملائكة حافّين به فرجع إليهم فقال: إنّ نبيّاً قد وُلِد البارحة، ما حملت أنثى قطّ ولا وضعت إلاّ وأنا حاضرها إلاّ هذا، فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة، ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفّة.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، إحياء علوم الدين، ٣: ٣٢ [أسين، ٣٥٩-٣٦٠ (رقم ١٨)؛ منصور، رقم ١٠٣؛ ربسون، ٨١-٨٢]. انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ٣٧ (رقم ١٨).

تتحدّث الكثير من القصص في الأناجيل المنحولة عن تحطّم

الأصنام بعد ولادة المسيح: انظر
James, *The Apocryphal New Testament*, pp. 75, 80 and 83.
ويشجب القرآن مراراً العجلة والخفّة.

٢٠٨ قال عيسى عليه السلام: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٣: ٦٤ [أسين، ٣٦١ (رقم ٢٠)؛ منصور، رقم ١٠٥؛ ربسون، ٦٣]. انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٥٠ (رقم ١٥٧).

يشبه شكل هذا الخبر الرسالة المنحولة من المسيح إلى الملك الأبجر: انظر
James, *The Apocryphal New Testament*, p. 477.

٢٠٩ روي أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فإذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد المناجاة وإذا شيخ قد أظلّه فقال له عيسى بارك اللّه فيك يا ولي اللّه ادعُ اللّه تعالى لي فإني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللّهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخاطر.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٣: ٨١ [أسين، ٣٦٢ (رقم ٢٢)؛ منصور، رقم ١٠٧؛ ربسون، ٦٣-٦٤].

حديث غريب ذو صلة بفضيلة الجوع عند أهل التصوف وعند زهّاد المسيحية الأوائل. وهنا أيضاً نرى عيسى في حالةٍ من الضعف البشري بالمقارنة مع «الشيخ» الذي قد يرمز إلى قطب من أقطاب المتصوّفة.

٢١٠ قال عيسى عليه السلام: العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٣: ١٠٧ [أسين، ٣٦٤ (رقم ٢٦)؛ منصور، رقم ١١١؛ ربسون، ٦٤].

يرد حديثٌ مشابه لهذا لأحد زهّاد الصحراء المصرية المسيحيين. انظر:

Ward, *The Sayings of the Desert Fathers*, p. 9, no. 2.

٢١١ وقيل مكتوب في الإنجيل: من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٣: ١٨٠ [أسين، ٣٦٧ (رقم ٣٣)؛ منصور، رقم ١١٨؛ ربسون، ٤٦].

اللّب الإنجيلي لهذا الحديث نجده في إنجيل لوقا ٦: ٢٨، وقد أُضيف إليه هنا هزيمة الشيطان.

٢١٢ قال عيسى عليه السلام: ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغرّه ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترّين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همّه والخطايا عمله كيف يفتضح غداً بذنبه.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٣: ٢٠٠ [أسين، ٣٧١ (رقم ٣٨)؛ منصور، رقم ١٢٢؛ ربسون، ٦٦-٦٧]. قارن الزبيدي، إتحاف، ٨، ٨٧.

ذم الدنيا أمر مألوف في أدبيات الزهد عند المسلمين؛ انظر مثلاً ابن

أبي الدنيا، كتاب ذم الدنيا في موسوعة رسائل، الذي يتضمن عدداً لا يستهان به من أقوال عيسى.

٢١٣ بلغنا أن عيسى بن مريم عليه السلام قال: يا علماء السوء تصومون وتصلّون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعلمون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسه بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغلّ في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم، فصلاح الدنيا أحبّ إليكم من صلاح الآخرة، فأيّ الناس أخسر منكم لو تعلمون. ويلكم، حتام تصفون الطريق للمدلّجين، وتقيمون في محلّ المتحيّرين كأنّكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم. مهلاً مهلاً، ويلكم، ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم، كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة متعطّلة. يا عبيد الدنيا، لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام. توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم، ثمّ تكبّكم على مناخركم، ثمّ تأخذ خطاياكم بنواصيكم، ثمّ تدفعكم من خلفكم حتّى تسلّمكم إلى الملك الديّان عراة فرادى

فيوقفكم على سوآتكم ثمّ يجزيكم بسوء أعمالكم.

الغزالي (ت. ١١١١/٥٠٥)، إحياء علوم الدين، ٣: ٢٥٨-٢٥٩ [أسين، ٣٨٠-٣٨١ (رقم ٥٣)؛ منصور، رقم ١٣٥؛ ربسون، ٨٢-٨٣]. انظر أيضاً ابن عساكر، سيرة السيّد المسيح، ١٩١ (رقم ٢٣٣).

مررنا سابقاً على لعن علماء السوء انظر أرقام ٩٣، ٩٤، ١١٧، ١٩٦ و٢٠١. ونجد في مواضع مختلفة من هذا الخبر ما يشبه اتهام المسيح للكتبة والفريسيّين في إنجيل متّى ٢٣: ١٣-٣٦. أمّا بخصوص الأخذ بالنواصي فهي عبارة قرآنيّة: انظر سورة العلق ٩٦: ١٥-١٦.

٢١٤ قال المسيح عليه السلام: إنّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا، كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبّر. ألا ترون أنّ من شمخ برأسه إلى السقف شجّه، ومن طأطأ أظلّه وأكنّه.

الغزالي (ت. ١١١١/٥٠٥)، إحياء علوم الدين، ٣: ٣٣٦ [أسين، ٣٩١ (رقم ٥٩)؛ منصور، رقم ١٤١؛ ربسون، ٤٧].

يقترح أسين قصّة المزارع في إنجيل متّى ١٣: ٤-٩ كأصل لجزء من هذا الخبر. أمّا بخصوص النصيحة عن الحكمة والتواضع فهي شائعة في أدبيّات الشرق الأدنى القديم: انظر مثلاً سفر الأمثال، ١١: ٢.

٢١٥ قال عيسى عليه السلام: جودة الثياب خيلاء في القلب.

الغزالي (ت. ١١١١/٥٠٥)، إحياء علوم الدين، ٣: ٣٤٥-٣٤٦ [أسين، ٣٩١ (رقم ٦٠)؛ منصور رقم ١٤٢؛ ربسون، ٧٠].

يقترح أسين كشبه لهذا الخبر إنجيل لوقا ٧: ٢٥. ويمكن إضافة إنجيل لوقا ٢٠: ٤٥-٤٧ كخبر أقرب إلى هذا.

٢١٦ قال عيسى عليه السلام: ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري. البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٣: ٣٤٦ [أسين، ٣٩١ (رقم ٦١)؛ منصور، رقم ١٤٣؛ ربسون، ٨٣-٨٤]. انظر أيضاً الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢: ٤٠٢.

الأنبياء الكذّابون المتنكّرون بثياب الحملان في إنجيل متّى ٧: ١٥ قد استبدلوا هنا بالرهبان. يذكر القرآن الرهبان في أربعة مواضع، منها مرة واحدة فقط على سبيل الاستحسان: انظر سورة المائدة ٥: ٨٢ حيث نجد الثناء على تواضعهم.

٢١٧ قال المسيح عليه السلام: إنّكم لا تدركون ما تحبّون إلاّ بصبركم على ما تكرهون.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤: ٦١ [أسين، ٣٩٤ (رقم ٦٤)؛ منصور، رقم ١٤٦؛ ربسون، ٤٧]. انظر أيضاً الجاحظ، البيان والتبيين، ٣: ١٦٤ (منسوب إلى الحسن البصري)؛ ابن حمدون، التذكرة، ١: ٢٠١ (رقم ٤٧٥).

انظر:

Ward, *Sayings of the Desert Fathers*, p. 70, no. 7.

٢١٨ ورُوي عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قال: يا معشر الحواريين، أنتم تخافون المعاصي، ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤: ١٦٩ [أسين، ٣٩٧ (رقم ٦٨)؛ منصور، رقم ١٥٠؛ ربسون، ٤٨].

حديث غريب ولعلنا نفهمه بشكل أفضل لو حسبناه يشير إلى المريد والشيخ عند المتصوّفة. وهذا التفسير له ما يبرّره لأن القول الذي يسبقه مباشرة هو لسهل التستري (ت. ٢٨٣/ ٨٩٦): «المريد يخاف أن يُبتلى بالمعاصي، والعارف يخاف أن يُبتلى بالكفر». أما السياق العام لهذا القول فهو يأتي ضمن كلام مطوّل للغزالي من أن خوف اللّه يزداد كلما ازدادت المعرفة باللّه.

٢١٩ ورُوي أن المسيح عليه السلام مرّ في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال: يا نائم، قُم فاذكر اللّه تعالى فقال: ما تريد مني؟ إني قد تركت الدنيا لأهلها، فقال له: فنَمْ إذن يا حبيبي.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤: ١٩٠ [أسين، ٤٠١ (رقم ٧١)؛ منصور، رقم ١٥٣؛ ربسون، ٧٠].

رغم غياب أي حديث شبيه لهذا في الأناجيل، لكنّه يشبه في مضمونه القصص التي نجدها في أدبيات الزهد المسيحية والإسلامية. وترك النوم لأجل الصلاة من الفضائل المرموقة في التعبّد في اليهودية والإسلام. انظر مثلاً سِفر الأمثال، ٦: ٩-١١ و
Hertz, *Sayings of Fathers*, p. 45. no. 14.

أما أذان الفجر عند المسلمين ففيه «الصلاة خيرٌ من النوم». أما الرجل الملتف في عباءة فقد نجد فيه أصداء من سورتي (المدثر) و(المزمل) في القرآن الكريم. وهاتان السورتان كان لهما مغزى خاص لدى المتصوّفة إذ إن «المدثر» و«المزمل» هو رمز العابد المنفرد والمتفرغ لعبادة الخالق.

٢٢٠ قال المسيح عليه السلام: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا

تعمروها. وقيل له: يا نبيّ اللّه لو أمرتنا أن نبني بيتاً نعبد اللّه فيه؟ قال: اذهبوا فابنوا بيتاً على الماء، فقالوا: كيف يستقيم بنيان على الماء؟ قال: وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا؟

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤: ٢١٨ [أسين، ٤٠٤ (رقم ٧٥)؛ منصور، رقم ١٥٦؛ ربسون، ٧١]. انظر المكي، قوت القلوب، ١: ٢٥٦.

حديث مركّب من أقوال عدة نجدها في أماكن أخرى من هذا الكتاب. انظر الأقوال ٤١، ٦٠، ٩٩، ١١٠، ٣٠٢.

٢٢١ جلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط فقال: ما أقمتني أنت إنما أقامني الذي لم يرض لي أن أتنعم بظل الحائط.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤: ٢٢٤ [أسين، ٤٠٧ (رقم ٧٩)؛ منصور، رقم ١٦٠؛ ربسون، ٧١-٧٢]. قارن بابن عساكر، سيرة السيد المسيح، ١٣٢ (رقم ١١٨).

يرى أسين أن هذا القول فيه صدى من إنجيل متّى، ٨: ٢٠. وهو حديث يشير بوضوح إلى ترك الدنيا والزهد فيها كما نجده في القولَين ١١٨ و١١٩، أعلاه.

٢٢٢ كان [عيسى عليه السلام] لا يصحبه إلا مشط وكوز، فرأى إنساناً يمشّط لحيته بأصابعه فرمى بالمشط، ورأى آخر يشرب من النهر بكفّيه فرمى بالكوز.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤: ٢٣١-٢٣٢ [أسين، ٤٠٨ (رقم ٨١)؛ منصور، رقم ١٦٢؛ ربسون، ٧٢].

مررنا سابقاً على صفة المسيح وأسلوب حياته: انظر رقمي ٧٧ و٧٨ أعلاه.

٢٢٣ قال عيسى عليه السلام: لا يكون عالماً من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفّارة خطاياه.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤: ٢٨١ [أسين، ٤١٠ (رقم ٨٣)؛ منصور، رقم ١٦٥؛ ربسون، ٤٨].

قارن بابن أبي الدنيا، كتاب الشكر (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٣: ٣٦ (رقم ٨٠)، حيث الخبر منسوب إلى الزاهد والمحدّث سفيان الثوري (ت. ١٦١/٧٧٨) الذي يقول: «ليس بفقيه من لم يعدّ البلاء نعمة والرخاء مصيبة».

٢٢٤ في أخبار عيسى عليه السلام: إذا رأيت الفتى مشغوفاً بطلب الربّ تعالى فقد ألهاه ذلك عمّا سواه.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤: ٣٠٢ [أسين، ٤١٣ (رقم ٨٥)؛ منصور، رقم ١٦٧؛ ربسون، ٤٨].

انظر رقم ٢٣٨. ولأخبار أخرى عن فتيان مشغوفين بالله، انظر:
Ward, *The Sayings of the Desert Fathers*, p. 145-146.

٢٢٥ يروى أنّ عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلى به كثيراً من خلقه. فقال له عيسى: يا هذا، أيّ شيء من البلاء أراه مصروفاً عنك؟ فقال: يا روح الله، أنا خير ممّن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في

قلبي من معرفته. فقال له: صدقت، هات يدك فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجهاً وأفضل هيئة وقد أذهب اللّه عنه ما كان به، فصحب عيسى عليه السلام وتعبّد معه.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤ : ٣٣٩ [أسين، ٤١٥ (رقم ٨٨)؛ منصور، رقم ١٧٠؛ ربسون، ١٠١].

نجد قصّة بُرء الأبرص في إنجيل متّى ٨ : ١-٣، وهي محوّلة هنا إلى حوار يذكر فيه الأبرص عبارة «معرفة اللّه» كإشارة إلى تلك المرتبة العالية أو المعرفة المتولّدة من الكشف التي يعتبرها المتصوّفة خاصّة بهم.

٢٢٦ روي أنّ عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: أين ينبت الزرع؟ قالوا: في التراب. فقال: بحقّ أقول لكم، لا تنبت الحكمة إلاّ في قلب مثل التراب.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤ : ٣٤٧ [أسين، ٤١٦ (رقم ٨٩)؛ منصور، رقم ١٧١؛ ربسون، ٤٩].

انظر رقم ٢١٤.

٢٢٧ أوحى اللّه إلى عيسى عليه السلام: إنّي إذا اطلعت على سرّ عبد فلم أجد فيه حبّ الدنيا والآخرة ملأته من حبّي وتولّيته بحفظي.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤ : ٣٤٩ [أسين، ٤١٧ (رقم ٩٠)؛ منصور، رقم ١٧٢؛ ربسون، ٧٨]. انظر أيضاً القشيري، الرسالة، ١٧٣ (اختلاف بسيط).

٢٢٨ وسئل [عيسى] عليه السلام عن أفضل الأعمال،

فقال: الرضا عن اللّه تعالى والحب له.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤: ٣٤٩ [أسين، ٤١٧ (رقم ٩١)؛ منصور، رقم ١٧٣؛ ربسون، ٤٩].

«الرضا عن اللّه» هو عنوان إحدى رسائل ابن أبي الدنيا. ثمة عدة أقوال مشابهة لهذا القول تُعزى إلى زُهّاد الإسلام المبكر؛ انظر مثلاً «الرضا عن اللّه» في «موسوعة رسائل»، ٣: ٢٢، الرقم ٦؛ ٣: ٢٥، الرقم ٩؛ ٣: ٤٢، الرقم ٣١.

٢٢٩ قال عيسى عليه السلام: طوبى لعينٍ نامت ولا تَهمّ بمعصيةٍ وانتبهت إلى غير إثم.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤: ٣٥٣ [أسين، ٤١٧ (رقم ٩٢)؛ منصور، رقم ١٧٤؛ ربسون، ٤٩].

صورة العين التي تهمّ بالمعصية نجدها في إنجيل متّى، ٦: ٢٢-٢٣، أما صورة العين التقيّة فنجدها في إنجيل لوقا، ١٠: ٢٣.

٢٣٠ قال الحواريّون لعيسى بن مريم: يا روح اللّه، هل على الأرض اليوم مثلك؟ فقال نعم، من كان منطقه ذِكراً وصمته فكراً ونظره عبرة فإنه مثلي.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤: ٤١٤ [أسين، ٤٢٠ (رقم ٩٧)؛ منصور، رقم ١٧٩؛ ربسون، ٤٩-٥٠].

انظر القولَين ١٠ و ١٣، أعلاه.

٢٣١ بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاةٍ يثير بها الأرض، فقال عيسى: اللّهم انزع منه الأمل، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة. فقال عيسى: اللّهم اردد

إليه الأمل. فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير؟ فألقيت المسحاة واضطجعت. ثم قالت لي نفسي: واللّه لا بدّ لك من عيش ما بقيت، فقمتُ إلى مسحاتي.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤ : ٤٣٨ [أسين، ٤٢١ (رقم ٩٩)؛ منصور، رقم ١٨١ ؛ ربسون، ١٠١-١٠٢].

حول أهميّة كسب العيش، انظر الرقم ٢٤٧، أدناه. ثمة أيضاً صدى في هذا القول لما جاء على لسان زهّاد المسيحية في الصحراء المصرية؛ انظر

Ward, *The Sayings of the Desert Fathers*, p. 70, no. 5.

٢٣٢ قال عيسى عليه السلام: لا تهتموا برزق غد فإن يكن غد من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤ : ٤٤٢ [أسين، ٤٢٢ (رقم ١٠٠)؛ منصور، رقم ١٨٢ ؛ ربسون، ٥٠].

انظر القولَين ٤٤ و ٧٣، أعلاه.

٢٣٣ قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين، ادعوا اللّه تعالى أن يهوّن عليّ هذه السكرة ـ يعني الموت ـ فقد خفتُ الموت مخافةً أوقفني خوفي من الموت على الموت.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤ : ٤٤٦ [أسين، ٤٢٣ (رقم ١٠١)؛ منصور، رقم ١٨٣ ؛ ربسون، ٨٤].

جوهر هذا الخبر مأخوذ على الأرجح من قصّة سكرة الموت في

الجسمانية المذكورة في إنجيل متّى ٢٦ : ٣٩ وفي إنجيل لوقا ٢٢ : ٤٤. ويشدّد الخبر هنا أيضاً على ضعف المسيح.

٢٣٤ روي أنّ عيسى عليه السلام مرّ بجمجمة فضربها برجله فقال: تكلّمي بإذن اللّه. فقالت: يا روح اللّه، أنا ملك زمان كذا وكذا، بينا أنا جالس في ملكي عليّ تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي إذ بدا لي ملك الموت فزال منّي كلّ عضو على حياله ثمّ خرجت نفسي إليه، فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة، ويا ليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤ : ٤٤٨ [أسين، ٤٢٣ (رقم ١٠٢)؛ منصور، رقم ١٨٤؛ ربسون، ١٠٢]. انظر أيضاً [أسين، ٤٢٣ (رقم ١٠٢ب)، ٤٢٤ (رقم ١٠٢ج)، و٤٢٤-٤٢٥ (رقم ١٠٢د)].

بخصوص الحوار مع الجمجمة، انظر رقمي ١٨٦ و٢٤٨. وبخصوص أخبار مشابهة في تقاليد أخرى انظر التعليق على رقم ١٨٦، وأيضاً

Ward, *The Sayings of the Desert Fathers,* p. 136 (no. 38).

٢٣٥ قال عيسى عليه السلام: كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، إحياء علوم الدين، ٤ : ٥١٨ [أسين، ٤٣١ (رقم ١٠٣)؛ منصور، رقم ١٨٥؛ ربسون، ٧٣].

السجع الجميل له أثر المثل البليغ.

٢٣٦ قال عيسى عليه السلام ليحيى بن زكريّا عليهما

السلام: إذا ذكرك أحد بشيء وقال فيك صحيحاً فاشكر اللّه، وإن قال فيك كذباً فازدد من الشكر، فإنّه يزيد في ديوان أعمالك وأنت مستريح.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، التبر المسبوك، ٢١ [منصور، رقم ١٨٦].

تحمّل افتراء الناس مطابق لمبدأ تحمّل الإهانة: انظر مثلاً أرقام ٨٠، ١٠٠، و١٩٧.

٢٣٧ عيسى عليه السلام قال: من ساعة يوضع الميّت على الجنازة إلى أن يوضع على شفير القبر يسأل اللّه بعظمته منه أربعين سؤالاً، أوّله: عبدي... طهّرت منظر الخلق سنين وما طهّرت منظري ساعة وكلّ يوم ينظر في قلبك يقول اللّه تعالى: ما تصنع لغيري وأنت محفوف بخيري! أما أنت أصمّ لا تسمع.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، أيّها الولد، ١٠٨ [أسين، ٥٧٠ (رقم ١٦٥)؛ منصور، رقم ١٨٨؛ ربسون، ٩١].

٢٣٨ مرّ عيسى عليه السلام بشاب يسقي بستاناً فقال الشابّ لعيسى: سل ربّك أن يرزقني من محبّته مثقال ذرّة. فقال عيسى: لا تطيق مقدار ذرّة. فقال: نصف ذرّة؟ فقال عيسى عليه السلام: يا ربّ، ارزقه نصف ذرّة من محبّتك. فمضى عيسى عليه السلام فلمّا كان بعد مدّة طويلة مرّ بمحلّ ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا: جنّ وذهب إلى الجبال. فدعا اللّه عيسى عليه السلام أن يريه إيّاه، فرآه بين الجبال فوجده قائماً على صخرة شاخصاً طرفه إلى السماء فسلّم عليه عيسى عليه السلام، فلم

يردّ عليه، فقال: أنا عيسى، فأوحى اللّه تعالى إلى عيسى كيف يسمع كلام الآدميين من كان في قلبه مقدار نصف ذرّة من محبتي؟ فوعزّتي وجلالي، لو قطعته بالمنشار لما علم بذلك.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، مكاشفة القلوب، ٢٥ [أسين، ٥٧٢ (رقم ١٧٠)؛ منصور، رقم ١٩١؛ ربسون، ١١٦-١١٧]. قارن أسين ٥٨١-٥٨٢ (رقم ١٨٩) وربسون ١٢٠-١٢١ الذي فيه بعض الاختلاف.

هذا التشدّد في الزهد كان موضع إعجاب النسّاك المسيحيين الأوائل كما وإعجاب متصوّفة الإسلام.

٢٣٩ جاء في الأخبار أن يحيى وعيسى عليهما السلام كانا يمشيان في السوق فصدمتهما امرأة، فقال يحيى: واللّه ما شعرت بذلك فقال عيسى: سبحان اللّه، بدنك معي وقلبك أين؟ قال: يا ابن الخالة، لو اطمأن قلبي إلى غير ربّي طرفة عين لظننت أني ما عرفت اللّه.

الغزالي (ت. ٥٠٥/١١١١)، مكاشفة القلوب، ٣٠ [أسين، ٥٧٣ (رقم ١٧١)؛ منصور، رقم ١٩٢؛ ربسون، ١١٧].

خبر يحاكي ما جاء في الرقم ٢٣٨، أعلاه، من التفرّغ للّه بالكلّية، كما يحاكي الرياضات الروحية عند بعض أقطاب التصوّف الذين بدأوا في تلك الفترة «بتبنّي» عيسى ويحيى كبطلَين روحيَّين ونَبيَّي قلوب، وكأنهما كانا من أهل التصوّف قبل نشوء التصوّف.

٢٤٠ حُكي أن عيسى عليه السلام خرج يوماً فلقي إبليس وبيده عسل وفي الأخرى رماد فقال: ما تفعل يا عدو اللّه بهذا العسل والرماد؟ قال: أما العسل فأجعله على شفاه المغتابين

حتى يبلغوا منها، وأما الرماد فأضعه على وجه اليتامى حتى يبغضهم الناس.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، مكاشفة القلوب، ٥٣ [أسين، ٥٧٣ (رقم ١٧٢)؛ منصور، رقم ١٩٣؛ ربسون، ٩١].

انظر الرقم ٢٨٥ أدناه وفيه حكاية عن إبليس تشابه هذه. والغيبة والنميمة من الخصال التي كثيراً ما جاء تعنيفها في القرآن وفيه كما نعلم حَدٌّ مُحكم للفريّة والقذف. كما أن التنزيل كثيراً ما يحضّ على الرأفة باليتيم. وقارن ما جاء هنا بحكايات عن زهّاد الصحراء المسيحيين مع إبليس في:
Ward, *The Sayings of the Desert Fathers*, p. 126 no. 3, and pp. 129-30, no. 11.

٢٤١ قال عيسى عليه السلام: الدنيا ثلاثة أيام: أمس قد مضى ما بيدك منه شيء، وغداً لا تدري أتدركه أم لا، ويوم أنت فيه فاغتنمه.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، منهاج العابدين، ٢٩ [أسين، ٥٧٤ (رقم ١٧٣)؛ منصور، رقم ١٩٥؛ ربسون، ٥٨].

انظر الأرقام ٤٤، ٧٣، و٢٣٢.

٢٤٢ قال عيسى عليه السلام: ذكر الخالدين يقطع قلوب الخائفين.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، منهاج العابدين، ٦١ [أسين، ٥٧٥ (رقم ١٧٥)؛ منصور، رقم ١٩٧؛ ربسون، ٥٨].

السجع في هذا القول يشابه ما جاء في رقم ٢٣٥، أدناه.

٢٤٣ قال المسيح عليه السلام: يا معشر الحواريّين، كم من سراج قد أطفأته الريح، وكم من عابد قد أفسده العجب.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، منهاج العابدين، ٦٥ [أسين، ٥٧٥ (رقم ١٧٦)؛ منصور، رقم ١٩٨؛ ربسون، ٥٨].

انظر رقم ٦٨، أعلاه.

٢٤٤ روي أنّ عيسى عليه السلام مرّ برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متّزر بعباءة فقال: يا ربّ، عبدك هذا في الدنيا ضائع. فأوحى اللّه تعالى إليه: يا عيسى، أما علمت أنّي إذا نظرت إلى عبدي بوجهي كلّه زويت عنه الدنيا كلّها.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، نقلاً عن [أسين، ٥٧١ (رقم ١٦٨)؛ منصور، رقم ١٩٩؛ ربسون، ٧٦].

انظر رقم ٢٣٧.

٢٤٥ قال عيسى عليه السلام: إنّ لي حبيبين اثنين فمن أحبّهما فقد أحبّني ومن أبغضهما فقد أبغضني، الفقر والجهاد.

الغزالي (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، نقلاً عن [أسين، ٥٧٢ (رقم ١٦٩)؛ منصور، رقم ٢٠٠؛ ربسون، ٧٦].

تعبير الجهاد يعني هنا القتال في سبيل اللّه. وعلى الأرجح فإنّ المتصوّفة هم الذين نشروا مفهوم الجهاد بمعنى مجاهدة النفس وغرائزها.

الطرطوشي

٢٤٦ خرج عيسى بن مريم ذات يوم مع جماعة من

أصحابه فلمّا ارتفع النهار مرّوا بزرع قد أمكن من الفرك فقالوا: يا نبيّ اللّه، إنّا جياع. فأوحى اللّه إليه: أن ائذن لهم في قوتهم. فأذن لهم فتفرّقوا في الزرع يفركون ويأكلون. فبينما هم كذلك إذ جاء صاحب الزرع وهو يقول: زرعي وأرضي ورثته عن آبائي، بإذن منْ تأكلون؟ قال: فدعا عيسى اللّه تعالى، فبعث اللّه سبحانه جميع من ملك تلك الأرض من لدن آدم إلى ساعته، فإذا عند كلّ سنبلة ما شاء اللّه من رجل وامرأة كلّهم ينادون: زرعي وأرضي ورثته عن آبائي. ففزع الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى عليه السلام وهو لا يعرفه فلمّا عرفه قال: معذرة إليك يا رسول اللّه لم أعرفك، زرعي ومالي لك حلال. فبكى عيسى وقال: ويحك، هؤلاء كلّهم قد ورثوا هذه الأرض وعمّروها ثمّ ارتحلوا عنها وأنت مرتحل وبهم لاحق. ويحك، ليس لك أرض ولا مال.

الطرطوشي (ت. ٥٢٠/ ١١٢٦)، سراج الملوك، ٧٣-٧٤ [أسين، ٥٧٦ (رقم ١٧٨)؛ منصور، رقم ٢٠١؛ ربسون، ١١٧-١١٨]. انظر أيضاً الزبير بن بكّار، جمهرة نسب قريش، ١: ٢٩٤ (الخبر أقصر ومنسوب إلى غير عيسى)؛ الأبشيهي، المستطرف، ٢: ٢٦٢-٢٦٣.

الطرطوشي صاحب كتاب مشهور في السياسة بمفهومها الأدبي، وهو ضرب من التآليف يسمّيه بعض الكُتّاب المعاصرين في الغرب أدب «مرايا الأمراء». في هذا الكتاب يتفحّص الطرطوشي، وهو من الأندلس، التاريخ لاستخلاص قوانين عن فن الحكم.

يبدو أنّ للخبر أصلاً إسلامياً من كتاب جمهرة أنساب العرب للنسّابة الزبير بن بكّار (ت. ٢٥٨/ ٨٧٠)، حيث نجده مروياً عن بعض

بني إسرائيل، وإن كان بصياغة مقطوعة. وربّما يمكن تتبّع أصله إلى قصّة ظريفة للمسيح في الإنجيل المنحول المنسوب إلى توما: انظر
Layton, *The Gnostic Gospel,* p. 384 (no. 21).

وللخبر أيضاً شبه مع إنجيل متّى١٢: ١-٨، حيث يبيح المسيح لتلاميذه حين جاعوا قطف القمح في يوم السبت. لكن المغزى هنا مختلف، وهو يتعلّق بسرعة زوال الحياة والأملاك.

٢٤٧ امرأتان أتتا عيسى بن مريم فقالتا: يا روح اللّه، ادعُ اللّه لنا أن يُخرج أبانا فإنه هلك ونحن غائبتان عنه. فقال: تعرفان قبره؟ فقالتا: نعم. فذهب معهما فأتتا قبراً فقالتا: هذا هو. فدعا اللّه فأخرج لهما فإذا هو ليس به، فدعا فردّ. ثمّ دلّتاه على قبر آخر فدعا أن يخرج فإذا هو فلزمتاه وسلّمتا عليه ثمّ قالتا: يا نبيّ اللّه، يا معلّم الخير، ادعُ اللّه أن يبقيه معنا؟ قال: وكيف أدعو له ولم يبقَ له رزق يعيش به! ثمّ ردّه وانصرف.

الطرطوشي (ت. ٥٢٠/١١٢٦)، سراج الملوك، ٧٦ [أسين، ٥٧٧ (رقم ١٧٩)؛ منصور، رقم ٢٠٢؛ ربسون، ١١٨-١١٩].

انظر التعليق على رقم ٢٣١.

٢٤٨ بينما هو (عيسى بن مريم) في بعض سياحته إذ مرّ بجمجمة نخرة فأمرها أن تتكلّم، فقالت: يا روح اللّه، أنا بلوان بن حفص ملك اليمن، عشت ألف سنة، وولد لي ألف ذكر، وافتتضت ألف بكر، وهزمت ألف عسكر، وقتلت ألف جبّار، وافتتحت ألف مدينة، فمن رآني فلا يغترّ بالدنيا فما كانت إلاّ كحلم نايم. فبكى عيسى عليه السلام.

الطرطوشي (ت. ٥٢٠/١١٢٦)، سراج الملوك، ٨٢ [أسين، ٤٢٣ (رقم ١٠٢ب)]؛ وسراج الملوك، ٨٣-٨٤. انظر أيضاً الأبشيهي، المستطرف، ٢: ٢٦٤.

انظر رقم ١٨٦. نجد المسيح يبكي أو ينوح في بعض الأخبار التي مررنا عليها: انظر أرقام ٦، ٣٨، و٢٤٦. ويشير بكاء المسيح، هنا أيضاً، إلى ضعفه. والحزن هو من علامات المتصوّف الحقيقي. وكانت الأساطير عن ملوك اليمن القدماء متناقلة بكثرة في الأدب العربي الشعبي.

٢٤٩ وقال عيسى بن مريم: أوحى اللّه تعالى إلى الدنيا: من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه. يا دنيا، مرّي على أوليائي ولا تحاولي لهم فتفتنيهم.

الطرطوشي (ت. ٥٢٠/١١٢٦)، سراج الملوك، ٩١ [أسين، ٥٧٨ (رقم ١٨٠)؛ منصور، رقم ٢٠٥؛ ربسون، ٥٨]. انظر أيضاً الماوردي، أدب الدنيا والدين، ١٠٢؛ الأبشيهي، المستطرف، ٢: ٢٦٥.

كانت عبارة «الأولياء» العبارة المفضّلة عند أهل التصوّف للإشارة إلى أنفسهم.

٢٥٠ انتهى [عيسى بن مريم] إلى قرية قد خربت حصونها وجفّت أنهارها وتشعشعت شجرها فنادى: يا خرب، أين أهلك؟ فلم يجبه أحد. ثمّ نادى: يا خرب، أين أهلك؟ فنودي عيسى بن مريم عليه السلام: بادوا وتضمّنتهم الأرض وعادت أعمالهم قلايد في رقابهم إلى يوم القيامة. عيسى بن مريم، فجدّ.

الطرطوشي (ت. ٥٢٠/١١٢٦)، سراج الملوك، ٩٣ [أسين، ٥٧٨ (رقم ٢١٨١)؛ منصور، رقم ٢٠٧؛ ربسون، ١١٩].

انظر رقم ١٤. وصورة القلائد والأغلال المعلّقة في رقاب الكفّار هي من القرآن: انظر سورة سبأ ٣٤: ٣٣؛ انظر أيضاً سورة الرعد ١٣: ٥، وسورة يس ٣٦: ٨، وسورة غافر ٤٠: ٧١.

٢٥١ قال [عيسى]: لا ينبغي للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يُلتمس الحلم، ولا جائراً ومنه يُلتمس العدل.

الطرطوشي (ت. ٥٢٠/١١٢٦)، سراج الملوك، ١٨٢.

ينتمي الخبر إلى أدب «مرايا الأمراء» أكثر منه إلى المنحى العام لأقوال المسيح الذي نجده في هذا الكتاب. كان الحلم في فترة ما قبل الإسلام فضيلة مشكورة جدّاً، وكذلك الأمر عند الحكّام المسلمين وأهل النخبة.

٢٥٢ توفيّ رجل من الحواريّين فوجدوا عليه وجداً شديداً وشكوا ذلك إلى المسيح، فوقف على قبره فدعا فأحياه اللّه وفي رجليه نعلان من نار، فسأله عيسى عن ذلك فقال: واللّه ما عصيت قطّ إلاّ أنّني مررت بمظلوم فلم أنصره فتنعّلت هذين النعلين.

الطرطوشي (ت. ٥٢٠/١١٢٦)، سراج الملوك، ٤٤٧ [أسين، ٥٧٩ (رقم ١٨٣)؛ منصور، رقم ٢٠٩؛ ربسون، ١٢٠].

يوصي القرآن تكراراً بضرورة نصرة المحتاج: انظر على سبيل المثال سورة البقرة ٢: ٢٧٠، وسورة آل عمران ٣: ١٩٢، وسورة الأنفال ٨: ٧٢، وسورة الشورى ٤٢: ٨.

٢٥٣ قال المسيح عليه السلام: ما حلم من لم يصبر عند الجهل، وما قوّة من لم يردّ الغضب، وما عبادة من لم يتواضع

للربّ تعالى. عبادة النوكى المجيء في غير وقت والجلوس فوق القدرة. إذا وقعت الضرورة، ارتفعت المشورة.

الطرطوشي (ت. ٥٢٠/١١٢٦)، سراج الملوك، ٥٧٧ [أسين، ٥٧٩ (رقم ١٨٥)؛ منصور، رقم ٢١٠؛ ربسون، ٥٩]، وسراج الملوك، ٢٦٠.

تعني عبارة «الجهل» أيضاً استخدام العنف. والجملة الأخيرة هي من أسلوب السجع ولها ميزة المثل. وتذكّر عبارة «الجلوس فوق القدرة» بإنجيل متّى ٢٣ : ٦. والخبر بشكله الحالي هو على الأرجح مركّب من عدّة أخبار وينتمي إلى أسلوب الأدب.

ابن عساكر

٢٥٤ أشرف عيسى بن مريم على الغوطة فقال: يا غوطة، إن عجز الغنيّ أن يجمع منك كنزاً، لم يعجز المسكين أن يشبع منك خبزاً.

ابن عساكر (ت. ٥٧١/ ١١٧٥)، تأريخ مدينة دمشق، ٢: ١: ١١٧. انظر أيضاً الزمخشري، ربيع الأبرار، ١: ٢٥٩.

رغب ابن عساكر، ككثير من مؤرّخي المدن المسلمين، في توثيق العلاقة بين مدينته دمشق والأنبياء ومشاهير المسلمين من أجل إبراز فضائل دمشق للصديق كما للخصم. والغوطة هي منخفض زراعي خصب إلى الغرب من دمشق.

٢٥٥ قال عيسى بن مريم: خذوا الحقّ من أهل الباطل ولا تأخذوا الباطل من أهل الحقّ، كونوا منتقدين الكلام كيلا يكون فيكم الزيّوف.

ابن عساكر (ت. ٥٧١/ ١١٧٥)، سيرة السيّد المسيح، ١٦١ (رقم ١٧٦).

يركّز هذا الحديث البليغ على ضرورة قبول الحكمة مهما كان مصدرها. وكانت فكرة الزيّوف شائعة بين رواة الحديث النبوي، الذين كان يُتوقّع منهم تمييز الأحاديث الصحيحة عن الأحاديث الموضوعة، كتمييز الصرّاف للنقود السليمة من المزيّفة.

٢٥٦ عيسى بن مريم كان يقول: إنّ الذي يصلّي ويصوم ولا يترك الخطايا مكتوب في الملكوت كذاباً.

ابن عساكر (ت. ١١٧٥/٥٧١)، سيرة السيّد المسيح، ١٧٢-١٧٣ (رقم ١٩٦).

الكذب المُدان في هذا الخبر مذكور في صياغة تشبه صياغة الأخبار في الأناجيل.

٢٥٧ قال عيسى بن مريم: لا يجد أحد حقيقة الإيمان حتّى لا يحبّ أن يُحمد على طاعة اللّه.

ابن عساكر (ت. ١١٧٥/٥٧١)، سيرة السيّد المسيح، ١٧٥ (رقم ٢٠٠).

كره الحمد من البشر هو علامة المؤمن الحقيقي: انظر مثلاً إنجيل يوحنّا ١٢ : ٤٣، ورسالة بولس إلى أهل رومة ٢ : ٢٩.

٢٥٨ قال عيسى بن مريم: من أحسن فليرجُ الثواب، ومن أساء فلا يستنكر الجزاء، ومن أخذ عزّاً بغير حقّ أورثه اللّه ذلاً بحقّ، ومن أخذ مالاً بظلم أورثه اللّه فقراً بغير ظلم.

ابن عساكر (ت. ١١٧٥/٥٧١)، سيرة السيّد المسيح، ١٧٦ (رقم ٢٠٣).

حديث مصاغ ببراعة وتوازن لتسهيل حفظه.

٢٥٩ سأل رجل عيسى بن مريم: أيّ الناس أفضل؟ فأخذ

قبضتين من تراب فقال: أيّ هاتين أفضل؟ الناس خُلقوا من تراب، فأكرمهم أتقاهم.

ابن عساكر (ت. ٥٧١/ ١١٧٥)، سيرة السيّد المسيح، ١٧٦-١٧٧ (رقم ٢٠٤). انظر أيضاً الأبشيهي، المستطرف، ٢: ١٢ [أسين، ٥٨٦ (رقم ٢٠٠)؛ منصور، رقم ٢٤٠؛ ربسون، ٦٠].

انظر تعليق أسين بخصوص أخبار مشابهة في الكتاب المقدّس.

٢٦٠ روي أنّ روح اللّه عيسى بن مريم كان يقول: لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ولا يعمّر بك النادي.

ابن عساكر (ت. ٥٧١/ ١١٧٥)، سيرة السيّد المسيح، ١٨٧ (رقم ٢٢٤).

يشدّد الخبر، بأسلوب السجع البليغ، على أهميّة الحفظ والمعرفة وذلك بالمقارنة مع تجميع الكتب.

٢٦١ أوحى اللّه إلى عيسى: أكحل عينك بملمول الحزن إذا ضحك البطّالون.

ابن عساكر (ت. ٥٧١/ ١١٧٥)، سيرة السيّد المسيح، ٨١-٨٢ (رقم ٧٣).

يُستخدم الكحل في المناسبات السعيدة أكثر منه في المناسبات الحزينة. ويُنصح المسيح في هذا الخبر بإظهار الحزن في حضرة أهل السخرية.

٢٦٢ كانت مريم تقول: كان عيسى إذا كان عندي أحد يتحدّث معي سبّح في بطني، وإذا خلوت فلم يكن عندي أحد حدّثته وحدّثني وهو في بطني.

ابن عساكر (ت. ٥٧١/ ١١٧٥)، سيرة السيّد المسيح، ٣٠ (رقم ٦).

ربّما لهذا الخبر الغريب عن المسيح أثناء حمل مريم به علاقة بالقصص القرآني عن كلام المسيح في المهد: انظر سورة آل عمران ٣: ٤٦.

أبو الحجّاج البلوي

٢٦٣ يُذكر عن عيسى عليه السلام أنّه قال: يا ربّ، كيف أشكرك وشكري إيّاك نعمة منك عليّ يجب عليّ الشكر عليها؟ فقال [اللّه]: إذا علمت هذا فقد شكرتني.

البلوي (ت. ٦٠٤/١٢٠٧)، كتاب ألف باء، ١: ٣٧٠-٣٧١ [أسين، ٥٨٠ (رقم ١٨٦)؛ منصور، رقم ٢١٣؛ ربسون، ٩٢]. انظر أيضاً ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر (في موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا)، ٣: ١١-١٢ (رقم ٥-٦: مختلفان قليلاً ومنسوبان إلى داود وموسى).

البلوي أديب من الأندلس، أهدى كتابه في المختارات الأدبيّة إلى ولده ورتّبه وفقاً لحروف الأبجديّة، ومن هنا جاء اسمه كتاب ألف باء. وهو بمثابة كرّاس مدرسي.

يشبه الخبر الأحجيّة اللاهوتيّة وله صلة بالخلاف في علم الكلام بين الإيمان بأنّ الأفعال مقدّرة من اللّه وبين أنّها من خلق الإنسان. وإذا كان اللّه هو الخالق لأفعال البشر، فكيف يكون هناك من شكر حقيقي له؟ على الرغم من ذلك، يستوجب قبول المؤمن الحقيقي للغز كهذا ثواباً من اللّه.

٢٦٤ كان معها (مع مريم) في المحراب ابن خال لها يُقال له يوسف، كان يخدمها من وراء حجاب ويكلّمها كذلك، وكان أوّل من اطّلع على حملها فاهتمّ لذلك وأحزنه وخاف أن يقع في الإثم وسوء الظنّ فقال لها: يا مريم، هل يكون زرع من غير

بذر؟ قالت: نعم. قال: وكيف ذلك؟ قالت: إنّ اللّه خلق البذر الأوّل من غير نبات، فلعلّك تقول لولا أنّه استعان بالبذر لغلبه! قال يوسف: أعوذ باللّه. ثمّ قال لها: وهل ينبت الشجر من غير ماء ولا مطر؟ قالت: ألم تعلم أنّ للبذر والزرع والماء والمطر والشجر خالقاً واحداً. ثمّ قال لها: هل يكون ولد أو حمل من غير ذكر؟ قالت: نعم. قال: وكيف ذلك؟ قالت: ألم تعلم أنّ اللّه خلق آدم وحوّاء امرأته من غير حبل ولا ذكر ولا أمّ؟ قال: بلى. قال: فأخبريني خبرك؟ قالت: فإنّ اللّه بشّرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم.

البلوي (ت. ٦٠٤/١٢٠٧)، كتاب ألف باء، ١: ٤٠٦ [أسين، ٥٨٠ (رقم ١٨٧)؛ منصور، رقم ٢١٤].

الحوار بين يوسف النجّار ومريم له هنا أيضاً مضمون لاهوتي، ويحاكي بعض حجج علماء الكلام المسلمين في الدفاع عن عذريّة مريم. تقارن سورة آل عمران ٣: ٥٩ خلق المسيح بخلق آدم: كلاهما خُلق من «تراب» ثمّ جاء الأمر الإلهي «كن» فأعطاهما الحياة.

نجد في بعض الأناجيل القبطيّة المنحولة، بالتحديد الكتاب المسمّى موت يوسف، حواراً بين يوسف والمسيح يبدي فيه يوسف استغرابه لفكرة الولادة العذريّة: «أنا لا أعلم، يا سيّدي، ولا أفهم أيضاً، لغز ولادتك الغريبة، ولم أسمع بحياتي عن امرأة حملت من دون رجل، أو أنّ عذراء تحبل وتبقى عذريّتها». انظر:

Forbes Robinson, Coptic Apocryphal Gospels, in J. Armitage Robinson (ed.), *Texts and Studies: Contributions to Biblical and Patristic Literature,* vol. 4, no. 2 (Cambridge: Cambridge University Press, 1896), pp. 137 and 154.

٢٦٥ وقال عيسى عليه السلام: احتملوا من السفيه كلمة تربحوا عشراً.

البلوي (ت. ٦٠٤/١٢٠٧)، كتاب ألف باء، ١: ٤٦٤ [أسين، ٥٨١ (رقم ١٨٨)؛ منصور، رقم ٢١٥؛ ربسون، ٥٩].

انظر رقمي ٨٠ و١٠٠.

ورّام

٢٦٦ عيسى عليه السلام: يا بني إسرائيل، لا تكثروا الأكل فإنّه من أكثر الأكل أكثر النوم، ومن أكثر النوم أقلّ الصلاة، ومن أقلّ الصلاة كُتب من الغافلين.

ورّام (ت. ٦٠٥/١٢٠٨)، مجموعة، ١: ٤٧.

ورّام بن أبي فراس من المحدّثين الشيعة البارزين وهو من أحفاد مالك الأشتر أحد أصحاب الإمام علي. تصفه المصادر كزاهد، وكانت مجموعته عن الأخلاق وأخبار الزهد معروفة جدّاً. وكما هو الأمر عند الكثير من المؤلّفين الشيعة، أضاف ورّام أخباراً تتعلّق بالطعام والصحّة، والتي تُبرز المسيح كنبيّ يشفي المرضى: انظر رقم ١٥٢.

٢٦٧ أوحى اللّه إلى عيسى عليه السلام: أن كن للناس في الحلم كالأرض تحتهم، وفي السخاء كالماء الجاري، وفي الرحمة كالشمس والقمر فإنّهما يطلعان على البرّ والفاجر.

ورّام (ت. ٦٠٥/١٢٠٨)، مجموعة، ١: ٨٠.

محاكاة لإنجيل متّى ٥: ٤٥.

٢٦٨ عيسى عليه السلام: كيف يكون من أهل العلم من

يشار به إلى آخرته وهو مقبل على دنياه، وما يضرّه أشهى إليه ممّا ينفعه.

ورّام (ت. ٦٠٥/١٢٠٨)، مجموعة، ١: ٨٣.

نقد موجّه للعلماء الذين همّهم الدنيا.

٢٦٩ صنع عيسى عليه السلام للحواريّين طعاماً فلمّا أكلوا وضّأهم بنفسه وقالوا: يا روح اللّه، نحن أولى أن نفعله منك. قال: إنّما فعلت هذا لتفعلوه بمن تعلّمون.

ورّام (ت. ٦٠٥/١٢٠٨)، مجموعة، ١: ٨٣.

انظر إنجيل يوحنّا ١٣: ١-١٦.

٢٧٠ قال عيسى: اشتدّت مؤنة الدنيا ومؤنة الآخرة. أمّا مؤنة الدنيا فإنّك لا تمدّ يدك إلى شيء منها إلاّ وجدت فاجراً قد سبقك عليه. وأمّا مؤنة الآخرة فإنّك لا تجد عليها أعواناً يعينونك.

ورّام (ت. ٦٠٥/١٢٠٨)، مجموعة، ١: ١٤٦.

السياق المباشر لهذا الخبر هو وصف أهوال يوم القيامة، والتي يُقال عنها إنّ عدد مواقفها خمسون موقفاً وكل موقف يدوم ألف سنة. والخبر أيضاً تسبقه بضع صفحات تحوي نصائح وعتاباً من اللّه للمسيح.

السهروردي

٢٧١ عيسى بن مريم عليه السلام قال: ربّي، أنبئني عن هذه الأمّة المرحومة؟ قال: أمّة محمّد عليه الصّلاة والسّلام،

علماء أخفياء أتقياء حلماء كأنّهم أنبياء، يرضون منّي بالقليل من العطاء، وأرضى منهم باليسير من العمل، وأدخلهم الجنّة بلا إله إلاّ اللّه. يا عيسى، هم أكثر سكّان الجنّة لأنّهم لم تذلّ ألسن قوم قطّ بلا إله إلاّ اللّه كما ذلّت ألسنتهم، ولم تذلّ رقاب قوم قطّ بالسجود كما ذلّت رقابهم.

السهروردي (ت. ٦٣٢/ ١٢٣٤)، عوارف المعارف، ٢: ١٥٩.

السهروردي من مشاهير منظّري علم التصوّف، وكتابه عوارف المعارف له شبه بكتاب إحياء علوم الدين للغزالي. الخبر بالشكل حديث قدسي القصد منه الثناء والمديح لأمّة محمّد.

٢٧٢ روي عن عيسى عليه السلام أنّه قال: إنّ اللّه تعالى يبغض الضحّاك من غير عجب، المشّاء في غير أرب. وذكر فرق بين المداعبة والمزاح.

السهروردي (ت. ٦٣٢/ ١٢٣٤)، عوارف المعارف، ٢: ٥٨٣ [أسين، ٥٨٣ (رقم ١٩١)؛ منصور، رقم ٢١٧؛ ربسون، ٥٩-٦٠].

انظر رقم ١٦٣. كان كره الضحك والهزل شائعاً في أوساط المتديّنين والزهّاد في الشرق الأدنى القديم: انظر
Hertz, *Sayings of the Fathers,* p. 47 (no. 17); and Ward, *The Sayings of The Desert Fathers,* p. 87 (no. 9).

٢٧٣ ورد عن عيسى صلوات اللّه عليه: لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرّتين.

السهروردي (ت. ٦٣٢/ ١٢٣٤)، عوارف المعارف، ١: ١٧٤ [أسين، ٥٨٣ (رقم ١٩٠)؛ منصور، رقم ٢١٦؛ ربسون، ٥٩]. انظر أيضاً [أسين، ٥٩٢ (رقم ٢٠٧)؛ ربسون، ٦١ : الخبر أطول]

يقترح أسين كشبيه لهذا الخبر إنجيل يوحنّا ٣: ٣-٨. والتجدّد الروحاني هو بالطبع مبدأ أساسي عند الغنوصيّين المسيحيّين. على هذا الأساس، لا يمكن استبعاد أصل غنوصي له.

أبو الفرج ابن الحنبلي

٢٧٤ ضاف بعيسى بن مريم أقوام فقدّم لهم خبزاً وخلاً وقال: لو كنت متكلّفاً لأحد شيئاً لتكلّفت لكم.

أبو الفرج ابن الحنبلي (ت. ٦٣٤/١٢٣٦)، الاستسعاد بمن لقيته من العباد، ١٨٠.

ابن الحنبلي فقيه دمشقي وخبير في رواية الحديث والوعظ، وينحدر من عائلة شهيرة بالعلم. يُبرز الخبر الأساس الزهدي لطبيعة حياة المسيح.

محيي الدين بن العربي

٢٧٥ قال [عيسى عليه السلام]: عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنّوا إليكم، وإن مُتُّم بكوا عليكم.

ابن العربي (ت. ٦٣٨/ ١٢٤٠)، محاضرة الأبرار، ٢: ٢ [أسين، ٥٨٥ (رقم ١٩٦)؛ منصور، رقم ٢١٩؛ ربسون، ٦٠].

ابن العربي من أشهر مفكّري علم التصوّف قاطبةً. مؤلّفاته كثيرة وشهرته أثارت جدلاً كبيراً، خصوصاً لما كان له من دور رائد في إيجاد اتّجاهات جديدة وبلورة نظام باطنيّ ـ فلسفيّ في الفكر الصوفي. يلعب مفهوم الشوق في النظام الأخلاقي عند ابن العربي دوراً أساسيّاً في علاقة الإنسان باللّه، وكذلك الأمر في علاقته بالآخرين.

٢٧٦ قال عيسى بن مريم عليهما السلام: يا معاشر الفقهاء، قعدتم على طريق الآخرة فلا أنتم مشيتم فوصلتم إليها ولا أنتم تركتم أحداً يجوزكم إليها، فالويل لمن اغترّ بكم.

ابن العربي (ت. ٦٣٨/ ١٢٤٠)، محاضرات الأبرار، ٢: ٣٠ [أسين، ٥٨٥ (رقم ١٩٧)؛ منصور، رقم ٢٢٠؛ ربسون، ٩٢].

شهد عصر ابن العربي الكثير من التشنّج في العلاقة بين المتصوّفة وعلماء الفقه. لمزيد من المعلومات عن ذلك العصر، انظر
T. Khalidi, *Arabic Historical Thought*, pp. 210-215.
وقد أدخل المتصوّفة المسيح في هذا الجدال لدعم آرائهم، بالتحديد لشهرته في هجاء العلماء المتزمتين. ويشبه الخبر في بعض جوانبه توبيخ المسيح للفريسيّين والكتبة في إنجيل لوقا ١١: ٥٢.

٢٧٧ بلغنا أنّ عيسى بن مريم عليه السلام مرّ بأربعماية ألف امرأة متغيّرات الألوان وعليهنّ مدارج الشعر والصوف، فقال عيسى عليه السلام: ما الذي غيّر ألوانكنّ معاشر النسوة؟ قلن: ذِكر النار غيّر ألواننا يا ابن مريم، إنّ من دخل النار لا يذوق برداً ولا شراباً.

ابن العربي (ت. ٦٣٨/ ١٢٤٠)، محاضرات الأبرار، ٢: ٢٥٣ [أسين، ٤١٢ (رقم ٨٤ج)؛ منصور، رقم ٢٢١؛ ربسون، ١٠٠-١٠١].

يشير الحوار بين المسيح والنساء النادمات إلى أنّه من الممكن ترغيب غالبيّة النساء، الشائع عنهنّ قدرتهن على الإغواء، على الابتعاد عن المعصية؛ ويعني الرقم المذكور في هذا الخبر ـ ٤٠٠ ألف ـ العدد العظيم.

٢٧٨ جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام في صورة شيخ في

ظاهر الحسن فقال لعيسى عليه السلام: يا عيسى، قل لا إله إلاّ اللّه؟ ورضي منه أن يطيع أمره في هذا القدر. فقال عيسى عليه السلام: أقولها لا لقولك لا إله إلاّ اللّه. فرجع خاسئاً.

ابن العربي (ت. ٦٣٨/ ١٢٤٠)، الفتوحات المكّيّة، ١: ٣٦٨-٣٦٩ [منصور، رقم ٢٢٢].

انظر رقم ٢٠٦. يتفوّق المسيح على إبليس حذاقةً في نقاش روحاني يذكرنا بقول الإمام علي: «لا تعرف الحق بالرجال. اعرف الحق تعرف أهله».

٢٧٩ قال عيسى عليه الصَّلاة والسلام: يا بني إسرائيل، اعلموا أنّ مثل دنياكم مع آخِرتكم كمثل مشرقكم مع مغربكم. كلّما أقبلتم إلى المشرق، بعدتم من المغرب. وكلّما أقبلتم إلى المغرب، ازددتم من المشرق بعداً. أوصاهم بهذا المثل أن يقربوا من الآخرة بالأعمال الصالحة.

ابن العربي (ت. ٦٣٨/ ١٢٤٠)، الفتوحات المكّيّة، ٤: ٦٦٢ [أسين، ٥٨٣ (رقم ١٩٣)؛ منصور، رقم ٢٢٤؛ ربسون، ٧٧]. انظر أيضاً ابن حمدون، التذكرة الحمدونيّة، ٥٨-٥٩؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ١: ٤٥ (منسوب إلى الإمام عليّ)؛ ورّام، مجموعة، ٢: ٢٤.

عبارة «كبعد المشرق عن المغرب» قديمة كقدم سفر المزامير ١٠٣: ١٢.

٢٨٠ قال عيسى عليه الصَّلاة والسلام لبعض أصحابه يوصيه: صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت، وكن كالمداوي جرحه بالدواء خشية أن يثقل عليه، وعليك بكثرة ذكر الموت

فإنّ الموت يأتي إلى المؤمن بخير لا شرّ بعده وإلى الشرّير بشرّ لا خير بعده.

ابن العربي (ت. ٦٣٨/ ١٢٤٠)، الفتوحات المكّيّة، ٤: ٦٦٣ [أسين، ٥٨٤ (رقم ١٩٤)؛ منصور، رقم ٢٢٥؛ ربسون، ٦٠].

الصياغة الأنيقة لهذا الخبر بخصوص التنبيه لأهميّة الحياة في زهد كامل والتحذير بضرورة تذكّر الموت باستمرار هما نموذجان من الروحانيّة الصوفيّة.

سبط ابن الجوزي

٢٨١ لقي عيسى عليه السلام إبليس فقال: أسألك بالحيّ القيّوم، ما الذي يقطع ظهرك؟ قال: صهيل الخيل في سبيل اللّه.

سبط ابن الجوزي (ت. ٦٥٤/١٢٥٦)، مرآة الزمان، ٨: ٤٩٤.

سبط ابن الجوزي من مشاهير المؤرّخين المسلمين، وهو ينتمي إلى عائلة نبغ الكثير من أفرادها في ميادين العلم. يشير الخبر إلى الفترة الحرجة حين ظهر خطر الصليبيّين والمغول في قلب العالم الإسلامي، تحديداً العراق وبلاد الشام ومصر. والمسيح هنا يُستشهد به لاستنهاض عزيمة المسلمين وحملهم على الجهاد في سبيل اللّه.

ابن واصل

٢٨٢ كان العوريس رأى في منامه كأنّ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أخرج رأسه له من السماء فقال له العوريس: الصلب حقّ؟ فقال المسيح عليه السلام: نعم الصلب حقّ.

فقصّ العوريس رؤياه على معبّر، فقال المعبّر: الذي رأى هذه الرؤيا يُصلب لأنّ المسيح معصوم فلا يقول إلاّ حقّاً، ولا يمكن كون ذلك راجعاً إلى المسيح عليه السلام، لأنّ القرآن العظيم قد نصّ بأنّه لم يُصلب ولم يُقتل، فبقي أن يكون ذلك راجعاً إلى الرائي، فهو الذي يُصلب. فكان الأمر كما قال المعبّر.

ابن واصل (ت. ٦٩٧/١٢٩٨)، مفرّج الكروب، ١: ٢٤٨. انظر أيضاً الأبشيهي، المستطرف، ٢: ٨٣ (اختلاف بسيط).

الخبر غريب جدّاً، ويظهر فيه المسيح، على الأقلّ في حلم نائم، لتأكيد حقيقة صلبه. والعوريس شخصيّة إسلاميّة تاريخيّة، والمصدر المأخوذ منه هذا الخبر هو تأريخ للعصر الأيّوبي ولحروبهم ضد الصليبيّين.

تاج الدين السبكي

٢٨٣ قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريّين، العين مُسِرّة في الدنيا مُضِرّة في الآخرة. بحقّ أقول لكم، لا يدخل الأغنياء ملكوت السماء.

تاج الدين السبكي (ت. ٧٧١/ ١٣٧٠)، طبقات الشافعيّة، ٤: ١٣٤.

السكبي مؤلّف أهمّ كتاب لتراجم علماء المذهب الشافعي. والخبر خليط من الإنجيل، بالتحديد العبارة الأخيرة منه، ومن خارج الأناجيل.

الدميري

٢٨٤ [ذكر أهل التأريخ وأصحاب السير أنّ رجلاً من بني إسرائيل اسمه إسحاق في زمن عيسى بن مريم عليهما السلام

كان له ابنة عمّ من أجمل أهل زمانها وكان مغرماً بها فماتت فلزم قبرها ومكث زماناً لا يفتر عن زيارته، فمرّ به عيسى يوماً وهو على قبرها يبكي فقال له عيسى عليه السلام: ما يبكيك يا إسحاق؟ فقال: يا روح اللّه، كانت لي ابنة عمّ وهي زوجتي وكنت أحبّها حبّاً شديداً وإنّها قد توفّيت وهذا قبرها وإنّي لا أستطيع الصبر عنها وقد قتلني فراقها. فقال له عيسى: أتحبّ أن أحييها لك بإذن اللّه؟ قال: نعم يا روح اللّه. فوقف عيسى على القبر وقال: قم يا صاحب هذا القبر بإذن اللّه. فانشقّ القبر وخرج منه عبد أسود والنار خارجة من مناخره وعينيه ومنافذ وجهه وهو يقول: لا إله إلاّ اللّه عيسى روح اللّه وكلمته وعبده ورسوله. فقال إسحاق: يا روح اللّه وكلمته، ما هذا القبر الذي فيه زوجتي وإنّما هو هذا. وأشار إلى قبر آخر. فقال عيسى للأسود: ارجع إلى ما كنت فيه. فسقط ميّتاً فواراه في قبره. ثمّ وقف على القبر الآخر وقال: قم يا ساكن هذا القبر بإذن اللّه. فقامت المرأة وهي تنثر التراب عن وجهها، فقال عيسى: هذه زوجتك؟ قال: نعم يا روح اللّه. قال: خذ بيدها وانصرف. فأخذها ومضى فأدركه النوم فقال لها: إنّه قد قتلني السهر على قبرك وأريد أن آخذ لي راحة. قالت: افعل. فوضع رأسه على فخذها ونام. فبينما هو نائم إذ مرّ عليها ابن الملك، وكان ذا حسن وجمال وهيئة عظيمة، راكباً على جواد حسن فلمّا رأته هويته وقامت إليه مسرعة، فلمّا نظرها وقعت في قلبه فأتت إليه وقالت: خذني. فأردفها على جواده وسار. فاستيقظ زوجها

ونظر فلم يرها فقام يطلبها وقصّ أثر الجواد فأدركهما وقال لابن الملك: أعطني زوجتي وابنة عمّي؟ فأنكرته وقالت: أنا جارية ابن الملك. فقال: بل أنت زوجتي وابنة عمّي. فقالت: لا أعرفك وما أنا إلاّ جارية ابن الملك. فقال له ابن الملك: أفتريد أن تفسد جاريتي؟ فقال: واللّه إنّها لزوجتي وإنّ عيسى بن مريم أحياها لي بإذن اللّه بعد أن كانت ميّتة. فبينما هم في المنازعة إذ مرّ عيسى صلّى اللّه عليه وسلّم، فقال إسحاق: يا روح اللّه، أما هذه زوجتي التي أحييتها لي بإذن اللّه؟ قال: نعم. فقالت: يا روح اللّه، إنّه يكذب وإنّي جارية ابن الملك. وقال ابن الملك: هذه جاريتي. قال عيسى: ألست التي أحييتك بإذن اللّه؟ قالت: لا واللّه يا روح اللّه. قال: فردّي علينا ما أعطيناك. فسقطت ميّتة، فقال عيسى: من أراد أن ينظر إلى رجل أماته اللّه كافراً ثمّ أحياه وأماته مسلماً، فلينظر إلى ذلك الأسود. ومن أراد أن ينظر إلى امرأة أماتها اللّه مؤمنة ثمّ أحياها وأماتها كافرة فلينظر إلى هذه. وإنّ إسحاق الإسرائيلي عاهد اللّه تعالى أن لا يتزوّج أبداً وهام على وجهه في البراري باكياً.

الدميري (ت. ٨٠٨/ ١٤٠٥)، حياة الحيوان الكبرى، ١: ٢٠٢-٢٠٣ [أسين، ٥٨٨-٥٨٩ (رقم ٢٠٣)؛ منصور، رقم ٢٣١؛ ربسون، ١٢٢-١٢٥].

اشتهر الدميري لتأليفه كتاباً عن الحيوان. لكن الكتاب يركّز على النواحي الأدبيّة والأخلاقيّة أكثر منه على علم الحيوان. هناك عدّة جوانب من القصّة الطويلة عن المسيح وإسحاق الإسرائيلي شبيهة بأخبار موجودة في الأعمال المنحولة المنسوبة إلى رسل المسيح. بخصوص العبد الأسود، انظر مثلاً:

The Acts of Philip, in James, *The Apocryphal New Testament*, p. 451.

أمّا بخصوص خبر زوجة إسحاق، فنجد شبيهاً له في قصّة ابنة البستاني في المصدر السابق أيضاً، صفحة ٣٠٣.

٢٨٥ لقي [عيسى عليه السلام] إبليس وهو يسوق خمسة أحمرة عليها أحمال، فسأله عن الأحمال فقال: تجارة أطلب لها مشترين. قال: وما هي التجارة؟ قال: أحدها الجور. قال: ومن يشتريه؟ قال: السلاطين. والثاني الكبر. قال: ومن يشتريه؟ قال: الدهّاقين. والثالث الحسد. قال: ومن يشتريه؟ قال: العلماء. والرابع الخيانة. قال: ومن يشتريه؟ قال: عمّال التجارة. والخامس الكيد. قال: ومن يشتريه؟ قال: النساء.

الدميري (ت. ٨٠٨/ ١٤٠٥)، حياة الحيوان الكبرى، ١: ٢٢٥ [منصور، رقم ٢٢٩]. انظر أيضاً الأبشيهي، المستطرف، ٢: ٢١٥.

يدخل هذا الحوار بصياغة سؤال وجواب بين المسيح وإبليس في نطاق أسلوب الأدب. ونجد في كثير من كتب المختارات الأدبيّة أشباهاً له منسوبة إلى شخصيّات تاريخيّة شهيرة، بالأكثر في سياق حوارات بين أمراء وحكماء.

٢٨٦ مرّ [عيسى عليه الصلاة والسلام] بحاوٍ يطارد حيّة فقالت له الحيّة: يا روح اللّه، قل له لئن لم يلتفت عنّي لأضربنّه ضربة أقطّعه قطعاً. فمرّ عيسى عليه الصلاة والسلام ثمّ عاد فإذا الحيّة في سلّة الحاوي فقال لها عيسى عليه السلام: ألست القائلة كذا وكذا، فكيف صرتِ معه؟ فقالت: يا روح اللّه، إنّه قد حلف لي والآن غدر بي، فسمّ غدره أضرّ عليه من سمّي.

الدميري (ت. ٨٠٨/ ١٤٠٥)، حياة الحيوان الكبرى، ١: ٢٥٢ [منصور، رقم ٢٣٠].

رأينا سابقاً في بعض الأخبار كيف يظهر المسيح كمستنطق للطبيعة وللحيوان. نجد فكرة الأفعى كمخلوق حكيم في الأناجيل: انظر مثلاً إنجيل متّى ١٠ : ١٦. انظر أيضاً قصّة المسيح والأفعى في رقم ١٢٣.

٢٨٧ بينما عيسى بن مريم ويحيى بن زكريّا عليهما السلام سائران إذ رأيا شاة وحشيّاً ماخضاً فقال عيسى ليحيى: قل تلك الكلمات: حنّة ولدت يحيى ومريم ولدت عيسى، الأرض تدعوك يا ولد، أخرج يا ولد. [قال حمّاد بن زيد:] فما يكون في الحيّ امرأة ماخض فيقال هذا عندها فلا تبرح حتّى تضع بإذن اللّه تعالى.

الدميري (ت. ٨٠٨/ ١٤٠٥)، حياة الحيوان الكبرى، ١: ٢٤٠ [منصور، رقم ٢٣٢].

يشبه القسم الأوّل من هذا الخبر بعض الشيء قصّة البقرة أثناء الوضع في رقم ١٠٣. والقسم الثاني هو تعليق على القصّة من قبل الراوي المسلم.

الأبشيهي

٢٨٨ وقال عيسى صلوات اللّه وسلامه عليه: من ردّ سائلاً خائباً لم تغشَ الملائكة ذلك البيت سبعة أيّام.

الأبشيهي (ت. ٨٩٢/ ١٤٨٧)، المستطرف، ١: ٩.

الأبشيهي من أواخر مؤلّفي المختارات الأدبيّة العربيّة الكلاسيكيّة. وكان لكتابه هذا شهرة كبيرة في أواخر فترة المماليك وفي العصر العثماني. يشبه الخبر هنا شكلاً ومضموناً الحديث النبوي.

٣٨٩ قال عيسى عليه السلام: عالجت الأبرص والأكمه فأبرأتهما، وعالجت الأحمق فأعياني، والسكوت عن الأحمق جوابه.

الأبشيهي (ت. ٨٩٢/١٤٨٧)، المستطرف، ١: ١٦. انظر أيضاً الغزالي، أيّها الولد، ١٣٨ (الخبر أقصر) [منصور، رقم ١٨٩].

يحاكي الكلام المنسوب إلى المسيح حكمة خالدة كثيراً ما نجدها في أدبيّات الشرق الأدنى القديم وأيضاً في المصادر الإغريقيّة. أوّل من شدّد في الأدبيّات الإسلاميّة على ضرورة اعتزال أصحاب الفكر عن العامّة الجهّال هو الكاتب ابن المقفّع (ت. حوالي ١٣٩/٧٥٦). ونجد قولاً شبيهاً في الكتاب المقدّس في سفر الأمثال ٢٦: ٤.

عبد الوهّاب الشعراني

٢٩٠ قال رجل لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام: أوصني؟ قال: انظر خبزك من أين هو.

الشعراني (ت. ٩٧٣/ ١٥٦٥)، الطبقات الكبرى، ١: ٥٣ [أسين، ٥٩٣ (رقم ٢٠٩)؛ منصور، رقم ٢٤٦؛ ربسون، ٦١].

كان الشعراني أشهر المتصوّفة في زمانه. وبرع أيضاً كمؤرّخ، وله عدد كبير من المؤلّفات في ميادين مختلفة من العلوم الإسلاميّة. يعكس الخبر الغريب بعض الشيء المبدأ الإسلامي العام القاضي بضرورة تحرّي الفرد لمصدر رزقه تجنّباً للكسب الحرام.

٢٩١ مرّ [عيسى عليه الصلاة والسلام] على شخص يعمل البراذع وهو يقول في سجوده: يا ربّ، لو علمت أين حمارك الذي تركبه لعملت له برذعة ورصّعتها بالجواهر. فحرّكه المسيح

وقال: ويحك! أولله تعالى حمار! فأوحى اللّه تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام: دع الرجل، فإنّه مجّدني بقدر وسعه.

الشعراني (ت. ٩٧٣/ ١٥٦٥)، لطائف المنن، ٥١ (أسين، ٥٩٣ (رقم ٢٠٨)؛ منصور، رقم ٢٤٩؛ ربسون، ١٢٥-١٢٦]. انظر أيضاً الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١: ٢٢٩ (اختلاف بسيط).

تشبه قصّة المسيح هذه مع الرجل البسيط الإيمان، بالشكل والمضمون، بعض القصص في الأناجيل، وأيضاً بعض الأحاديث النبويّة، حيث يُلاحظ سماحة النبيّ محمّد مع بسيطي العقل.

المجلسي

٢٩٢ إنّ إبليس قال لعيسى بن مريم: أيقدر ربّك على أن يدخل الأرض بيضة لا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة؟ فقال عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام: ويلك، إنّ اللّه لا يوصف بعجز، ومن أقدر ممّن يلطف الأرض ويُعظّم البيضة.

المجلسي (ت. ١١١٠/١٦٩٨)، بحار الأنوار، ٤: ١٤٢. انظر أيضاً Qa'im and Legenhausen, *Al-Tawhid* 13/3, 25 (no. 2).

المجلسي من أكثر المؤلّفين الشيعة تأثيراً في الفكر الشيعي، وقد برز، بالإضافة إلى شهرته كمحدّث، كعالم موسوعي المعرفة وكأحد رجال المجتمع المرموقين في عصره. لمزيد من المعلومات عن حياته ومؤلّفاته، انظر الموسوعة الإسلاميّة *Encyclopedia of Islam 2*.

الخبر أشبه بمعضلة لاهوتيّة متعلّقة بقدرة اللّه على خلق المعجزات. ومن الآراء الإسلاميّة الشائعة أنّ اللّه قادر حقّاً على قلب النظام الطبيعي رأساً على عقب، لكن أعظم معجزاته قاطبةً هي القرآن.

٢٩٣ قال عيسى بن مريم: الدينار داء الدين، والعالم طبيب الدين، فإذا رأيتم الطبيب يجرّ الداء إلى نفسه فاتّهموه واعلموا أنّه غير ناصح لغيره.

المجلسي (ت. ١١١٠/١٦٩٨)، بحار الأنوار، ١٤: ٣١٩. انظر أيضاً Qa'im and Legenhausen, *Al-Tawhid* 13/3, 37-38 (no. 50).

يوجد خبر مشابه لهذا في الأدبيات السريانيّة: انظر Budge, *The Laughable Stories*, p. 76 (no. 309).

٢٩٤ وقال عيسى: بماذا نفع امرؤ نفسه، باعها بجميع ما في الدنيا ثمّ ترك ما باعها به ميراثاً لغيره وأهلك نفسه! ولكن طوبى لامرئ خلّص نفسه واختارها على جميع الدنيا.

المجلسي (ت. ١١١٠/١٦٩٨)، بحار الأنوار، ١٤) ٣٢٩. انظر أيضاً Qa'im and Legenhausen, *Al-Tawhid* 13/3, 36 (no. 47).

إعادة صياغة لإنجيل متّى ١٦: ٢٥-٢٦.

٢٩٥ قام عيسى بن مريم خطيباً في بني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل، لا تأكلوا حتّى تجوعوا، وإذا جعتم فكلوا ولا تشبعوا، فإنّكم إذا شبعتم غلظت رقابكم وسمنت جنوبكم ونسيتم ربّكم.

المجلسي (ت. ١١١٠/١٦٩٨)، بحار الأنوار، ٦٦: ٣٣٧. انظر أيضاً Qa'im and Legenhausen, *Al-Tawhid* 13/3, 36 (no. 45).

خبر آخر متعلّق بالغذاء السليم وعلاقته بالحياة الصالحة: انظر رقمي ١٥٢ و٢٦٦.

٢٩٦ قال الحواريون لعيسى بن مريم: يا معلّم الخير، علّمنا أيّ الأشياء أشدّ؟ فقال: أشدّ الأشياء غضب اللّه عزّ وجلّ. قالوا: فبمَ يُتّقى غضب اللّه؟ قال: بأن لا تغضبوا. قالوا: وما بدء الغضب؟ قال: الكِبر والتجبّر ومحقرة الناس.

المجلسي (ت. ١١١٠/١٦٩٨)، بحار الأنوار، ٦٦: ٣٣٧. انظر أيضاً Qa'im and Legenhausen, *Al-Tawhid* 13/3, 39 (no. 56).

خبر معقّد ومعناه غير واضح كلّيّاً. يبدو المسيح كأنّه يعظ ضدّ قسوة القلب وحياة البذخ. ويقوم اللّه من خلال هاتين المعصيتين بمقاصصة العاصي، إمّا بطرده من حضرته أو تركه يتخبّط في المعصية.

٢٩٧ بعث عيسى بن مريم رجلين من أصحابه في حاجة فرجع أحدهما مثل الشنّ البالي والآخر شحماً وسميناً فقال للذي مثل الشنّ: ما بلغ منك ما أرى؟ قال: الخوف من اللّه. وقال للآخر السمين: ما بلغ بك ما أرى؟ فقال: حسن الظنّ باللّه.

المجلسي (ت. ١١١٠/١٦٩٨)، بحار الأنوار، ٧٠: ٤٠٠. انظر أيضاً Qa'im and Legenhausen, *Al-Tawhid* 13/3, 34 (no. 38).

الخوف من اللّه وحسن الظنّ به هما فضيلتان مشكورتان. ويجسّد تلميذا المسيح بالأساس ناحيتين مكمّلتين للإيمان الصادق، خصوصاً كما تبرز في أخلاقيّات أهل التصوّف.

عبد الغني النابلسي

٢٩٨ قال عيسى عليه السلام: إن كنت قلته فقد علمته لأنّك أنت القائل في صورتي وأنت اللسان الذي أتكلّم به،

يحكم أنّك متّحد في هويّتي وعيني.

النابلسي (ت. ١١٤٣/١٧٣١)، نقلاً عن [أسين، ٥٩٥ (رقم ٢١٥)؛ منصور، رقم ٢٥٠؛ ربسون، ٩٣].

النابلسي، وهو رحّالة صوفي من فلسطين، من أشهر وجوه مفكّري التصوّف في فترة ما قبل العصر الحديث مباشرة وله مؤلّفات في مواضيع عديدة. عبارة «**إن كنت قلته فقد علمته**» هي من القرآن (انظر سورة المائدة ٥ : ١١٦) يقولها المسيح للّه في إطار نفيه أنّه ادّعى الألوهيّة. وبقيّة الخبر تبدو أنّها إعادة صياغة بأسلوب صوفي لِلَقَبي المسيح: «روح اللّه» و«كلمة اللّه».

الزبيدي

٢٩٩ عيسى بن مريم عليه السلام قال: ويلكم يا عبيد الدنيا، ماذا يغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها! كذلك لا يغني عن العالِم كثرة علمه إذا لم يعمل به. ما أكثر أثمار الشجر وليس كلّها ينفع ولا يؤكل. وما أكثر العلماء وليس كلّهم ينتفع بما علم. فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم لباس الصوف منكّسين رؤوسهم للأرض، يرمقون من تحت حواجبهم كما ترمق الذئاب. قولهم مخالف فعلهم. من يجتني من الشوك العنب ومن الحنظل التين! كذلك لا يثمر قول العالِم الكذّاب إلاّ زوراً، لأنّ البعير إذا لم يوثقه صاحبه في البرّيّة، نزع إلى وطنه وأهله. وإنّ العلم إذا لم يعمل به صاحبه خرج من صدره وتخلّى منه وعطّله. وإن الزرع إلاّ بالماء والتراب، كذلك لا يصلح الإيمان إلاّ بالعلم والعمل. ويلكم يا عبيد الدنيا، إنّ

لكلّ شيء علامة يُعرف بها ويُشهد له أو عليه، وإنّ للدين ثلاث علامات يُعرف بهن الإيمان والعلم والعمل.

الزبيدي (ت. ١٢٠٥/١٧٩١)، إتحاف السادة المتّقين، ١: ٢٢٩-٢٣٠ [أسين، ٥٩٦ (رقم ٢١٦)؛ منصور، رقم ٢٥١؛ ربسون، ٩٤]. انظر أيضاً أبو حيّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ٢: ١٢٣.

الزبيدي من عظماء علماء اليمن، ومؤلّف أضخم معجم شامل للغة العربيّة. والخبر هنا مركّب من أخبار مختلفة لكنه موجّه بالأساس كتحذير للعلماء.

٣٠٠ عيسى عليه السلام ظهر له إبليس فرأى عليه معاليق من ألوان الصباغ من كلّ شيء فقال له: ما هذه المعاليق؟ قال: هذه شهوات بني آدم. فقال: فهل لي فيها شيء؟ قال: ربّما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر. قال: هل غير ذلك؟ قال: لا. قال: للّه عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً. قال إبليس: وللّه عليّ أن لا أنصح مسلماً أبداً.

الزبيدي (ت. ١٢٠٥/١٧٩١)، إتحاف السادة المتّقين، ٧: ٤٤٥ [أسين، ٥٧٤ (رقم ١٧٤ب)؛ منصور، رقم ٢٥٣؛ ربسون، ٧٦-٧٧]. انظر أيضاً الغزالي، منهاج العابدين، ٣٣؛ السهروردي، عوارف المعارف، ٣: ١٠٢ [منصور، رقم ١٩٦] (في الحالتين منسوب إلى النبيّ يحيى).

انظر الأرقام ١٥٢، ٢٧٨ و٢٩٥.

٣٠١ قال عيسى بن مريم عليه السلام: يا بني آدم، لدوا للموت، وابنوا للخراب، تفنى نفوسكم وتبلى دياركم.

الزبيدي (ت. ١٢٠٥/١٧٩١)، إتحاف السادة المتّقين، ٨: ٨٥ و١٠: ٢٢٣ [أسين، ٥٩٧ (رقم ٢١٨)؛ منصور، رقم ٢٥٥].

انظر التعليق على هذا الخبر عند أسين، الذي وجد أنّ بدايته هي شطر بيت للشاعر الزاهد أبي العتاهية (ت. ٢١١/ ٨٢٦).

٣٠٢ قيل لعيسى عليه السلام: ألا تبني بيتاً؟ قال: أبني على طريق السبيل.

الزبيدي (ت. ١٢٠٥/ ١٧٩١)، إتحاف السادة المتّقين، ٩: ٣٣٣ [منصور، رقم ٢٥٩].

انظر الرقم ١١٠.

المصادر

الأبشيهي، بهاء الدين محمّد بن أحمد (ت. ٨٩٢/١٤٨٧). المستطرف في كلّ فنّ مستظرف. القاهرة: المطبعة العامرة العثمانيّة، ١٣٠٦هـ.

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة اللّه (ت. ٦٥٥/١٢٥٧). شرح نهج البلاغة. تحقيق م.ع. ـ ف. إبراهيم. القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٩-١٩٦٤.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد اللّه بن محمّد (ت. ٢٨١/ ٨٩٤). كتاب الأشراف. تحقيق وليد قصّاب. الدوحة: دار الثقافة، ١٩٩٣.

ـــــــ. الإخوان. تحقيق مصطفى عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٨.

ـــــــ. كتاب الصمت وآداب اللسان. تحقيق نجم خلف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦.

ـــــــ. موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا. تحقيق مصطفى عطا وآخرين. بيروت: مؤسّسة الكتب الثقافيّة، ١٩٩٣.

ابن بابويه القمّي، أبو جعفر محمّد بن علي (ت. ٣٨١/ ٩٩١). علل الشرائع. تحقيق فضل اللّه طباطبائي. طهران: ١٣٧٧هـ.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت. ٥٩٧/١٢٠١). الأذكياء. تحقيق أسامة الرفاعي. دمشق: مكتبة الغزالي، ١٩٧٦.

ـــــــــ. ذمّ الهوا، تحقيق مصطفى عبد الواحد. القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٢.

ابن حمدون، أبو المعالي محمّد بن الحسن (ت. ٥٦٢/١١٦٦). التذكرة الحمدونيّة. تحقيق إحسان عبّاس. بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٣.

ابن حنبل، أبو عبد اللّه أحمد بن محمّد الشيباني (ت. ٢٤١/ ٨٥٥). كتاب الزهد. تحقيق محمّد زغلول. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٨.

ـــــــــ. كتاب الورع. تحقيق محمّد زغلول. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٨.

ابن الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم (ت. ٦٣٤/١٢٣٦). الاستسعاد بمن لقيته من صالحي العباد في البلاد، في شذرات من كتب مفقودة (صفحات ١٧٥-٢٠٥). تحقيق إحسان عبّاس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨.

ابن السريّ، هنّاد (ت. ٢٤٣/ ٨٥٧). كتاب الزهد. تحقيق عبد الرحمن الفريوائي. الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ١٩٨٥.

ابن سعد، محمّد (ت. ٢٣٠/ ٨٤٥). الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، (لا تاريخ).

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت. ٤٥٨/١٠٦٦). كتاب المخصّص. بولاق: المطبعة الكبرى العامريّة، ١٣١٦هـ.

ابن الصلاح، أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن (ت. ٦٤٣/ ١٢٤٥). فتاوى ومسائل ابن الصلاح. تحقيق عبد المعطي قلعجي. بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦.

ابن عبد البرّ القرطبي، أبو عمر يوسف (ت. ٤٦٣/ ١٠٧١). جامع بيان العلم وفضله. المدينة: المكتبة العلميّة، (لا تاريخ).

ـــــــ. مختصر جامع بيان العلم وفضله. القاهرة: مطبعة الموسوعات، ١٣٢٠هـ.

ـــــــ. بهجة المجالس. تحقيق م.م. الخولي. القاهرة: دار الكتاب العربي، (لا تاريخ).

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد اللّه المصري (ت. ٢٥٧/ ٨٧٠). فتوح مصر وأخبارها. تحقيق شارل تورّي Charles Torrey. ليدن Leiden بريل E.J. Brill، ١٩٢٠.

ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد القرطبي (ت. ٣٢٨/ ٩٤٠). العقد الفريد. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠-١٩٥٣..

ابن العربي، أبو عبد اللّه محيي الدين محمّد بن علي (ت. ٦٣٨/ ١٢٤٠). الفتوحات المكيّة. القاهرة: ١٣٠٥هـ.

ـــــــ. محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيّات والنوادر والأخبار. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٦.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت. ٥٧١/ ١١٧٥). تأريخ مدينة دمشق. جزء ١: تحقيق صلاح الدين المنجّد. دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٩٥٤.

ـــــــ. سيرة السيّد المسيح. تحقيق سليمان مراد. عمّان: دار الشروق، ١٩٩٦.

ابن عقيل، أبو الوفا علي البغدادي (ت. ٥١٣/ ١١١٩). كتاب الفنون. تحقيق جورج مقدسي. بيروت: دار المشرق، ١٩٧٠.

ابن قتيبة، أبو محمّد عبد اللّه بن مسلم (ت. ٢٧١/ ٨٨٤). كتاب عيون الأخبار. القاهرة: دار الكتب المصريّة، ١٩٢٥-١٩٣٠.

ابن قدامة المقدسي، أبو محمّد عبد اللّه بن أحمد (ت. ٦٢٠/ ١٢٢٣). كتاب التوّابين. تحقيق جورج مقدسي. دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة، ١٩٦١.

ابن القوطيّة، أبو بكر محمّد بن عمر القرطبي (ت. ٩٧٧/٣٦٧). تأريخ افتتاح الأندلس. تحقيق إبراهيم الأبياري. القاهرة: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩.

ابن ماجة، محمّد بن يزيد (ت. ٨٨٧/٢٧٤). السنن. تحقيق م. فؤاد عبد الباقي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، ١٩٥٢.

ابن المبارك، عبد اللّه المروزي (ت. ٧٩٧/١٨١). كتاب الزهد والرقائق. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت: دار الكتب العلميّة، (لا تاريخ).

ابن منبّه، همّام (ت. ٧٤٨/١٣١). صحيفة همّام بن منبّه. تحقيق محمّد حميد اللّه. دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٩٥٣.

ابن هشام، أبو محمّد عبد الملك (ت. ٨٣٣/٢١٨). كتاب التيجان في ملوك حمير. تحقيق فريتز كرنكو Fritz Krenkow. حيدر أباد: دائرة المعارف العثمانيّة، ١٩٢٨.

ـــــــ. السيرة النبويّة. تحقيق مصطفى السقّا وآخرين. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٦.

ابن واصل، جمال الدين محمّد بن سالم (ت. ١٢٩٨/٦٩٧). مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب. تحقيق جمال الدين الشيّال. القاهرة: جمعيّة فؤاد الأوّل، ١٩٥٣.

أبو حيّان التوحيدي، علي بن محمّد البغدادي (ت. بعد ١٠١٠/٤٠٠). رسالة في الصداقة والصديق. اسطنبول: مطبعة الجوائب، ١٣٠١هـ.

ـــــــ. الإمتاع والمؤانسة. تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢.

ـــــــ. البصائر والذخائر. الأجزاء ١-٣: تحقيق إبراهيم الكيلاني. دمشق: مكتبة أطلس، ١٩٦٥-١٩٧٧.

ـــــ. البصائر والذخائر. الجزء ٧: تحقيق وداد القاضي. ليبيا: الدار العربيّة للكتاب، ١٩٧٨.

أبو رفاعة الفسوي، عمارة بن وثيمة الفارسي (ت. ٢٨٩/ ٩٠٢). بدء الخلق وقصص الأنبياء. تحقيق ر.ج. خوري Raif G. Khoury. فيسبادن Wiesbaden: هرّاسّوفيتس Harrassovitz، ١٩٧٨.

أبو طالب المكّي، محمّد بن علي (ت. ٣٨٦/ ٩٩٦). قوت القلوب في معاملة المحبوب. القاهرة: المطبعة الميمنيّة، ١٣١٠هـ.

أبو الفرج البغدادي، قدامة بن جعفر (ت. ٣٣٧/ ٩٤٨). كتاب نقد النثر (منسوب). تحقيق طه حسين وعبد الحميد العبّادي. القاهرة: دار الكتب المصريّة، ١٩٣٣.

أبو نعيم الإصبهاني، أحمد بن عبد اللّه (ت. ٤٣٠/ ١٠٣٨). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٣٢-١٩٣٨.

الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين (ت. ٤٢١/ ١٠٣٠). نثر الدرّ. تحقيق محمّد علي قرنة وآخرين. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة، ١٩٨١-١٩٩١.

إخوان الصفاء (القرن الرابع/ العاشر). رسائل إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء. تحقيق خير الدين الزركلي. القاهرة: المطبعة العربيّة، ١٩٢٨.

الأنطاكي، داود بن عمر الضرير (ت. ١٠٠٨/ ١٥٩٩). تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشّاق. تحقيق محمّد التونجي. بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٢.

البلاذري، أحمد بن يحيى (ت. ٢٧٩/ ٨٩٢). أنساب الأشراف. جزء ٢: تحقيق محمّد ب. المحمودي. بيروت: مؤسّسة الأعظمي، ١٩٧٤.

البلوي، أبو الحجّاج يوسف بن محمّد (ت. ٦٠٤/١٢٠٧). كتاب ألف باء. القاهرة: جمعيّة المعارف، ١٢٨٧هـ.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت. ٢٥٥/٨٦٨). البيان والتبيين: تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٩.

------. كتاب كتمان السرّ وحفظ اللسان، في رسائل الجاحظ (جزء ١، صفحات ١٣٩-١٧٢). تحقيق عبد السلام هارون. بيروت: دار الجيل، ١٩٩١.

------. المحاسن والأضداد. القاهرة: مطبعة الفتوح، ١٣٣٢هـ.

الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمّد بن علي (ت. ٢٩٧/ ٩١٠). الصلاة ومقاصدها. تحقيق حسني زيدان. القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٥.

الدميري، كمال الدين محمّد بن موسى (ت. ٨٠٨/ ١٤٠٥). حياة الحيوان الكبرى. القاهرة: المطبعة الميمنيّة، ١٣٠٥هـ.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد (ت. أوائل القرن الخامس/الحادي عشر). محاضرات الأدباء. بيروت: مكتبة الحياة، (لا تاريخ).

الزبيدي، محمّد مرتضى بن محمّد الحسيني (ت. ١٢٠٥/ ١٧٩١). إتحاف السادة المتّقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين. القاهرة: المطبعة الميمنيّة، ١٣١١هـ.

الزبير بن بكّار (ت. ٢٥٦/ ٨٧٠). جمهرة نسب قريش. الجزء ١: تحقيق م. م. شاكر. القاهرة: ١٩٦٢.

الزمخشري، محمود بن عمر (ت. ٥٣٨/ ١٤٤). ربيع الأبرار. تحقيق سليم النعيمي. بغداد: مطبعة العاني، (لا تاريخ).

سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزغلي (ت. ٦٥٤/١٢٥٦).
مرآة الزمان. حيدرأباد: دائرة المعارف العثمانيّة، ١٩٥١-١٩٥٢.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمّد (ت. ٣٧٣/ ٩٨٣). تنبيه الغافلين.
القاهرة: المطبعة اليوسفيّة، (لا تاريخ).

السهروردي، شهاب الدين عمر (ت. ٦٣٢/ ١٢٣٤). عوارف المعارف،
مطبوع في هامش إحياء علوم الدين للغزالي. القاهرة: المطبعة
الميمنيّة، ١٣٠٦هـ.

الشعراني، عبد الوهّاب بن أحمد المصري (ت. ٩٧٣/ ١٥٦٥). الطبقات
الكبرى. القاهرة: ١٢٨٦هـ.

ـــــــ. لطائف المنن والأخلاق. القاهرة: دار الطباعة، ١٢٨٨هـ.

الطبري، محمّد بن جرير (ت. ٣١٠/ ٩٢٣). تفسير القرآن. القاهرة:
المطبعة الميمنيّة، ١٩٠٣.

الطرطوشي، محمّد بن الوليد بن أبي رندقة (ت. ٥٢٠/ ١١٢٦). سراج
الملوك. تحقيق جعفر البياتي. لندن: رياض الريّس، ١٩٩٠.

العامري، أبو الحسن محمّد بن يوسف النيسابوري (ت. ٣٨١/ ٩٩٢).
السعادة والإسعاد. تحقيق مجتبى منوي Mujtaba Minowi.
فيسبادن Wiesbaden: فرانز شتاينر Franz Striner، ١٩٥٧-
١٩٥٨.

الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد (ت. ٥٠٥/ ١١١١). التبر المسبوك
في نصيحة الملوك. القاهرة: مطبعة الآداب والمؤيّد، ١٣١٧هـ.

ـــــــ. منهاج العابدين. القاهرة: المطبعة الحسينيّة، ١٣٢٢هـ.

ـــــــ. إحياء علوم الدين. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٩.

ـــــــ. أيّها الولد. تحقيق علي القرداغي. بيروت: دار البشائر
الإسلاميّة، ١٩٨٥.

------. مكاشفة القلوب المقرّب إلى حضرة علاّم الغيوب. القاهرة: مطبعة محمّد عاطف، (لا تاريخ).

القرشي، أبو زيد محمّد بن أبي الخطّاب (ت. حوالى ١٧١/٧٨٧). جمهرة أشعار العرب. بيروت: دار بيروت، ١٩٨٤.

القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت. ٤٦٥/١٠٧٣). الرسالة القشيريّة في علم التصوّف. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٠٠.

الكلاباذي، أبو بكر أحمد بن إسحاق (ت. ٣٨٠/٩٩٠). التعرّف لمذهب أهل التصوّف. تحقيق آرثر جون آربوري Arthur John Arberry. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٣٣.

الكليني، أبو جعفر محمّد بن يعقوب (ت. ٣٢٩/٩٤١). الأصول من الكافي. تحقيق علي أكبر الغفّاري. بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٥.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد البصري (ت. ٤٥٠/١٠٥٨). الأحكام السلطانيّة. القاهرة: مطبعة الوطن، ١٢٩٨هـ.

------. أدب الدنيا والدين. تحقيق مصطفى السقّا. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥.

المبرد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد (ت. ٢٨٥/٨٩٨). الفاضل. تحقيق عبد العزيز الميمني. القاهرة: دار الكتب المصريّة، ١٩٥٦.

------. الكامل. تحقيق م. أبو الفضل إبراهيم وأ. شحاتة. القاهرة: دار نهضة مصر، (لا تاريخ).

المبشّر بن فاتك، أبو الوفاء (كتب ٤٤٥/١٠٥٣). مختار الحكم ومحاسن الكلم. تحقيق عبد الرحمن بدوي. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ١٩٨٠.

المجلسي، ملاّ محمّد باقر (ت. ١١١٠/١٦٩٨). بحار الأنوار. طهران: دار الكتب الإسلاميّة، (لا تاريخ).

مسكوية، أبو علي أحمد بن محمّد (ت. ٤٢١/ ١٠٣٠). الحكمة الخالدة. تحقيق عبد الرحمن بدوي. القاهرة: مكتبة النهضة المصريّة، ١٩٥٢.

مسلم بن الحجّاج (ت. ٢٦١/ ٨٧٥). صحيح مسلم. بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٢.

الواقدي، محمّد بن عمر (ت. ٢٠٧/ ٨٢٣). المغازي. تحقيق ج. مرسدن جونز J. Marsden Jones. لندن: مطعبة جامعة أكسفورد Oxford University Press، ١٩٩٦.

ورّام بن أبي فراس، أبو الحسين (ت. ٦٠٦/١٢٠٨). مجموعة ورّام؛ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر. تحقيق محمّد آخوندي. طهران: دار الكتب السلطانيّة، (لا تاريخ).

المحتويات

توطئة للترجمة العربية ٥

كلمات شكر وامتنان ٧

المقدّمة ١١

الخلفية التاريخية ١٥

عرض موجز للمسيح القرآني ١٩

المسيح في الإنجيل الإسلامي ٢٨

الإطار المبكّر ٣٤

النشوء والتطوّر ٤١

أخبار وقصص المسيح الأولى: الطابع والدلالة ٤٥

أخبار وقصص المسيح المتأخّرة ٥٢

الخلاصة ٥٩

هوامش المقدمة ٦٢

الإنجيل برواية المسلمين

كلمة حول الهوامش والتعليقات ٨١

همّام بن منبّه ٨٣

عبد اللّه بن المبارك ٨٤
عبد الملك بن هشام ٩٨
محمّد بن سعد ٩٩
أحمد بن حنبل ١٠٠
هنّاد بن السريّ ١٢٥
الجاحظ ١٢٦
ابن عبد الحكم ١٣٢
ابن قتيبة ١٣٣
أبو بكر بن أبي الدنيا ١٣٩
الحكيم الترمذي ١٥٤
المبرّد ١٥٥
أبو رفاعة الفسوي ١٥٦
ابن عبد ربّه ١٥٧
الكليني ١٥٩
ابن القوطيّة ١٥٩
نصر أبو الليث السمرقندي ١٦٠
ابن بابويه القمّي ١٦٦
أبو الحسن العامري ١٦٨
أبو طالب المكّي ١٦٨
إخوان الصفاء ١٧٠
أبو حيّان التوحيدي ١٧٣

أبو سعد الخركوشي ١٧٦
الراغب الأصفهاني ١٧٧
مسكويه ١٧٩
الآبي ١٨٠
أبو نعيم الإصبهاني ١٨١
الماوردي ١٨٨
ابن عبد البرّ القرطبي ١٩٠
أبو القاسم القشيري ١٩١
أبو حامد الغزالي ١٩١
الطرطوشي ٢١٢
ابن عساكر ٢١٧
أبو الحجّاج البلوي ٢٢٠
ورّام ٢٢٢
السهروردي ٢٢٣
أبو الفرج ابن الحنبلي ٢٢٥
محيي الدين بن العربي ٢٢٥
سبط ابن الجوزي ٢٢٨
ابن واصل ٢٢٨
تاج الدين السبكي ٢٢٩
الدميري ٢٢٩
الأبشيهي ٢٣٣

عبد الوهّاب الشعراني ٢٣٤
المجلسي ٢٣٥
عبد الغني النابلسي ٢٣٧
الزبيدي ٢٣٨
المصادر ٢٤١

هذا الكتاب

«هذه الأقوال والتعليقات المنسوبة إلى السيد المسيح في التراث الإسلامي والتي جمعها طريف الخالدي هي عمل أكاديمي رائع ينوّر الأبصار وينمّ عن فهم ديني عميق وغِنىً لا سابق له في مجال تاريخ التفاعل بين الثقافات. إنه عملٌ مُبدع مُشرق يسعى فيه المؤلف إلى إيضاح كيف تبنّى دين عالمي الشخصية المحورية في دين آخر. وهو كتاب تسهل قراءته، ويرحب به كل من يعتقد أن نظرية صراع الحضارات ما هي إلا نظرية باطلة يدحضها التاريخ».

إدوارد سعيد، أستاذ الأدب المقارن، جامعة كولومبيا

«هذه الأقوال الثلاثمئة ونيف مثيرة للإعجاب البالغ. فهي تشبه في بعض النواحي مجموعة (نجع حمادي) كما تشبه الأناجيل، وخصوصاً خطبة الجبل لكن طابعها العام فريد من نوعه. فالصورة التي نراها هنا للسيد المسيح، أي صورة معلم الأخلاق السامية تواكبها صورة صانع المعجزات، أمرٌ لافت للنظر فعلاً، أما مقدمة المؤلف فهي تضع هذه الأقوال في سياقها التاريخي وتجعلها سهلة على الفهم».

السير فرانك كرمود، أستاذ الأدب الإنكليزي، جامعة كمبردج

ISBN 978-9933350734





